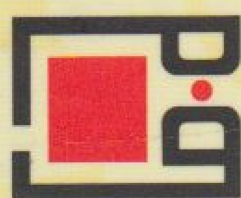


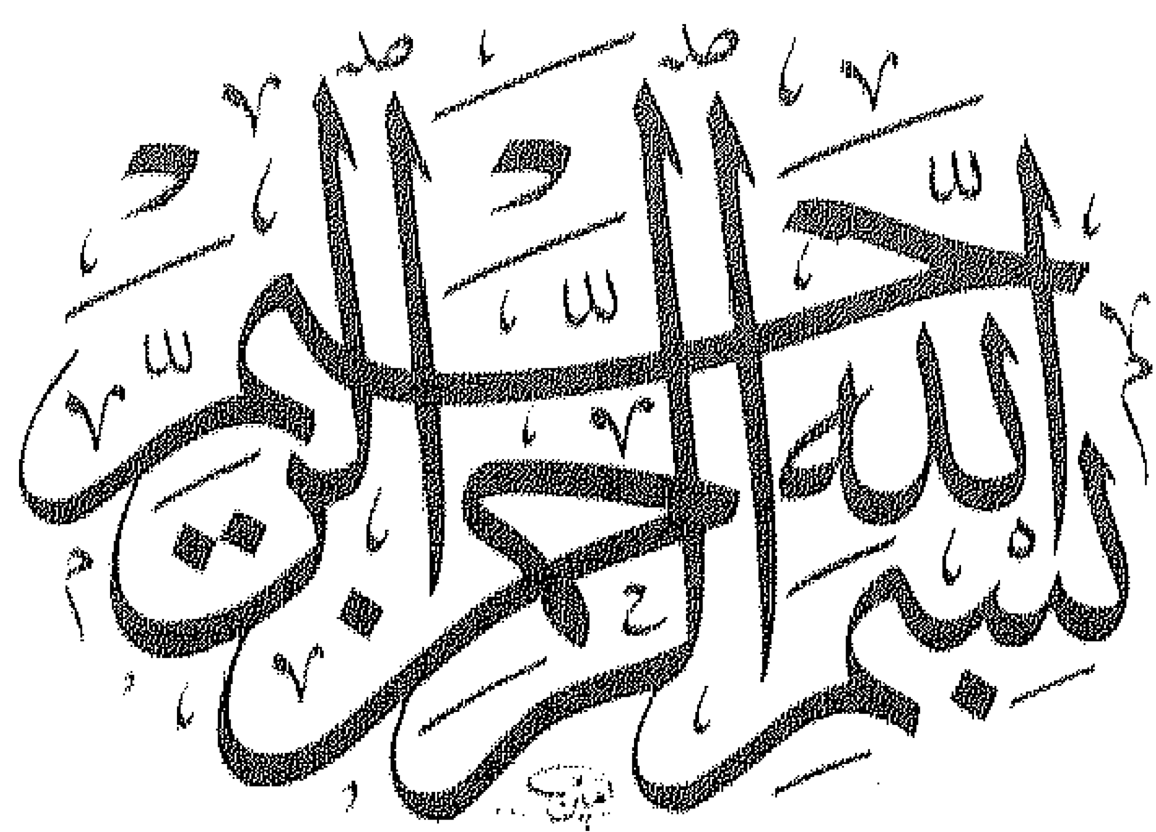
صور من إعجاز القرآن الكريم

د. محمد محمد العاصي



مكتبة الفلاح
للنشر والتوزيع

صور من إعجاز
القرآن الكريم



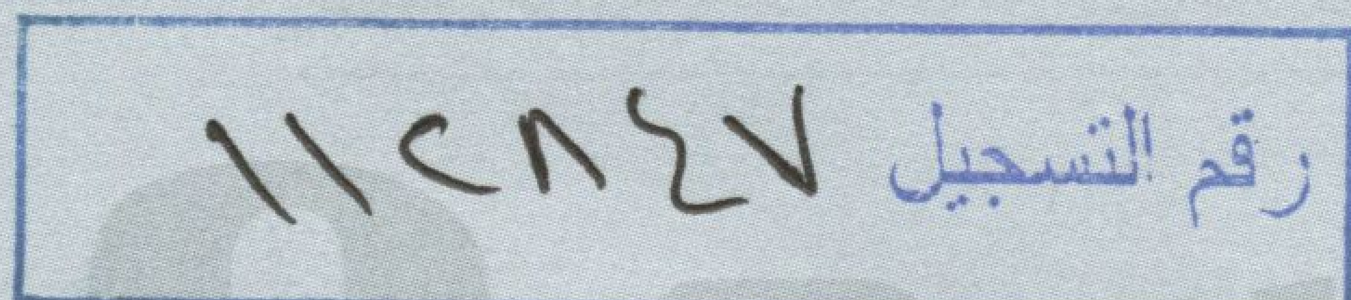
رقم الإيداع 2011/10/3941
ISBN : 978-9957-17-148-3



صور من إعجاز القرآن الكريم

د. محمد محمد الناصري







مكتبة الفلاح
للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى
1433 هـ 2012 م

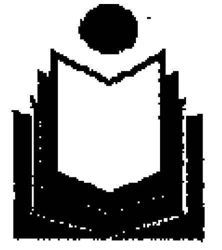
مكتبة الفلاح
للنشر والتوزيع
Al - Falah Books
For Publishing and Distribution
Kuwait, UAE, Egypt, Jordan

دولة الكويت
حولي-شارع بيروت- عمارة الأطباء
هاتف 1985 2264 فاكس 7784 2264 965 +
ص.ب: 4848 الصفاة- 13049- الكويت

دولة الإمارات العربية المتحدة
العين:- ص.ب 16431 هاتف: 7662189 فاكس: 7657901 3 971+
دبي:- ص.ب: 20438 هاتف: 2630618 فاكس: 2630628 4 971+

جمهورية مصر العربية
37 شارع النصر- امتداد رمسيس 2
مقابل وزارة الماليـــــة
مدينة نصر- القاهرة
هاتف: 8143 2262 فاكس: 6587 2263 02 2+
E.mail:alfalah.cairo@gmail.com

المملكة الأردنية الهاشمية



دار حنين للنشر والتوزيع
العبدلي- مقابل البنك العربي- عمارة الددو
هاتف 5695611 فاكس 1208 568 6 962+
ص.ب 927385 الرمز البريدي 11190
عمان- الأردن
E-mail:dar.honin@gmail.com
www.alfalahbook.com

المحتويـــــات

مقدمة 11

الفصل الأول

مفهوم مصطلح الإعجاز القرآني

مدخل 17
المفهوم اللغوي 17
المفهوم الاصطلاحي 18
مفهوم المعجزة في الشرع 18
مراحل ظهور مصطلح الاعجاز القرآني علميا 19

الفصل الثاني

أنواع الاعجاز القرآني

مدخل : شمولية الاعجاز للجميع 25
النوع الأول : الإعجاز اللفظي 26
تعريفه 26
أهميته 26
مراحل التحدي في الاعجاز القرآني 27
المرحلة الأولى : طلب الاتيان بمثل القرآن كاملا 27
المرحلة الثانية : طلب الاتيان بعشر سور منه فقط 27
المرحلة الثالثة : طلب الاتيان بسورة واحدة فقط 27
المرحلة الرابعة : ولن تفعلوا في المستقبل 27

من صور الاعجاز اللفظي 28
الصورة الأولى : أسرار الحروف المقطعة 28
موقف العلماء من هذه الحروف : 29
الموقف الأول : التوقف وعدم الخوض في المعنى 29
الموقف الثاني : الاجتهاد لمحاولة معرفة المعنى 29
اراء العلماء في اعجاز الحروف المقطعة لفظيا 29
الصورة الثانية : خصوصية القرآن في استعمال الألفاظ المختلفة ... 34
١- الريح والرياح 34
٢- عيون وأعين 35
٣- وصى وأوصى 35
٤- أنواع التأكيد في القرآن الكريم 36
٥- أدوات الاستفهام في القرآن الكريم 36
النوع الثاني : الإعجاز التشريعي 37
مدخل 37
أهميته 37
من صور الاعجاز التشريعي 38
١- تحريم شرب الخمر 39
٢- تحريم الربا 43
٣- تحريم الميتة والدم لحم الخنزير 47
٤- تحريم جماع الزوج زوجته وهي حائض 54
النوع الثالث : الإعجاز النفسي 56
تعريفه 56
أهميته 56
من صور الاعجاز النفسي 57
١- اسلام عمر بن الخطاب 58
٢- استماع الأخنس بن شريق وأبو سفيان وأبو جهل للقرآن 61

٣- قول الوليد بن المغيرة في القرآن وهو كافر 62
٤- اغماءة جبير بن مطعم عند سماع القرآن 63
النوع الرابع : **الإعجاز العددي** 64
تعريفه 64
أهميته 64
أمثلة على الاعجاز العددي 64
المثال الأول : الإعجاز العددي في سورة الكهف 64
المثال الثاني : سر تسمية الفاتحة بالسبع المثاني 69
المثال الثالث : الاعجاز العددي في الحروف المقطعة 75
النوع الخامس : **الإعجاز العلمي في القرآن في العصر الحديث** 79
تعريفه 79
أهميته 79

الفصل الثالث

صور من الاعجاز العلمي القرآني

الصورة الأولى : اشارة الاعجاز العلمي لمعرفة عدد السموات والأرض 83
أولاً : تأملات في الايات الواردة في هذا الشأن 83
ثانياً : بعض أقوال المفسرين في السموات السبع 84
ثالثاً : بعض أقوال المفسرين في الأرضين السبع 88
رابعاً : أحاديث السنة النبوية الواردة في هذا الشان 89
خامساً : رأي العلم الحديث في شأن الأرضين السبع 93
الصورة الثانية : اشارة الاعجاز العلمي من خلال آيات (والشمس . . .) 95
أولا : مفهوم الشمس عند الفلكيين 95
ثانيا : التفسير العلمي لتكوين الشمس 97
ثالثا : كيف تنتج الشمس الطاقة 98
رابعا : وجه الاعجاز العلمي في الآية أعلاه 98

الصورة الثالثة : الاعجاز العلمي في حديث القرآن الكريم عن الجبال .. 102
أولا : تعريف الجبال 102
ثانيا : وصف الجبال 102
ثالثا : (والجبال أوتادا) 102
رابعا : تكوين الجبال 105
خامسا : ظاهرة تسيير الجبال 107
سادسا : ظاهرة نسف الجبال 108
الصورة الرابعة : حديث القرآن الكريم عن الظواهر الجوية 110
أولا : تعريف الظواهر الجوية 110
ثانيا : طريقة تناول القرآن لهذه الظواهر 110
ثالثا : نماذج من حديث القرآن الكريم عن الظواهر الجوية 110
الأنموذج الأول : مراحل نزول المطر 110
الأنموذج الثاني : الاشارات العلمية الواردة في الاية التاسعة من سورة فاطر 111
الأنموذج الثالث : الاشارات العلمية الواردة في الاية الثانية والعشرين من سورة الحجر 112
الصورة الخامسة: الاعجاز العلمي في مراحل خلق الانسان 113
أولاً : خلال فترة الحمل من الشهر الأول إلى الشهر التاسع 113
ثانياً : مراحل خلق الإنسان في ضوء الكتاب والسنة 118
ثالثاً : الاعجاز العلمي في دلالة غيض الارحام 133
رابعاً : معجزات القرآن في المشيمة والحبل السري والولادة 144

الفصل الرابع

ضوابط الإعجاز العلمي القرآني

أهمية وجود هذه الضوابط 151
الضوابط التي أجمع على ضرورتها علماء الاعجاز 152

الفصل الخامس

آثار استخدام الإعجاز العلمي في الدعوة إلى الاسلام

١- البروفيسور كيث مور 161
٢- الجراح الفرنسي موريس بوكاي 163
٣- الطبيب الفرنسى على سلمان بنوا 164
٤- داود موسى بتيكوك 164
٥- عالم التشريح التايلاندي تاجات تاجسون 165

الفصل السادس

استشراف مستقبل الإعجاز العلمي

أولاً : في بلاد المشرق العربي 169
ثانياً : في بلاد الغرب الأروبي 170

الفصل السابع

من اعلام الإعجاز الإعلامي

١- الإمام عبدالقادر جرجاني 175
٢- الجاحظ 181
٣- مصطفى صادق الرافعي 192
٤- الدكتور زغلول النجار 196
خاتمة 203
المصادر والمراجع 207

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه والتابعين أجمعين.

أما بعد :

فمما لا يخالج أحداً شكٌ فيه أن الاسلام دين العلم : أمر به وحثّ عليه ووجَّه اليه، وجعل مداد العلماء مثل دماء الشهداء، وجعل العلماء أكثر الناس خشية لله عز وجل : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر: ٢٨]

وجعل العلماء هم الورثة الحقيقيين للأنبياء الذين لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم النافع للانسان الذي يجعله حيا يدرك قيمة الحياة وقيمة الانسانية :

فـفـز بعلم تعش حـيـا به أبدا

الناس مـوتى وأهل العلم أحـيـاء

والعلم قسمان :

أ- **علم نظري** : يتدارسه الناس فيما بينهم بقصد الحفاظ على هويتهم وحضارتهم وتراثهم ولغتهم، يحفظ عليهم الماضي : لأنه من لا ماضي له لاحاضر له يرجى ولا مستقبل.

ب - **علم عملي** : يستفيد الانسان من ثمرته عمليا فيما توصل اليه العلم في أحدث الاكتشافات والنظريات : في المصنع والمتجر والهندسة والطب والكيمياء و. . . الخ.

وللجانبين دور أساسي في الحياة : انهما يحفظان على الأمة أسباب الاستمرار والقوة في الحياة، ولا مجال لتفضيل جانب على اخر، فكلاهما له أهميته البالغة : انهما كجناحي الطائر لا يمكن أن يطير اذا انكسر منهما جناح.

• ولا يمكن لعاقل أن ينكر دور العلم في هذا العصر المتسارع الخطى المتنامي الخطوات الذي لا مكان فيه لمتكاسل لا يمسك بزمام التقدم في ردهات الحياة، مما يضاعف مسؤولياتنا أمام الأجيال الصاعدة الواعدة حتى تزداد حبا في الاسلام وتمسكا به.

• والتعريف بحقائق وقيم الاسلام في الوقت الراهن يحتاج إلى كل وسيلة تجذب الناس إليه، فيفهمون وجه الاسلام الصحيح ووسطيته الراشدة وانسانيته البالغة وشموله الكامل وعالميته، وصلاحه لكل العصور والدهور.

• ولقد من الله عز وجل على بعض علماء هذا العصر ففتح لهم أبوابا في مجال الاعجاز العلمي في القرآن الكريم، مما أظهر وجها جديدا من وجوه الاعجاز القرآني التى تدل على انه كلام الله الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وفتح مجالا واسعا للدعوة إلى الله تعالى لأنه لا مجال لانكار معجزة الاشارة العلمية الواردة في القرآن بعد أن ظهرما يؤيدها من نظرية علمية نهائية مستقرة في القرن التاسع عشر أو العشرين أو الحادي والعشرين مثلا، ويبقى السؤال قائما : من الذي أخبر محمدا (ﷺ) بهذا وهو النبي الأمي؟؟

وعلى ذلك : فالاعجاز العلمي للقرآن لا ينكره صاحب فطرة سوية وعقل سليم، الا اذا أوقف عقله واتبع نظرية الجحود والنكران.

ولقد برع في هذا المجال كثيرون : يأتى على رأسهم الداعية الدكتور/ زغلول النجار الذي أحدث أثرا دعويا عالميا لا يمكن انكاره.

• غير أن البعض حاول توسيع القضية بلا ضابط وأقحم نفسه دون تأهيل علمي أو خبرة دعوية وحاول توسيع الدائرة بلا مبرر وظنوا أنهم بهذا يدعون

إلى الاسلام ويعززون في النفوس مكانة القرآن. ومن أسف أن الشبكة العالمية للمعلومات (الانترنت) مليئة بمثل هذه الأمور، ولا يمكن أن نغفل أن نسبة مطالعتها أكثر وأكثر من الكتاب الورقي بعد أن تراجعت - بكل أسف - مرتبة الكلمة المطبوعة والمسموعة خلف الكلمة المنشورة على الانترنت الآن.

وواجبنا في هذا العصر أن نقوم بدورنا حملا للأمانة الملقاة على عاتقنا نحو التعريف بحقائق الاسلام بطرق مستنيرة في زمان كل أمة تدعو فيه إلى التعريف بنفسها وتاريخها وقيمها.

لهذا - ولغيره - كان هذا الجهد محاولة متواضعة لوضع لبنة في هذا البناء الشامخ.

● أصل هذا الكتاب : مما ينبغي أن أنوه به اعمالا للأمانة العلمية التى نتوخاها أن نواة هذا الكتاب كانت بحثا علميا منشورا في المجلة العلمية لكلية أصول الدين بجامعة الأزهر، ضمن متطلبات الترقية لدرجة (أستاذ)، وكان عنوانه فيها : **ضوابط استخدام الاعجاز العلمي للقرآن في الدعوة إلى الله تعالى**

هذا وقد اقتضت طبيعة هذا الكتاب أن يكون هيكله على الشكل التالي:

الفصل الأول : مفهوم مصطلح الإعجاز القرآني

الفصل الثاني : أنواع الاعجاز القرآني

الفصل الثالث: صور من الاعجاز العلمي القرآني

الفصل الرابع: ضوابط الإعجاز العلمي القرآني

الفصل الخامس: آثار استخدام الإعجاز العلمي في الدعوة إلى الإسلام

الفصل السادس: استشراف مستقبل الإعجاز العلمي

الفصل السابع: من أعلام الإعجاز الإعلامي

خاتمة : وتشتمل على أهم نتائج البحث وتوصيات الباحث.

ويجدر بي أن أنوه على استخدامي للثوابت الأكاديمية فقد عزوت كل

نص إلى مصدره، وخرجت الأحاديث النبوية من مصادرها، وحاولت الرجوع في كل جزئية بحثية إلى مصادرها الأصيلة . . . الخ. كل ذلك قدر طاقتي ووسعي وتوفيق الله عز وجل لي.

ولا أدعي الكمال في هذا الجهد، وحسبي أن يكون شمعة تضيء في طريق معبد يساهم في أن يلج الباب من بعده كثيرون، فإن أكن قد وفقت فلله الحمد والفضل والمنة، وان تكن الأخرى : فحسبي أني اجتهدت والمجتهد المخطيء - ان شاء الله - معذور مأجور.

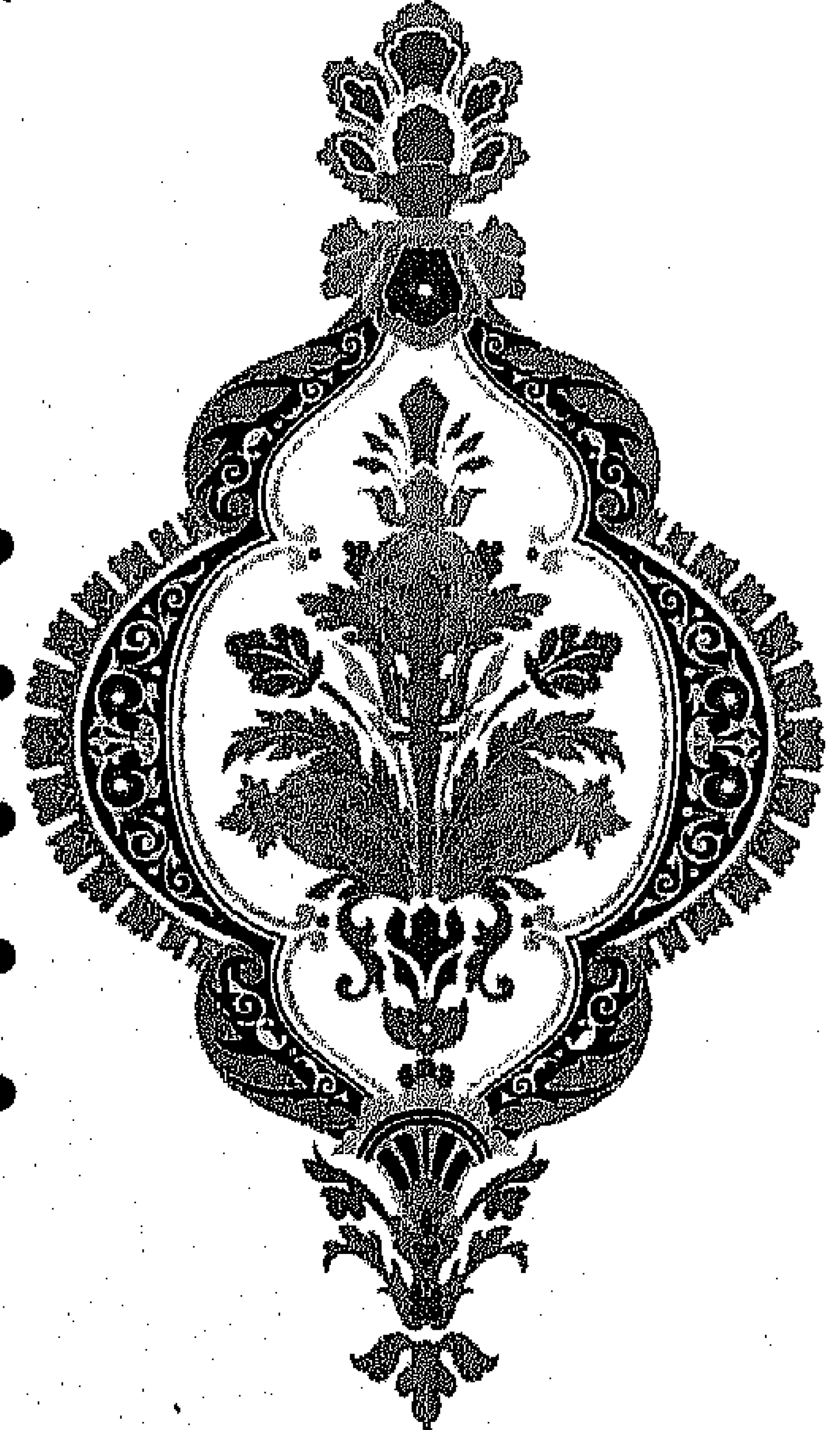
وأسأل الله - عز وجل - أن يجعل ذلك في ميزان حسناتي يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا، وكفى بربك هاديا ونصيرا.

جامعة نزوى - سلطنة عمان

٢٠١١/١٠

الفصل الأول

مفهوم مصطلح الإعجاز القرآني



- مدخل
- المفهوم اللغوي
- المفهوم الاصطلاحي
- مفهوم المعجزة في الشرع
- مراحل ظهور مصطلح الاعجاز القرآني علميا

الفصل الأول

مفهوم مصطلح (الإعجاز القرآني)

مدخل

يقرر العلماء قاعدتين هما :

١- الكون كتاب منظور، والقرآن كتاب مسطور.

٢- تتمثل عظمة القرآن في جوانب ثلاثة هي :

- الجانب الأول : كونه محفوظا من الله عز وجل على مر العصور والدهور.
- الجانب الثاني : كونه مهيمنا على الكتب السابقة، أي مشتملا على كل ما ورد فيها.
- الجانب الثالث : كونه معجزا، وجهدنا وحديثنا الان عن هذا الجانب الثالث.

المفهوم اللغوي

ومصطلح "إعجاز القرآن" - كما يبدو من صياغته - مركب إضافي، طرفاه كلمتا: (إعجاز) و(القرآن) ولمعرفة المراد بهذا المركب يلزم تحديد معنى طرفه الأول وهو كلمة "الإعجاز" ثم معرفة المراد بالمصطلح كله عند إضافة هذه الكلمة إلى كلمة (القرآن).

والإعجاز مصدر للفعل أعجز، والاسم المعجزة، يقال: عَجَزَ يَعْجِزُ عن الأمر إذا قَصرَ عنه، والمُعْجِزَةُ واحدة مُعْجِزات الأنبياء عليهم السلام، وأَعْجاز

الأُمور أَواخرُها، وعَجْزُ الشيء وعِجْزُه وعُجْزُه وعَجُزُه وعَجِزُه آخره، يذكر ويؤنث، والعَجُز ما بعد الظهر منه، والجمع أَعجاز [1].

المفهوم الاصطلاحي

الاعجاز القرآني هو كل الأمور التى يختص بها القرآن دون غيره والتى تجعل الجميع عاجزاً عن الاتيان بمثله أو حتى أقصر سورة منه مع استمرار هذا العجز وعموميته إلى قيام الساعة.

مفهوم المعجزة في الشرع

هي: أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي يسلم عن المعارضة والإتيان والنظير. يقول ابن خلدون: إن المعجزات أفعال يعجز البشر عن مثلها فسميت بذلك معجزة وليست من جنس مقدور العباد وإنما تقع في غير محل قدرتهم[2].

- **تعليق** : اذا قلنا: فلان عجز أمام فلان أي صار ضعيفا أمامه، ونعيد الصياغة بأسلوب آخر فنقول إن فلانا أعجز فلانا أي أظهر ضعفه أمام قوته، والسبب هو همزة الانتقال التي زادت فصار الفعل أعجز بدلا من عجز فنقلت معها المعنى من الضعف إلى القوة أي أن القرآن أعجز الجميع أن يأتوا بمثله فظهرت قوته وبدا ضعفهم.

- **تعريف القرآن** : أما لفظة (القرآن) فقد صارت علما على هذا الكتاب العظيم الخالد. فهو المعروف بأوصافه بأنه كتاب الله تعالى المنزل على سيدنا محمد ﷺ المنقول الينا بالتواتر المتعبد بتلاوته المتحدى بأقصر سورة منه المعجز المبدوء بسورة الفاتحة والمختوم بسورة الناس.

---

(١) ينظر "لسان العرب" فعل "عجز" ١٢/ ١١١ تحقيق علي شيري ط الحلبي ١٩٩٢م.

(٢) مقدمة ابن خلدون١/ ١٦٢ دار الكتاب المصري واللبناني، طبعة سنة ١٩٩٩م، وللمزيد: ينظر من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، محمد فريد عبدالله، ص ٢، دار المواسم ط٢٠٠٦م.

وبناء على ما تقدم ما المقصود بالإعجاز القرآني؟

هل يقصد بالإعجاز القرآني توسيع مدلول الآيات القرآنية وتعميق معانيها في الوجدان والفكر الإنساني بالكشوف العلمية المعاصرة في توسيع هذا المدلول، وتعميق هذه المعاني عن طريق الاستئناس بالموافقات الدقيقة، والمقارنات العميقة الملحوظة للعلماء المختصين والخبراء الباحثين في مجالات الكون والحياة وشتى علومها ومعارفها[1].

يقول الدكتور رشاد محمد سالم: "وليس المقصود من إعجاز القرآن هو تعجيز البشر لذات التعجيز أي تعريفهم بعجزهم عن الإتيان بمثل القرآن فان ذلك معلوم لدى كل عاقل وإنما الغرض إظهار أن هذا الكتاب حق وان الرسول الذي جاء به رسول صادق"[2].

• **تعليق** : لعل الباحث يقصد أنه ليس المقصود من مدارسة الإعجاز القرآني في عصرنا هذا، وليس المفهوم كعلم، لان غرضه كعلم هكذا فعلا، في كل عصر وأمام كل الناس، وسوف يتضح الأمر جليا عندما نتحدث عن مراحل ظهور الإعجاز القرآني كمصطلح علمي.

مراحل ظهور مصطلح الاعجاز القرآني علميا

• **المرحلة الأولى** : مع بداية القرن الرابع الهجري: لم يكن مصطلح الإعجاز معروفا في القرون الثلاثة الأولى الهجرية، وإنما عرف واشتهر بعد أن وضع محمد بن يزيد الواسطي كتابا سماه "إعجاز القرآن" سنة ٣٠٦ هجرية.

وليس معنى ذلك أنه لم يكن موجودا من قبل، فقد كان البحث والجدل حول إعجاز القرآن يدور على أوسع نطاق في بيئات العلم والعلماء وبخاصة

(١) ينظر الإعجاز العلمي في الإسلام محمد كامل عبد الصمد، ص ٢٤، الدار المصرية اللبنانية ط٦ عام ٢٠٠٤ م.

(٢) مع القرآن الكريم في إعجازه اللغوي لطائف وأسرار، د. رشاد محمد سالم ،١، ط١ ٢٠٠٦م.

عند علماء الكلام، وقد وضع الجاحظ كتابا حول هذه الفكرة سماه "نظم القرآن" والجاحظ توفي ٢٥٥ هجرية.

فليست العبرة بالمصطلح نفسه بل بالفكرة التي يحويها، ومعروف أن الأفكار تسبق دائما مسمياتها(١).

وإذا ما تساءلنا : لماذا لم يتعرض الناس قبل ذلك لقضية الإعجاز؟

يجيب الدكتور أحمد جمال العمري قائلا: (ومن أسباب عدم تعرض الناس في ذلك الوقت لقضية الإعجاز :

١- أنهم كانوا يؤمنون تماما ويدركون أن هذا القرآن معجزة الرسول ﷺ التي ايده الله بها مما يجعله ليس مجالا للبحث لان الخوض في مسائله دقيق وخطير.

٢- وثمة سبب آخر هو أن القوم ممن أدركوا النبي ﷺ ومن بعدهم من السلف كانوا عرب الألسن فأدركوا بفطرتهم السليمة وذوقهم العربي الصحيح بلاغة القرآن وإعجازه فاستغنوا بذلك عن المسألة عن معانيه وعن الكلام فيه وفي اعجازه)(٢).

٣- فضلا عن انشغالهم بالدعوة إلى الاسلام والتعريف به

● **المرحلة الثانية** : رد علماء الاسلام على طعون أعداء الاسلام في القرآن: اتجهت دراسة اعجاز القرآن في اول امرها وجهة اخرى غير البحث في وجوه الاعجاز هي الدفاع عن القرآن ونفي ما أثاره الطاعنون فيه من أكاذيب وأباطيل فاتجهت جهود العلماء إلى دراسة المجاز في القرآن حتى يفسروا الاتجاهات الفنية التي نزل بها القرآن وأثارت تساؤل الناس فيما لا يشبه الاعتراض على اسلوب القرآن الكريم في بعض صوره التعبيرية وليدللوا من خلال ذلك على عربية القرآن وفصاحته وانه لم يخالف سنن العرب في طرائق التعبير.

---

(١) ينظر مفاهيم إسلامية. د/عبد العظيم إبراهيم المطعني ١/ ٣٤ المكتبة الإسلامية.
(٢) مفهوم الإعجاز القرآني حتى القرن السادس الهجري احمد جمال العمري ص٤٣ط دار المعارف

وأمام مطاعن أعداء الإسلام في القرآن وازدياد جرأتهم عليه يؤلف ابن قتيبة ت٢٧٦هـ كتابه : تأويل مشكل القرآن مستهديا فيه بفكرة سلفه أبي عبيدة فيما يتصل بصوغ العبارة في القرآن إذ بناها على كون القرآن نزل بلغة العرب وفيه مثل ما في كلامهم من وجوه الكلام المختلفة[١].

● **المرحلة الثالثة** : مرحلة التأليف فيه كعلم : يتضح من تأمل الظاهرة التاريخية في هذه المسيرة أن التأليف في الإعجاز أخذ عدة خطوات هي :

١- بدأ مجرد ردود محدودة على أسئلة مثارة تتعلق بكلمة أو خاطرة أو فهم لآية معينة وكان هذا اللون خاضعا لمنطق رد الفعل بكل ما يحمل هذا المنطق من محدودية النظر.

٢- تسامح التحديد الاصطلاحي إلى حد الخلط بين المصطلحات ويمثل هذا الاتجاه أبو عبيدة في المجاز.

٣- تطور التأليف في الإعجاز إلى محاولات بادئة في تحديد المصطلح والعمل على اكتشاف مصطلحات جديدة مع طموح متعثر وغير مسبق إلى التنظير في بعض جوانب هذا المجال ويمثل هذا كل من الجاحظ وابن قتيبة.

٤- ثم تطور إلى كثير من الدقة العلمية التي حددت المصطلح والحديث عن تعريفاته وتفريعاته وخاضت في عباب الجدل العقلي الذي كان يحمل هموم حضارة إسلامية بكاملها تجابه قوات مناوئة تحاول أن تشوه وجه هذه الحضارة بكل ما أوتيت من لدد وافتئات ويمثل هذا الاتجاه كل من الرماني والخطابي والباقلاني.

٥- ثم ينتقل التأليف من مجرد الملاحظة إلى التأصيل والتنظير ومن مجرد المجابهة إلى التأمل والاستنباط ومن مجرد التعريف والتفريع إلى فلسفة التفريعات والتعريفات[٢].

---

(١) نظرية الاعجاز القرآني، د أحمد سيد عمار، ٣٠، ٣١، ط: دار الفكر بدمشق، ط١، عام ١٩٩٨م

(٢) المرجع السابق، ص ٤٠، ٤١، ولمزيد من التوضيح ينظر : الإعجاز القرآني من الوجهة التاريخية، د. محمد أحمد العزب. ص٥٣، ط دار المعارف سلسلة : كتابك.

الفصل الثاني

أنواع الإعجاز القرآني



- النوع الأول: الإعجاز اللفظي
- النوع الثاني: الإعجاز التشريعي
- النوع الثالث: الإعجاز النفسي
- النوع الرابع: الإعجاز التشريعي
- النوع الخامس : الإعجاز العلمي في القرآن في العصر الحديث

الفصل الثاني

أنواع الإعجاز القرآني

مدخل: شمولية الاعجاز للجميع

اذا كان القرآن الكريم حجة الله البالغة على عباده فإن موقع الحجة المعجزة فيه هو:

١- إما إعجاز الخلق عن الإتيان بأقصر سورة منه (اعجاز عملي واضح)

٢- ومن العلماء من توسع في أنواع الإعجاز حتى ادخلها في كل المجالات: اللفظية والتاريخية والتشريعية والعلمية و... الخ.

٣- غير أننا نجد العلامة الدكتور محمد احمد الغمراوي(٩) له وجهة أخرى وهو احد رواد هذا المضمار حين حصر كل أنواع الإعجاز في نوعين:

(رأي وسط بين الرأيين السابقين)

أ - الإعجاز اللفظي

ب - الإعجاز العلمي

وجعل الإعجاز العلمي شاملا لكل أنواع الإعجاز ما عدا الناحية اللفظية. يقول فضيلته في ذلك: اذا فهمنا الناحية العلمية على أوسع معانيها شملت كل ما عدا الناحية اللفظية من النواحي، تشمل الناحية النفسية وكيف اقتاد القرآن النفس طبق قوانين فطرتها وتشمل الناحية التشريعية وكيف نزلت أحكام

(١) عميد كلية الصيدلة الأسبق صاحب الاكتشافات العلمية العالمية في الكيمياء الحيوية عمل أستاذا بكلية الطب وعميدا لأول كلية صيدلة بالسعودية وأستاذا بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر. ينظر: الإسلام في عصر العلم، الرسالة والرسول والقرآن والإعجاز العلمي، د. محمد احمد الغمراوي، ط دار الانسان بالقاهرة ط٤ عام ١٤١١هـ ١٩٩١م.

القرآن طبق قوانين الفطرة للأفراد والجماعات وتشمل الناحية التاريخية التي لم يكن يعلمها البشر عند نزول ما اتصل بها من آيات القرآن. . . ثم تشمل الناحية الكونية ناحية ما فطر الله عليه غير الانسان من الكائنات في الارض وما فطر عليه الأرض وغير الأرض في الكون[1].

• **دليل هذا الرأي** : يستدل الدكتور الغمراوي على وجهة نظره تلك بان البشرية منها ما هو عربي وما هو أعجمي فالعرب تلزمه حجة القرآن ويظهر إعجازه عليه باللفظ وغير العرب تلزمه الحجة بالإعجاز في الناحية العلمية.

يقول فضيلته: (الإنسانية كلها مخاطبة بالقرآن مطالبة بالتسليم له انه كلام الله. . . والإنسانية أعجميها أكثر من عربيها ومع هذا فلا بد أن يتضح إعجاز القرآن لكل إنسان ولو كان أعجمي اللسان لتلزمه حجة الله إن هو أبى الاسلام. .)[2].

وعلى أية حال ففيما يلي إشارة مجملة لبعض أنواع الإعجاز القرآني قبل الوقفة الكبيرة مع الإعجاز العلمي إن شاء الله تعالى.

النوع الأول: الإعجاز اللفظي

• **تعريفه** : هو ذلك النوع من الإعجاز الذي يظهر ما اشتمل عليه القرآن من البلاغة والبيان، والتركيب المعجز، الذي تحدى به الإنس والجن أن يأتوا بمثله، فعجزوا جميعا عن ذلك.

أهمية هذا النوع:

١- أنه أول أنواع الاعجاز ظهورا

ولأهمية هذا النوع من الإعجاز أفرده بالتصنيف علماء كثيرون منهم الباقلاني في (إعجاز القرآن) والجرجاني في دلائل الإعجاز، والرافعي في (إعجاز القرآن) والدكتور محمد عبد الله دراز في (النبأ العظيم) وجعلوه أكثر

(١) السابق ص٢١١
(٢) السابق ص٢٢١

الأوجه بيانا إذا تكلموا فيه مع غيره، ولهذا أيضا كان جديرا بالبدء به وجعله في صدارة وجوه الإعجاز.[1]

٢- أنه قد حدث به التحدي على المراحل التالية :

المرحلة الأولى : طلب الاتيان بمثل القرآن كاملا، وهذا يتمثل في قوله تعالى: ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الطور: ٣٤] ، فعجز الجميع.

المرحلة الثانية : طلب الاتيان بعشر سور منه فقط - وهذا قوله تعالى :

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [هود: ١٣]

المرحلة الثالثة : طلب الاتيان بسورة واحدة منه، فقد أعاد التحدي في المدينة بعد الهجرة، فقال تعالى :

﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [البقرة: ٢٣-٢٤]

المرحلة الرابعة : ولن تفعلوا في المستقبل: قوله تعالى : ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا ﴾ أي : فإن لم تفعلوا في الماضي، ولن تستطيعوا ذلك في المستقبل، فثبت التحدي، وأنهم لا يستطيعون أن يأتوا بسورة من مثله فيما يستقبل من الزمان، كما أخبر قبل ذلك، وأمر النبي ﷺ وهو بمكة أن يقول:

﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الاسراء: ٨٨]

والقرآن يشتمل على آلاف المعجزات؛ لأنه مائة وأربع عشرة سورة، وقد

(١) ينظر: عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، د محمد السيد راضي جبريل ص١٩ دار السعادة، بالقاهرة.

وقع التحدي بسورة واحدة، وأقصر سورة في القرآن سورة الكوثر، وهي ثلاث آيات قصار، والقرآن يزيد بالاتفاق على ستة آلاف ومائتي آية، ومقدار سورة الكوثر من آيات أو آية طويلة على ترتيب كلماتها له حكم السورة الواحدة، ويقع بذلك التحدي والإعجاز

من صور الاعجاز اللفظي :

- **الصورة الأولى : أسرار الحروف المقطعة**

من أهم صور الإعجاز اللفظي التي وقف أمامها العلماء من العصور الأولى إلى اليوم : الحروف المقطعة ودلالتها.

وقد وردت هذه الحروف في القرآن على الوجه الآتي:

- **السور التي استفتحت ببناء حرف واحد فقط:**

١- سورة القلم(ن)　　٢ـ سورة ق(ق)　　٣ـ سورة ص(ص)

- **السور التي استفتحت ببناء حرفين:**

١- سورة طه　　٢- سورة يس　　٣- سورة النمل(طس)

٤- سورة غافر(حم)　　٥- سورة فصلت(حم)　　٦- سورة الزخرف(حم)

٧- سورة الدخان(حم)　　٨- سورة الجاثية(حم)　　٩- سورة الأحقاف(حم)

- **السور التي استفتحت ببناء ثلاثة حروف:**

١- سورة البقرة(ألم)　　٢- سورة آل عمران(ألم)

٣- سورة العنكبوت(ألم)　　٤- سورة الروم(ألم)

٥- سورة السجدة(ألم)　　٦- سورة يونس(ألر)

٧- سورة هود(ألر)　　٨- سورة إبراهيم(ألر)

٩- سورة يوسف(ألر)　　١٠- سورة الحجر(ألر)

١١- سورة لقمان(ألر)　　١٢- سورة الشعراء(طسم)

١٣- سورة القصص(طسم)

- السور التي استفتحت ببناء أربعة حروف:

١- سورة الأعراف(المص)   ٢- سورة الرعد(المر)

- السور التي استفتحت ببناء خمسة حروف:

١- سورة مريم(كهيعص)   ٢- سورة الشورى(حم عسق)

موقف العلماء من هذه الحروف:

وقد انقسم العلماء في موقفهم إزاء تفسير هذه الحروف إلى قسمين:

الموقف الأول: التوقف وعدم الخوض وذهب إليه الشوكاني(١) والقرطبي(٢) وابن كثير(٣) وقد قال بهذا الرأي جمع كبير من الصحابة كعمر وعثمان وابن مسعود مؤكدين أنها سر الله في القرآن وهي من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه.

الموقف الثاني: محاولة بيان معانيها، وكشف أسرارها، وذهب إليه ابن عباس وجمع من المفسرين منهم الزجاج والكلبي(٤).

وردوا على الموقف الأول : بأنها كلام الله ولا يعقل أن يخاطبنا الله بما لا نفهم ثم أين رأيكم من دعوة القرآن للتفكر والتأمل فيه

آراء العلماء في أوجه إعجاز الحروف المقطعة لفظيا :

تلمس العلماء وجوها للاعجاز اللفظي في الحروف المقطعة فكانت هذه الآراء على النحو التالي :

الرأي الأول: يرى بعض العلماء أن هذه الفواتح مثل : ألم، ألر، ألمص : تشير إلى إعجاز القرآن، بأنه مؤلف من الحروف التي عرفها العرب، وصاغوا منها مفرداتهم، وصاغوا من مفرداتهم تراكيبهم، وأن القرآن لم يغير من أصول اللغة ومادتها شيئا، ومع ذلك كان القرآن معجزا، لا لأنه نزل بلغة تغاير لغتهم، ولكن لأنه نزل بعلم الله عز وجل، كأنه يرفع راية التحدي متسائلا : ما معنى هذه التراكيب من حروف لغتكم التي تعرفونها ؟

---

(١) فتح القدير لمحمد بن علي الشوكاني ١ / ٣٠دار المعرفة بيروت لبنان ط١، ٢٠٠٤م.
(٢) الجامع لأحكام القرآن لأبي محمد بن أحمد القرطبي ١ / ٨١ دار ابن حزم ط١ ٢٠٠٤م.
(٣) تفسير ابن كثير لإسماعيل بن عمر بن كثير، ١ / ٣٨، دار الفكر بيروت ١٤٠١هـ.
(٤) الجامع لأحكام القرآن ١/ ٨١,

الـــرأي الثانـــي: أن هذه الحروف المقطعة التي بدأت بها بعض سور القرآن إنما هي أدوات صوتية مثيرة لانتباه السامعين، يقصد بها تفريغ القلوب من الشواغل الصارفة لها عن السماع من أول وهلة، فمثلا "ألـم" في مطلع سورة البقرة وهي تنطق هكذا "ألف لام ميم" تستغرق مسافة من الزمن بقدر ما يتسع لتسعة أصوات، يتخللها مد الصوت عندما تقرع السمع يتهيأ فتجذبه لعقبى الكلام قبل أن يسمع السامع قوله تعالى بعد هذه الأصوات التسعة (ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين) وإثارة الانتباه بمثل هذه المداخل سمة من سمات البيان[1].

الـــرأي الثالـث: هى نصف حروف المعجم وفيها نصف صفاتها : قال الإمام الزمخشري إن في هذه الحروف سرا دقيقا من أسرار الإعجاز القرآني المفحم، وخلاصة رأيه هذا في قوله : "واعلم أنك إذا تأملت ما أورده الله عز سلطانه بفواتح من هذه الأسماء يقصد الحروف وجدتها نصف حروف المعجم أربعة عشر سواء، وهي الألف واللام والميم والصاد والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون في تسع وعشرين سورة على حذو حروف المعجم" ثم إذا نظرت في هذه الأربعة عشر وجدتها مشتملة على أنصاف أجناس الحروف، بيان ذلك أن فيها : من المهموسة نصفها "الصاد، الكاف، الهاء، السين، الخاء" ومن المجهورة نصفها: "الألف، اللام، الميم، الراء، العين، الطاء، القاف، الياء، النون" ومن الشديدة نصفها: "الألف، الكاف، الطاء، القاف" ومن الرخوة نصفها : "اللام، الميم، الراء، الصاد، الهاء، العين، السين، الحاء، الياء، النون" ومن المطبقة نصفها: "الصاد، الطاء" ومن المنفتحة نصفها : "الألف، اللام، الميم، الراء، الكاف، الهاء، العين، السين، الحاء، القاف، الياء، النون" ومن المستعلية نصفها : "القاف، الصاد، الطاء" ومن المنخفضة نصفها : "الألف، اللام، الميم، الراء، الكاف، الهاء، الياء، العين، السين، الحاء، النون" ومن حروف القلقلة نصفها : "القاف، الطاء"[2]

(١) ينظر: دراسات في القرآن الكريم، د. محمد إبراهيم الحفناوى، ص ٣٦ وما بعدها ط دار الحديث بالقاهرة، بدون.

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري، ١/ ٢٩، ط دار الريان للتراث ط ٣ عام ١٩٨٧م.

• **تعليق** : يظهر مما أورده الامام الزمخشري أن هذه الحروف يلحظ فيها ملحظان إعجازيان:

الملحظ الأول : من حيث عدد الأبجدية العربية، وهي ثمانية وعشرون حرفا فإن هذه الحروف المذكورة في فواتح السور تعادل نصف حروف الأبجدية، يعني أن المذكور منها أربعة عشر حرفا والذي لم يذكر مثلها أربعة عشر حرفا.

الملحظ الثاني : من حيث صفات الحروف وهي : الهمس في مقابلة الجهر، والشدة في مقابلة الرخاوة، والانطباق في مقابلة الانفتاح، والاستعلاء في مقابلة الانخفاض، والقلقلة في مقابلة غيرها.

فنلاحظ فيها انتصافاً وتناسباً دقيقاً بين المذكور والمتروك، وهو ذو مغزى إعجازي مذهل لذوي الألباب..!

الرأي الرابع: ائتوا بحروف مقطعة مثلها : أن هذه الحروف في أوائل السور جاءت للتحدي فأدوات اللغة هي الحروف العربية التي تتكلمون بها ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾، فلما عجزوا عن ذلك كان ذكر هذه الحروف في أوائل السور بيانا لإعجاز القرآن، وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله، مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها.

الرأي الخامس: امتثال واستجابة : قال هذا الفريق بأن هذه الحروف في أوائل السور نزلت لتعلمنا كيف نستجيب لله تعالى حتى ولو لم نفهم علة الأمر، فالعبودية الخالصة لله هي الامتثال لأمره ولو لم تفهم علة الأمر، وكذلك القرآن الكريم نزل للتعبد، فنحن نقرأ آيات القرآن ونتعبد الله تعالى فيها مع أننا لا نفهم معناها في بعض الأحيان، فكأن الله تعالى يدربنا على أن نستجيب له ولو لم نفهم علة الأمر[1].

---

(١) لمزيد من البيان حول الرأيين الرابع والخامس: ينظر: دراسات في القرآن الكريم، د. محمد إبراهيم الحفناوي، ص ٥٣، مرجع سابق.

الرأي السادس: تعلم القرآن بالمشافهة : نزلت الحروف المقطعة في أوائل السور لكي تخبرنا أن القرآن حفظ صوتا مثلما حفظ سطرا، ولقد وضح هذه القضية الدكتور/ فاضل صالح السامرائي في قوله:

لقد عرف العلماء ترجمة اللغة الفرعونية ولكن لم يعرفوا كيف ينطق بهذه اللغة الفرعونية، فعرفوا ترجمتها سطرا ولم يعرفوا ترجمتها صوتا، ولم يترك لنا الفراعنة (شريط كاسيت) مثلا بصوتهم حتى نعرف الكيفية التي كانوا ينطقون بها.

فالأصوات تُحكى ولا تُكتب، ولذلك الولد الذي يولد أصم لا يتكلم لماذا ؟ لأنه لم يسمع لكي يقرأ، وطريقه الأخذ من أفواه المشايخ المتقنين للتلاوة، ولا يكفي تعلم القواعد التجويدية.

فالأصل في القرآن المشافهة، فعليك أن تسمع لكي تنطق بالقرآن صحيحا ولذلك هذا معنى قول جبريل عليه السلام لمحمد ﷺ في بدآية الوحي : اقرأ، فقال النبي ﷺ : ما أنا بقارئ، فالنبي ﷺ انصرف ذهنه إلى فك الخط، فأجابه الملك اقرأ باسم ربك الذي خلق (أي ردد ورائي) ففعل ذلك النبي ﷺ فكأنما نقشت في صدره. فالقرآن الكريم يتميز بأنه مسموع مقروء ولذلك قال الله تعالى :

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٤)﴾ [الاحقاف: ٢٤]

فالقرآن لا بد أن يقرأ كما سمع، والحروف المقطعة هذه كما سمعت قرئت وهذا دليل على أن القرآن محفوظ بصوته من بدآية الوحي إلى الآن.

• **مثال** : في أول سورة الشرح نقرأ ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾ وفي سورة الفيل ﴿ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل﴾ وفي أول سورة البقرة نقرأ ﴿ألم﴾ ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه﴾ فننطق هذه ألم، وننطق هذه ألف لام ميـــم، فلماذا لم ننطقها مثل بعضها البعض ؟ لأننا هكذا سمعنا هذه وهكذا سمعنا هذه.

فهذا دليل على أن القرآن يقرأ كما سمع لا كما كتب.[1]

الرأي السابع : دعوة للتفكر في القرآن بدليل أن كل حرف بعده ذكر للقرآن الكريم

• **رأي جديد جدير بالاهتمام :** نشر الباحث سعيد علي المحرمي على الانترنت نتائج بحثه حول الحروف المقطعة مظهرا اعجازا كبيرا مفاده ان الحروف المقطعة في اول كل سورة هي اكثر الحروف ورودا فيها فمثلا: (الم) أكثر الحروف ورودا في سورة البقرة على الترتيب : الالف أولا فقد وردت ٤٥٧٦مرة واللام ثانيا فقد وردت ٣١٧٨ مرة والميم ثالثا فقد وردت ٢١٩٢ مرة ويؤكد انه راجعها على الكمبيوتر أكثر من مرة، بل انه يستدل على ذلك بما جاء في كتاب تيسير المنان لخدمة آيات القرآن[2] للشيخ وسيم عبد القادر العمودى الشافعي ان عدد الحروف المقطعة في أول سورة البقرة أكثر ورودا من غيرها، حيث ورد ذكر :

الحرف	عدد مرات ذكره	الحرف	عدد مرات ذكره	الحرف	عدد مرات ذكره
أ	٤٥٧٦	ر	٨٧٤	غ	٧٥
ب	٩١٨	ز	١٠٧	ق	٥٥٣
ت	١١٨٥	س	٤٥٠	ك	٨٣٢
ث	١٢٨	ش	١٦٧	ل	٣١٧٨
ج	٢٢٠	ص	١٥٦	م	٢١٩٢
ح	٣٢٨	ض	١٣٣	ن	٢٠١٩
خ	١٩١	ط	٩٩	هـ	١١٩٨
د	٤٥٨	ظ	٦٢	و	٢٠٨٢
ذ	٣٣٠	ع	٧٩٧	ي	١١٦٩
				إجمالي الحروف	٢٥٧٠٥

(١) ينظر : التعبير القرآني، د. فاضل صالح السامرائى، ٤٧ وما بعدها، ط دار عمار بالأردن، ط٥، ٢٠٠٧

(٢) لم أقف على هذا الكتاب.

الصورة الثانية : خصوصية القرآن في استعمال الألفاظ المختلفة :

بمعنى : أن القرآن الكريم له استعمال خاص للفظ العربي يتفرد به ويختلف عن استعمالات جميع البشر وذلك لأن القرآن الكريم ينطلق في استعماله للألفاظ عن قصد واضح في التعبير، ولذا فهو يختلف عن استعمالات جميع البشر لها، ومن الأمثلة الدالة على ذلك(1) :

١- الريح والرياح :

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الروم: ٤٦]

يستعمل البشر الريح والرياح لكل نوع منهما خيرا كانت أو شرا، لكن القرآن يستعمل الرياح فقط اذا كانت في الخير والرحمة مثل :

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الاحقاف: ٢٤]

بينما يستعمل لفظة الريح في الشر والعقاب مثل آية :

﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾

[آل عمران: ١١٧]

وآية : ﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الاحقاف: ٢٤]

وآية : ﴿فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ ﴾ [الحاقة: ٦]

---

(١) للوقوف على هذه الأمثلة وغيرها كثير ؛ راجع : التعبير القرآني، د. فاضل السامرائى، ١٤- ١٨، ط دار عمار بالأردن، ط٥ عام ٢٠٠٧ م

أما آية :

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ ٢٢﴾ [يونس: ٢٢]

فالريح الطيبة الأولى كانت تمهيدا لسير السفينة لاغراقهم بها.

٢- عيون وأعين :

نستعمل جميعا كلمتي العين والأعين جمعا للعين المبصرة أو العين المائية

أما القرآن يقصر استعمال كلمة عيون جمعا لعين الماء فقط مثل آية:

﴿فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ٤٥﴾ [الحجر: ٤٥]

وآية : ﴿فِي ظِلَٰلٖ وَعُيُونٖ ٤١﴾ [المرسلات: ٤١]

بينما يستعمل كلمة أعين جمعا للعين المبصرة مثل آية:

﴿ٱلَّذِينَ كَانَتۡ أَعۡيُنُهُمۡ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكۡرِي وَكَانُواْ لَا يَسۡتَطِيعُونَ سَمۡعًا﴾ [الكهف: ١٠١]

وآية : ﴿سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ ١١٦﴾ [الأعراف: ١١٦]

وآية : ﴿تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ ٨٣﴾ [المائدة: ٨٣]

ولا يبادل بينهما أبدا

٣- وصى وأوصى :

نحن نستخدم هذين الفعلين للدلالة على وصية سواء كانت مادية أو معنوية أما القرآن الكريم يقصر استعمال الفعل وصى بالتشديد على الأمور الدينية والمعنوية مثل آية

وآية : ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا ١٣﴾ [الشورى: ١٣]

﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ﴿١٣١﴾﴾ [النساء: ١٣١]

ويستعمل الفعل أوصى في الأمور المادية فقط مثل آية :

﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَـٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ ﴿١١﴾﴾ [النساء: ١١]

وآية : ﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ ﴿١١﴾﴾ [النساء: ١١]

أما اذا اجتمعت الوصية مادية ومعنوية فيمكن التبادل بين الفعلين لدلالة أحدهما مع مدلول واحد من المجموعين مثل آية :

﴿وَأَوْصَـٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾﴾ [مريم: ٣١]

٤- أنواع التأكيد :

استعمل القرآن جميع أدوات التوكيد وليس نوعا واحدا : فتارة يؤكد بأداة واحدة مثل إن كما في آية ﴿ان الله شديد العقاب﴾ في (٢٠ موضعا قرآنيا)، وتارة ثانية يؤكد بإن واللام كما في آية :

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٦﴾﴾ [الرعد: ٦]

وتارة ثالثة يؤكد بثلاثة مؤكدات كما في آية : ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ﴾ وتارة رابعة يسوق الكلام دون أي مؤكد مثل : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (في ١٣ موضعا).

٥- أدوات الاستفهام :

استعمل القرآن الكريم جميع أدوات الاستفهام ومن ذلك :

- الاستفهام بالهمزة مثل آية :

﴿أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ﴿٧٢﴾﴾ [الحج: ٧٢]

- الاستفهام بهل مثل آية :

﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ ﴿٦٠﴾ ﴾ [المائدة: ٦٠]

- الاستفهام بما مثل آية :

﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الشعراء: ٧٠]

- الاستفهام بماذا مثل آية :

﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [الصافات: ٨٥]

النوع الثاني : الإعجاز التشريعي

مدخل : التشريعات الاسلامية جاءت كي يلتزم بها المسلمون دون جدال وفلسفة، فإذا ظهرت حكم للتشريع وفوائد تعود على الناس والمجتمع ازداد التمسك بالالتزام وتم التطبيق عن محبة واختيار وليس عن قسر واجبار.

تعريفه : هو ذلك النوع من الاعجاز الذي يكشف مراعاة المصلحة الصحية والنفسية والاجتماعية ... الخ فيما أورده القرآن الكريم من تشريعات تتمثل أهمية هذا النوع فيما يلي :

١- مما لا شك فيه أن القرآن العظيم جاء بهداية، تفي بحاجات جميع البشر في كل زمان ومكان فالله خالق البشرية هو الخبير بما يصلحها ويفسدها، وما ينفعها ويضرها، فإذا شرع أمرا جاء في أعلى درجات الحكمة والخبرة

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [الملك: ١٤]

٢- ويزداد الأمر وضوحا عند التأمل في أحوال الأنظمة والقوانين البشرية التي يظهر عجزها عن معالجة المشكلات البشرية، ومسايرة الأوضاع والأزمنة

والأحـوال، مما يضطر أصـحـابهـا إلى الاستـمـرار في التـعـديل والزيادة والنقـصـان، فـيـلغـون غدا ما وضـعـوه اليوم؛ لأن الإنسان مـحل النقص والخطأ والجهل لأعماق النفس البشرية، والجهل بما يحدث غدا في أوضاع الإنسان وأحواله، وبما يصلح البشرية في كل عصر ومصر.

وهذا دليل حسي يدل على عـجز البشـر عن الإتيـان بأنظمـة تصلح الخلق وتقوم أخلاقهم.

٣- القـرآن كـلام الله سليم من كل عـيب، كـفـيل برعـآية مـصـالح العـباد، وهدايتـهم إلى كل مـا يصلـح أحـوالهـم في الدنيـا والآخـرة إذا تمسكوا به واهتدوا بهديه، قال تعالى:

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾ [الاسراء: ٩]

وبالجملة فإن الشريعة التي جاء بها كتاب الله- تعالى- مدارها على ثلاث مـصـالح: المصلحة الأولى: درء المفـاسـد عن ستـة أشـيـاء: حـفـظ الدين، والنفس، والعـقل، والنسب، والعرض، والمال. المصلحة الثانية: جلب المصـالح: فقد فتح القرآن الأبواب لجلب المصالح في جـمـيع الميـادين، وسد كل ذريعة تؤدي إلى الضرر.

المصلحة الثالثة: الجري على مكارم الأخلاق ومحاسن العادات(١).

٤- ومن الجـانب العـملي فإن القرآن الكريم قدم حـلا لجميع المشاكل العـالمية التي عجز عنها البشر، ولم يترك جانبا من الجوانب التي يحتاجـها البـشر في أمـور الدنيـا وسـعادة الآخـرة إلا وضـع لهـا القـواعـد والأسس، وهدى إليها بأقوم الطرق وأعدلها.

من صور الاعجاز التشريعي:

هناك أمثلة كثيرة للتشريعات القرآنيـة التى أثبت العلم الحديث أهميتها الصحية والاجتماعية للانسانية جمعاء، لعل من أهمها:

---

١) ينظر: من وجـوه الإعـجـاز في القرآن الكريم لمحـمـد فريد عـبـد الله، ص١٥، دار المواسم ط٢٠٠٦م.

أولا : الاعجاز التشريعي في تحريم شرب الخمر :

قال تعالى:

﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ ﴿٢١٩﴾ ﴾ [البقرة: ٢١٩]

وقال جل وعلا:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [المائدة: ٩٠]

حكمة الله سبحانه وتعالى في تحريمه للخمر واضحة جلية، فهي خبيثة في ذاتها ـ كما يقول الإمام "ابن القيم"ـ مضرة للبدن وللعقل، وضررها بالرأس شديد، لأنها تسرع في الارتفاع إليه وترفع معها الأخلاط الرديئة الموجودة في البدن، لذلك فهي ضارة بالذهن ومتلفة للأعصاب" وإذا كان تعريف الخمر في الإسلام : أنها كل مادة مسكرة. فقد روى مسلم عن النبي ﷺ أنه قال: "كل مسكر خمر، وكل خمر حرام" . وفيما رواه أبو داود قال صلى الله عليه وسلم: "لعن الله الخمر، وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وآكل ثمنها" .

أثر الخمر على الجهاز العصبي للإنسان :

يقرر العلم الحديث أن مخ الإنسان يتكون من مراكز مختلفة، وأعلى المراكز في مخ الإنسان هي التي تختص بالإرادة وضبط النفس والسلوك الاجتماعي، ثم تأتي أسفل منها مراكز العقل والتفكير، ثم مراكز الحكم على الأشياء، ثم مراكز الذاكرة، ثم المراكز المسيطرة على العواطف والأحاسيس، ولأن مفعول الخمر يسري في المخ من أعلى إلى أسفل، فإنها تؤثر على الوظائف الأرقى في المخ ثم الأقل، لذا فإننا نجد أن أول شئ يتأثر في الإنسان بشرب كمية قليلة من الخمر هو الإرادة وضبط النفس والسلوك الاجتماعي، فإذا زادت الكمية تأثرت قدرته على التركيز الذهني وهكذا.

وقد جاء في تقرير المجلس الوطني لمكافحة الخمور في بريطانيا أن شرب الخمر لمدة طويلة يؤدي إلى تحلل الشخصية، ويسبب ضعف الإرادة وشرود الذهن، وأن مدمن الخمر لا يمكن الثقة بأقواله أو بوعوده حتى في صحوته، كما أنه لا يمكن الاعتماد عليه في المسائل القيادية أو ضبط المسائل المالية، وقد تأثر كثير من البريطانيين بهذا التقرير، ولكن لم يقلع منهم عن الخمر إلا القليل، ذلك لأنهم رأوا أن الأسباب التي ساقها المجلس الوطني قد تحتمل الصحة أو الخطأ. أما المسلمون فعندما قال الله تعالى لهم:

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [المائدة: ٩١]

فكان جواب صحابة رسول الله ﷺ على الفور: انتهينا يا ربنا، وفاضت شوارع المدينة المنورة بالخمر بعد أن سكبه المسلمون في الطرقات استجابة لأمر الله تعالى.

أثر الخمر على أعضاء الجسم الأخرى :

يقول الدكتور أحمد شوقي الفنجري في كتابه "الطب الوقائي في الإسلام" :

لو أنك أحضرت خلية حية نشيطة الحركة مثل الأميبا، ونظرت إليها تحت الميكروسكوب وهي تتحرك وتأكل في الوسط المائي، ثم أضفت بعد ذلك الكحول بنسبة ١٪ فإنه يقل نشاطها وتمتنع عن الطعام، وإذا زيدت كمية الكحول عن هذه النسبة فإنها تصاب بالتسمم وتموت، وهذا تماما ما يحدث في خلايا أجسامنا مع استمرار شرب الكحول.

على القلب والأوعية الدموية : يتسبب الكحول بنسبة ١٪ في زيادة نبضات القلب ١٠ نبضات في الدقيقة عن المعتاد مما يجهد عضلات القلب، وإذا زادت عن هذا الحد أحدثت تسمما في عضلات القلب وقد تؤدي إلى الذبحة القلبية.

على خلايا الدم : إذا وضعت قطرة كحول في الماء بنسبة ١٪ على نقطة دم فإن الكرات الحمراء ـ المسئولة عن حمل الأوكسجين لخلايا الجسم وطرد ثاني أكسيد الكربون ـ تتحول إلى صفراء، ويقل امتصاصها جدا للأوكسجين فتصاب الخلايا بما يشبه الاختناق وتتعب العضلات بسرعة. كما أن خلايا الدم البيضاء يقل نشاطها جدا فتقل مقاومة الجسم لشتى أنواع الأمراض.

على الكبد : يتسبب الكحول في المرض المعروف بـ (تليف الكبد الكحولي) وهو مرض منتشر في أوروبا بينما نراه نادر الوجود في البلاد التي تحرم شرب الكحوليات، وهذا المرض عبارة عن موت عدد كبير من خلايا الكبد الحية بتأثير الكحول حيث تتحول إلى نسيج ليفي، وإذا كانت نسبة التليف كبيرة فالوفاة تكون هي أقرب الاحتمالات، وقد أجرى أحد العلماء النمساويين بحثا على نسبة الوفيات في أوروبا وأمريكا من حالات تليف الكبد، فوجد أن هذه النسبة قد قلت إلى النصف خلال سنوات الحرب العالمية الثانية عندما كانت الخمور شحيحة ولا توزع إلا ببطاقات التموين!!

على نقص الفيتامينات : يصاحب الخمر نقص شديد في الفيتامينات في الجسم خصوصا فيتامين (أ)، وفيتامين (ب) بأنواعه المختلفة وفيتامين (جـ) وهذا يؤدي إلى ظهور أمراض خطيرة مثل "البلازما" ومرض "البري بري" الذي قد يسبب تورما وهبوطا في القلب، ومرض الإسقربوط أيضا الذي يتسبب في جفاف الجلد والعشي الليلي والتهاب الفم واللسان، والتهاب قرنية العين.
آثار خطيرة أخرى للخمر : ينتج عن تعاطي الخمور نقص كبير في الزنك في جسم الإنسان، مما يسبب كثيرا من الأمراض الجلدية. يؤدي تعاطي الخمور إلى تفاقم المرض الجلدي المعروف باسم "البورفيريا" الذي يجعل الجلد شديد الحساسية لأشعة الشمس.

هناك علاقة وطيدة بين الخمر والطفح الجلدي الناتج عن احتكاك الجلد والضغط عليه بالملابس، حيث جرت الأبحاث وتأكد للخبراء أن هذه الحالات تتحسن كثيرا بامتناع أصحابها عن شرب الخمور.

وللخمر تأثير خطير على الكليتين، فهو يصيبهما بتحول دهني، كما أنه يؤدي إلى إصابتها بمرض "الدوزيما" الذي يؤدي إلى التسمم البولي ومن ثم إلى الوفاة.

تؤدي الخمر إلى هبوط القدرة الجنسية لشاربها إلى مستوى متدن حتى ينتهي أمره عادة بالاسترخاء التام، وذلك نتيجة رد فعل شديد في أعصاب المراكز العليا والسفلى في الجسم، كما أثبتت الأبحاث أن الخمر تحدث ضمورا شديدا في الخصية، وأن إدمانها يجعل الحيوانات المنوية نادرة الإفراز.

الخمر يحدث التهابات كثيرة بمنطقة الحلق والحنجرة إما حادة أو مزمنة، فضلا عما تحدثه من الالتهابات التي تسبب ضيقا في البلعوم، فيعاني متعاطيها من حالات الاختناق المتكررة.

الخمر والأثر الاجتماعي :

للخمر دور هدام خطير في المجتمع، فمتعاطي الخمر الذي يظن أنه بتعاطيها سيصبح اجتماعيا مرحا ودودا، سرعان ما يكتشف أن هذا كان في البدآية فقط، نتيجة تخدير العقل الواعي الذي تحدثه الخمر، ثم لا يلبث أن يتحول الإنسان إلى الانعزال والانطواء مع تلاشي هذا الوهم، وكثيرا ما يتحول مدمن الخمر إلى شخص عدواني ناقم على المجتمع شديد الحقد، كما أن قدرته على العمل والإنتاج تتضاءل جدا حتى يصبح عالة حقيقية على مجتمعه. هناك مشكلة اجتماعية أخرى تسببها الخمور، فأولاد المدمنين يكونون عادة معتلي الجسم، ناقصي العقل، ذوي ميل فطري إلى الإجرام ودوافع معقدة لارتكاب الخطيئة. وهكذا نرى أن الأجيال التي تنشأ في جو عام يبيح شرب الخمر تكون أجيالا فاسدة لا يمكن أن يعهد إليها ببناء مجتمع قوي ولا حتى بيت سليم.

أيضا هناك أثر خطير لشرب الخمر على قيادة السيارات والمركبات، فقد أثبتت مجموعة من العلماء البريطانيين أن حوادث المرور سببها الرئيسي شرب الخمر، وأنه من الممكن تجنب وقوع الكثير فيها لو تم التشديد على منع مدمني الخمور من قيادة السيارات.

ثانياً - الاعجاز التشريعي في تحريم الربا :

يقول تعالى : "الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون" .

الربا من الأمور التي حرمها الله تعالى وفي هذا التحريم إعجاز اجتماعي عظيم لأن الربا لا يضر فقط الفرد أو رجل الأعمال التاجر إنما يضر أسرته ومجتمع بل الأمة كلها، قال تعالى ﴿فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ وكأن هناك جيش يقوده الله تعالى أمام ذاك المرابي، فإن نظام الربا نظام يفتت المجتمع ونظام يدمر الأمم ويهلك الفرد والأسرة ولهذا حذرنا النبي عليه السلام من أكل الربا بحديث (من أكل درهما من الربا أشد من ست وثلاثين زنية).

الإسلام اعطى للمال قيمة كبرى ليس في ذاته لكن لأنه وسيلة تقييم جهود وممتلكات الآخرين لهذا لا يجوز لهذه الوسيلة أن تنمو إلا بطريقة حقيقية ولا تتناقص إلا بخسارة فعلية حتى تصبح وسيلة صحيحة للقياس.

يقول الدكتور / زغلول النجار خلال أحدى حلقات برنامج "الاعجاز الاجتماعي" الذي يقدمه د. جاسم المطوع على قناة اقرأ الفضائية والذي ناقش فيه موضوع "الإعجاز في تحريم الربا" .

لو كان عندي مسطرة طولها خمس وعشرون مثلا فأجدها مرة خمسا وعشرين ومرة خمسا وثلاثين فلا تصلح للقياس ولهذا لكي يصبح المال وسيلة لممتلكات الآخرين لا بد أن تبقى قيمته ثابتة لا يزيد المال إلا بإنتاجية فعلية ولا يتناقص إلا بخسارة حقيقية ولهذا حرم الإسلام الربا تحريما قاطعا وجاء في الربا وأحاديث للنبي عليه الصلاة والسلام تؤكد على حرمة الوقوع في هذا الحد من حدود الله الذي جعله النبي أحد السبعة الموبقات المهلكات التي حدثنا عنها في أحاديث كثيرة والقرآن يقول: "الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل

الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون" .

لأن نهآية الربا أن يكسح كسحا كاملا ويتخيل الربا أنه وسيلة نماء وهو ليس وسيلة نماء إنما هو وسيلة تدمير

الحكمة الرئيسية حمآية الفقراء وأصحاب الدخل المحدود في المجتمعات الإنسانية لأن التاجر إذا رفعت له سلعتك فسيرفع عليك سلعته أما الموظف والعامل والمحال إلى التقاعد أو الأرملة أو اليتيم أو الفقراء في المجتمع عموما أصحاب الدخل المحدود يتأذون إيذاء كبيرا من الربا، لأن الربا هو الذي يؤدي إلى ارتفاع الأسعار يوما بعد يوم

ويضيف الدكتور زغلول: الربا إضافة للمال دون جهد ودون مخاطرة ودون إنتاجية فعلية يؤدي إلى ما يؤدي إلى التضخم والتضخم معناه أن يزيد كم المال وتضعف قوته الشرعية وهكذا فإن أصحاب الدخل المحدود يكتوون بهذا الفارق اكتواء شديدا .

لذلك فإنه من أسباب تحريم الربا حمآية الفقراء في المجتمع وفي نفس الوقت الوقوف أمام النماء الاصطناعي الغير حقيقي لمال فأنا مثلا عندي مشروع سيكلف مائة مليون دولار فلو تساهمنا فيه وطرح في السوق وجمعنا مائة مليون دولار وجمعنا مائة مليون دولار تأتي البضاعة الناتجة عن هذا المشروع سيارة أو ماكينة من احتياجات الإنسان تأتي بتكلفتها زيادة على ذلك مصاريف النقل ولو أنني اقترضت هذا المبلغ من بنك بنوك الربوية فيفرض علي ابتداء عشرين بالمائة زيادة مثلا والمصنع لكي يقام سيبقى أربع أو خمس سنوات وستكون هذه الفائدة قد تضاعفت مرتين أو أكثر فيكتوي بذلك أصحاب الدخل المحدود في المجتمع .

لهذا فإن البنوك الإسلامي هي بنوك تذهب إلى المشروع الاستثماري أو الإنتاجي بطريقة مباشرة دون اقتراض من البنوك وتقف عند هذه الثغرة التي أرادنا ربنا أن نبتعد عنها .

المرابي وصف مصاص الدماء أي كأنه يمص دماء البشر ويمص أموال البشر والهدف من المال وتنميته في المجتمع أنه يشغل الناس ويدفع المجتمع نحو التنمية والرخاء لا أن أكتنز الأموال لجهة واحدة من خلال القرض ثم أعطيهم بعض الأرباح والذي يستفيد هو الغني والفقير يزداد فقرا. وهنا ذكر النبي عليه الصلاة والسلام أن من علامات الساعة أن يربح المرء الدينار والدرهم دون أن ينظر أهو من حلال أم من الحرام.

د. زغلول: تحريم الربا لم يأت فقط بهذه الآيات القرآنية الكريمة بل إن القرآن يحذر تحذيرا شديدا للوقوع في هذا الحد من حدود الله وهو القائل "فإن لن تنتهوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله"، ومعنى هذا أنه من لم ينته عن الربا بعد أن يصله هذا الحرب فليستعد بحرب من الله ورسوله ولا أظن عاقلا يستطيع أن يقف أمام الله ورسوله والنبي عليه السلام يقول:

لعن الله في الربا آكله وموكله وكاتبه وشاهديه أي كل من له صلة في عملية الربا يلعنه الله تعالى ولا يمكن أن يستقيم له شأن في الدنيا أو في الآخرة لهذا قال الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس.

بعض المفسرين قالوا هذا في الآخرة لكنني أقول إنه في الدنيا قبل الآخرة لأن الذي يفتح شهيته لجمع المال بأية طريقة ممكنة سواء بطريقة مشروعة أو غير مشروعة فسيصبح كالمجنون والمصروع الذي لا يعنيه شأن من شؤون الحياة إلا جمع المال ولهذا نرى الناس في سوق المال كذلك والتشبيه القرآني ينطبق عليهم تماما.

- إذن مخطئ من يقول إنما البيع مثل الربا وإنما أحل الله البيع وحرم الربا ففي تحريم الربا إعجاز اجتماعي في القرآن والسنة.

رأي الدكتور / القرضاوي : تحريم الربا يرتبط بالعلة لا بالحكمة، و من الواجب على المسلم أن يمتثل أمر الله تعالى فيما أمر ونهى، ولتحريم الربا جوانب عديدة، من الناحية الأخلاقية والاقتصادية والاجتماعية.

الإسلام حين شدد في أمر الربا وأكد حرمته، إنما راعى مصلحة البشرية في أخلاقها واجتماعها واقتصادها.

وقد ذكر علماء الإسلام في حكمة تحريم الربا وجوها معقولة، كشفت الدراسات الحديثة وجاهتها وأكدتها وزادت عليها.

ونكتفي بما ذكره الإمام الرازي في تفسيره:

أولا: أن الربا يقتضي أخذ مال الإنسان من غير عوض. لأن من يبيع الدرهم بدرهمين يحصل له زيادة درهم من غير عوض ومال الإنسان متعلق بحاجته، وله حرمة عظيمة، كما في الحديث: "حرمة مال الإنسان كحرمة دمه" فوجب أن يكون أخذ ماله من غير عوض محرما.

ثانيا: أن الاعتماد على الربا يمنع الناس عن الاشتغال بالمكاسب وذلك لأن صاحب الدرهم إذا تمكن بواسطة عقد الربا من تحصيل الدرهم الزائد، نقدا كان أو نسيئة، خف عليه اكتساب وجه المعيشة، فلا يكاد يتحمل مشقة الكسب والتجارة والصناعات الشاقة وذلك يفضي إلى انقطاع منافع الخلق. ومن المعلوم أن مصالح العالم لا تنتظم إلا بالتجارات والحرف والصناعات والعمارات.

(ولا شك أن هذه الحكمة مقبولة من الوجهة الاقتصادية)

ثالثا: أنه يفضي إلى انقطاع المعروف بين الناس من القرض؛ لأن الربا إذا حرم طابت النفوس بقرض الدرهم واسترجاع مثله، ولو حل الربا لكانت حاجة المحتاج تحمله على أخذ الدرهم بدرهمين، فيفضي ذلك إلى انقطاع المواساة والمعروف والإحسان.

(وهذا تعليل مسلم من الجانب الأخلاقي).

رابعا: الغالب أن المقرض يكون غنيا، والمستقرض يكون فقيرا فالقول بتجويز عقد الربا تمكين للغني من أن يأخذ من الفقير الضعيف مالا زائدا وذلك غير جائز برحمة الرحيم.

(وهذه نظرة إلى الجانب الاجتماعي).

ومعنى هذا أن الربا فيه اعتصار الضعيف لمصلحة القوي، ونتيجته أن يزداد الغني غنى والفقير فقرا. مما يفضي إلى تضخم طبقة من المجتمع على حساب طبقة أو طبقات أخرى مما يخلق الأحقاد والضغائن، ويؤرث نار الصراع بين المجتمع بعضه مع بعض، ويؤدي إلى الثورات المتطرفة والمبادئ الهدامة. كما أثبت التاريخ القريب خطر الربا والمرابين على السياسة والحكم والأمن المحلي والدولي جميعا.

ثالثا : الإعجاز التشريعي في تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير

قال تعالى :

﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (١٢١) ﴾ [الأنعام: ١٢١]

وقال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (١٧٢) إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٧٣) ﴾ [البقرة: ١٧٢-١٧٣]

وقال جلَّ في علاه:

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ (٣) ﴾ [المائدة: ٣]

المرض أو غيره من السموم التي أدت لموتها باقية فيها مستقرة في لحومها لعدم خروج دمها منها.. إن أكلْتها مرضتَ. إحذر أن تأكل منها فكلّها جراثيم، إنها مرتع خصيب للميكروبات المرضية التي تسبب أمراضاً فتّاكة بالإنسان، ومن هذه الميكروبات ما ينتج سموماً تُودي بصحة الإنسان، ومن ميزات بعض هذه الذيفانات الضارة التي تولّدها تلك الميكروبات أنها لا يخربها الطهي حتى بالدرجات المرتفعة من الحرارة.

أما عن تحريمه تعالى للدم: فالدم من أفضل الأوساط ملائمةً لنمو الجراثيم وتكاثرها، وقد أسلفنا عن استخداماته في مختبرات الجراثيم علماً أنه يحوي نسبة من منتجات الاستقلاب السامَّة. ومن هنا كان وجوب ذكر اسم الله على الذبيحة، إذ أن وجود الدم في جسم الحيوان الميت يساعد على نمو الميكروبات فيه ويسرِّع من فساد لحمه. كما أن تناول الإنسان لكمية منه عن طريقٍ ما يؤدي لتكوين مركبات نشادرية تؤثِّر على المخ وما فيه من مراكز عصبيةٍ مؤدية لإحداث تغيرات قد تُوصل أحياناً إلى الغيبوبة وفقدان الوعي.

أما عن لحم الخنزير فنذكر طرفاً من الحكمة الإلهية في تحريمه والطرف الأهم نتعرَّض له فيما بعد بالمكان المناسب.

ولنأتِ على ذكر بعض أنواع الطفيليات التي يحويها لحمه:

فلقد تبيَّن بعلم الطب والأطباء منذ مدة ليست ببعيدة أن لحمه ودمه وأمعاءه تحتوي على دودة شديدة الخطورة ألا وهي الدودة الشريطية المسلحة Tinea soleam تتخذ من الخنزير عائلاً وسيطاً تستقر في عضلاته بشكل أكياس، فإذا ما تناولها الإنسان أصبحت دودة كاملة تسكن بأمعائه بطول يتراوح ما بين (٢-٤) أمتار. وقد تؤدي به لداء خطير (داء الأكياس المذنبة) حيث تستقر هذه الأكياس (منتقلة من جدار الأمعاء الدقيقة في الإنسان إلى الدوران الدموي) تحت الجلد، في العين، في العضلات، في الجهاز العصبي والتي لا علاج لها إلاَّ العمل الجراحي. ومن صفات هذه الدودة المسلحة أن لها كلاليب (محاجم) تستطيع بها أن تتمسَّك بجدار الأمعاء وذلك عندما يتناول الإنسان المصاب الدواء المخدر لإزالتها بإرشاد الطبيب فيؤثِّر عليها فيخدرها لتسقط من جسم الإنسان، غيرها من الديدان يخرج خارجاً بالتبرُّز بعد أن يخدره الدواء، أما هذا النوع Tinea soleam الشريطية المسلحة بكلاليب) فيبقى متعلِّقاً بكلاليبه (محاجمه) بجدار الأمعاء حتى ينتهي مفعول الدواء (ذي التأثير المخدِّر)، عندها تنشط الدودة (الطفيلية) ممارسةً فعاليتها الضارة بالتطفل على التغذية من غذاء الإنسان وحرمانه من منفعة وفائدة الطعام عدا عن بقية الآثار السلبية من عصبيةٍ لهضميةٍ وغيرها من الأضرار.

وأما الحل فهو العمل الجراحي (شق البطن والأمعاء) لانتزاعها وتخليص الإنسان منها ويكون بذلك قد عرَّض الإنسان نفسه للعمل الجراحي وخطورته وما ينتج عنه من آثار سلبية بغنىً عنها مَن لا يتناول لحوم الخنزير في غذائه.

نوع آخر من الطفيليات يعيش بشكل أكياس في عضلات الخنزير ألا وهو أكياس دودة الترنخيا Trichinella Spiralis يصاب بها الإنسان جرَّاء تناوله للحوم الخنازير مما يؤدي لإصابته بالآلام الروماتيزمية الشديدة الناشئة عن هذه الأكياس، أو أنها تصيب عضلات اللسان أو الحنجرة أو عضلات الصدر أو الكفين أو الأذرع أو الأرجل.

قد يعترض البعض بأن وسائل الطهي الحديثة تستطيع تطهير هذه اللحوم مما بها.

نقول: إننا ذكرنا جانباً بسيطاً من الحكمة والجانب الأكبر أهمية سنطرقه فيما بعد، ثم إنَّ هذا العلم البشري احتاج قروناً طويلة ليكتشف آفة أو اثنتين بالرغم من أنَّ الله حرَّم لحم الخنزير منذ القِدَم.

وهناك آفات شديدة الخطورة لا تتأثر بالطهي مهما بلغ إتقانه، علماً أنه بحالة داء الأكياس المذنبة لا يفيد إلاَّ العمل الجراحي وخير دواء لها هو الوقآية بتجنُّب أكل لحم الخنزير.

وكذلك فإنَّ لحم الخنزير عَسِر الهضم لكثرة دهونه يسبِّب أمراضاً متعددةً كتصلُّب الشرايين وارتفاع ضغط الدم والذبحة الصدرية والتهاب المفاصل.

توضيح للحكمة من تحريم أكل لحم الخنزير

ماذا نعرف عن الخنزير

الخنزير حيوان لاحم عشبي تجتمع فيه الصفات السبعية والبهيمية، فهو آكل كل شيء، وهو نهم كانس كنس الحقل والزريبة فيأكل القمامات والفضلات والنجاسات بشراهة ونهم، وهو مفترس يأكل الجرذ والفئران وغيرها كما يأكل الجيف حتى جيف أقرآنه.

يقول الإمام الدميري : إن الخنزير شرس الطباع شديد الجماع شبق تكتنف حياته الجنسية الفوضى ولا يخصص لنفسه أنثى معينة.

ويروي د. هانس هايترش قصة طريفة جرت في أحد المشافي العسكرية حيث كانت هناك حظيرة للخنازير ملحقة بالمشفي وتعيش على النفايات والفضلات ويذبح أحدها كل شهر طعاماً للمرضى، والعاملين في المشفى. وفي أحد الأيام تدافعت الخنازير على الفرن المملوء بالضمادات المضمخة بالقيح والمهيأة للحرق فالتهمتها.

وتوفيراً للعلف قررت إدارة المشفى من ثم أن يصبح نصف الضمادات المبللة بالقيح طعاماً للخنازير، وهكذا أصبحت دماء تلك الخنازير مفعمة بالسموم والذيفانات. ولنتصور الآن مرضى هذا المشفى وأكثرهم مصابون بنواسير كعقابيل للكسور الناجمة عن الطلقات النارية، إنهم يغذون بلحم خنزير مشبع بالسموم، فبدلاً من الشفاء يولد عندهم هذا اللحم هجمة جديدة من الالتهاب والتقيح.

ومن هنا نفهم كيف أن معاني الرجس قد استقر في أذهاننا التصاقها جميعاً بالخنزير، فهو لا يكاد يرى إلا وأنفه في الرغام. وإن نفورنا وتقززنا من هذا الحيوان ليس قاصراً علينا ـ نحن المسلمين ـ ففي كل من أوربا وأمريكا، ورغم أن تجارة الخنازير عندهم وتربيتها رائجة، ويتخذون منه دمى لأطفالهم ومع ذلك فأسماؤه، على اختلاف لغاتهم، تعد سبة لا يقذفون بها إلا كل زري ذميم..؟

وتثبت الأبحاث أن الخنزير يأكل الجيف والقاذورات وحتى فضلاته ولو ربي في أنظف الحظائر، كما تطالعنا الأنباء من حين لآخر عن افتراس الخنازير للأطفال الصغار، ففي مرة غفلت فيها إحدى الأمهات عن ابنها الصغير الذي تسلل إلى حظيرة الخنازير، والتي أسرعت بدورها لتمزيقه والتهامه دون أن تترك قطعة واحدة منه، وهذه النزعة لا توجد إلا في الحيوانات المتفرسة.

الأضرار الصحية لتناول لحم الخنزير

الفرق بين لحم الخنزير و غيره من اللحوم :

يحتوي لحم الخنزير على كمية كبيرة من الدهون و يمتاز باندحال الدهن ضمن الخلايا العضلية في اللحمة علاوة على تواجدها خارج الخلايا في الأنسجة الضامة بكثافة عالية، في حين أن لحوم الأنعام تكون الدهون فيها مفصولة عن النسيج العضلي ولا تتوضع ضمن خلاياه وإنما تتوضع خارج الخلايا و في الأنسجة الضامة.

وقد أثبتت الدراسات العلمية أن الإنسان عندما يتناول دهون الحيوانات آكلة العشب فإن دهونها تستحلب في أمعائه و تمتص، وتتحول في جسمه إلى دهون إنسانية، أما عندما يأكل دهون الحيوانات آكلة اللحوم أو الخنزير فإن استحلابها عسير في أمعائه وإن جزيئات الغليسريدات الثلاثية لدهن الخنزير تمتص كما هي دون أن تحول وتترسب في أنسجة الإنسان كدهون حيوانية أو خنزيرية.

ومن المدهش حقاً ملاحظة د. هانس هايترش أن الذين يأكلون شحم الخنزير من منطقة ما من جسمه فإنها تترسب في المنطقة ذاتها عند الآكل وهكذا وجد أن النساء اللواتي يأكلن فخذ لحم الخنزير يشاهد لديهن تشوه واضح في الفخذين والإليتين.

والكولسترول الناجم عن تحلل لحم الخنزير في البدن يظهر في الدم على شكل كولسترول جزئي كبير الذرة يؤدي بكثرة إلى ارتفاع الضغط الدموي وإلى تصلب الشرايين و هما من عوامل الخطورة التي تمهد لاحتشاء العضلة القلبية.

وقد وجد البروفيسور Roff 12 أن الكولسترول المتواجد في خلايا السرطان الجوالة يشابه الكولسترول المتشكل عند تناول لحم الخنزير.

ولحم الخنزير غني بالمركبات الحاوية على نسب عالية من الكبريت و كلها تؤثر على قابلية امتصاص الأنسجة الضامة للماء كالإسفنج مكتسبة شكلاً كيسياً واسعاً و هذا يؤدي إلى تراكم المواد المخاطية في الأوتار و الأربطة

والغضاريف ويجعلها رخوة مما يؤهب للإصابة بالتهاب المفاصل التنكسي وخاصة المفاصل بين الفقرات، و إلى تنكس في العظام.

والأنسجة الحاوية على الكبريت تتخرب بالتعفن والتخمر منتجة روائح كريهة فواحة لانطلاق غاز كبريت الهدروجين.

وقد لوحظ أن الآنية الحاوية على لحم الخنزير، على الرغم من أنها محكمة السد إلا أنه يتعين إخراجها من الغرفة بعد عدة أيام نظراً للروائح الكريهة النتنة وغير المحتملة الناجمة عنها.

وبالمقارنة فإن لحوماً أخرى مختلفة خضعت لنفس التجربة، فإن لحم البقر كان أبطأ تعفناً من لحم الخنزير ولم تنطلق منه تلك الروائح النتنة، ويحتوي لحم الخنزير على نسبة عالية من هرمون النمو والتي لها تأثير أكيد للتأهب للإصابة بخامة النهايات علاوة على تأثيره في زيادة نمو البطن (الكرش) وزيادة معدل النمو و خاصة نمو الأنسجة المهيأة للنمو والتطور السرطاني.

وحسب دراسات Roff فإن تلك الوجبة المسائية الدسمة الحاوية على لحم الخنزير تعتبر الأساس في التحول السرطاني للخلايا لاحتوائها على هرمون النمو علاوة على أثرها في رفع كولسترول الدم.

كما تؤكد أبحاث د. هانس هايترش احتواء لحم الخنزير على كمية عالية من الهستامين تؤهب عند آكليها لحدوث الأمراض التحسسية الجلدية مثل الأكزيمة والشرى والتهاب الجلد العصبي وغيرها بكثرة.

وقد وجد أن الشرى والحكة المعندة عند آكلي لحم الخنزير تتلاشى عند الامتناع عن أكله بشكل مطلق، بما في ذلك السجق المصنوع منه.

الأمراض التي ينقلها الخنزير

لقد حرمت الشريعة الإسلامية لحم الخنزير، و نفذها المتدينون امتثالاً لأمر الله الخالق سبحانه و طاعة له دون أن يناقشوا العلة من التحريم، لكن العلماء المحدثين توصلوا إلى نتائج مدهشة في هذا المجال : أليس من المدهش أن

نعلم أن الخنزير مرتع خصب لأكثر من ٤٥٠ مرضاً و بائياً، وهو يقوم بدور الوسيط لنقل ٥٧ منها إلى الإنسان، عدا عن الأمراض التي يسببها أكل لحمه من عسرة هضم و تصلب للشرايين و سواها.

والخنزير يختص بمفرده بنقل ٢٧ مرضاً وبائياً إلى الإنسان و تشاركه بعض الحيوانات الأخرى في بقية الأمراض لكنه يبقى المخزن والمصدر الرئيسي لهذه الأمراض : منها الكلب الكاذب وداء وايل والحمى اليابانية والحمى المتوهجة والحميرة الخنزيرية و غيرها.

الآثار السلوكية (الخلقية) التالية لأكل لحم الخنزير:

لقد أشار النبي ﷺ إلى أثر الطعام على خلق آكليه فقال : "والفخر والخيلاء في أصحاب الإبل والسكينة والوقار في أهل الغنم"

ويقول ابن خلدون : "أكلت الأعراب لحم الإبل فاكتسبوا الغلظة وأكل الأتراك لحم الفرس فاكتسبوا الشراسة وأكل الإفرنج لحم الخنزير فاكتسبوا الدياثة".

وإن أكل لحم الخنزير لابد وأن يؤثر على شخصية الإنسان وسلوكه العام والذي يتجلى واضحاً في كثير من المجتمعات الغربية حيث يكثر اللواط والسحاق والزنى وما نراه متفشياً من نتاج تلك التصرفات من ارتفاع نسبة الحمل غير الشرعية والإجهاض وغيرها.

تحريم المنخنقة: وهي التي ماتت منخنقة في بئر أو بركة أو. . . فهذه دمها بقي فيها وقد تمَّ استعراض ضرر ذلك، إذ أن دمها يساهم ويبعث على نمو أعداد هائلة من الجراثيم وكذا يتسرَّع فساد لحمها وتحدث فيه التخمرات والتفسخات. . فهي إذاً بموتها مختنقة ليست مذكاة وأكلها فيه بالغ الضرر ويودي بصحة الإنسان ورحمة من الله به فقد حرَّمها.

وعن تحريم الموقوذة: بضرب. **والمتردية:** الساقطة من مكان مرتفع. **والنطيحة:** نطحتها أخرى. **وما أكل السبع:** الذئب وما شابهه: أسد،

ضبع.. كله يعود لنفس السبب في المنخنقة، فلحمها غير مذكَّاة حيث أن دمها باقٍ فيها.

إذاً فما حرَّم جلَّ جلاله علينا اللحم المذبوح بغير الطريقة الإلهية (الإسلامية) التي علَّمنا إيَّاها سيدنا محمد (من القرآن الكريم) كما علَّمتها كل الرسل من قبله لأقوامهم منذ بدء الخلْق على هذه الأرض (تلك المتضمنة ذكر اسم الله) إلاَّ لأنه ما من منخنقة وميتة ونطيحة.. إن أَكَلْتَها إلا مرضت بسببها عاجلاً أم آجلاً، والله تعالى لا يريد لعباده إلاَّ السعادة وما خلقهم جميعاً إلاَّ لها ولكن بإعراضهم عنه وهو منبعها وعن شرائعه وأوامره الحكيمة التي فيها تسليك سبل السعادة دنيا وآخرة صار الناس إلى ما صاروا إليه من شقاء جرَّتهم للمصائب والأمراض والعلل والأحزان دنيا ثم في الآخرة، حالهم الدنيء وقلبهم المريض الملوَّث بأدران المخالفات والمعاصي يضطرهم للتطهر الآني منها بعذاب النار.

ولذلك كان حرصه تعالى النابع من عالي طور رحمته عليك كبيراً عظيماً.. يُنبِّهك ويرسم لك ما يحفظك ويبعدك عما يؤذيك، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ فالصحة ليست ملكك، أنت موكَّل عليها، إذ خُلقت للعمل العالي فحافظ على صحتك لكي تساعدك.

رابعاً: الإعجاز التشريعي في تحريم جماع الحائض والنفساء

الجماع أثناء فترة الحيض حرام شرعاً وممنوع تماماً ويجب الابتعاد عنه فالمرأة أثناء فترة الحيض تكون معرضة للكثير من الأمراض التناسلية، والافراط في الشهوة أثناء فترة الحيض يعتبر من أقوى الأسباب المؤدية إلى التهاب المبيض وأحياناً إلى العقم.

والمعروف أن الوسط المهبلي يميل إلى الحموضة، وهذه الحموضة تعمل على قتل الميكروبات وحماية الجهاز التناسلي من الالتهابات، أما أثناء الحيض فإن عنق الرحم ينفتح لكي تنزل دماء وسوائل الحيض، فتتعادل حموضة المهبل؛ لأن الحيض قلوي التأثير بطبيعته، ويصبح الجهاز التناسلي معرضاً

للإلتهابات والتي قد تصيب المبيضين وقناة فالوب، وبتكرار اللقاء الجنسي أثناء فترة الحيض تتكرر الالتهابات، وقد يحدث انسداد في قناتي فالوب مما يؤدي إلى العقم، والالتهابات المهبلية تمتد لتصيب المثانة فتشعر المرأة بصعوبة في التبول ويكون البول مصحوباً بصديد زلال.

واللقاء الجنسي هو أقرب وسيلة من وسائل نقل البكتيريا إلى المهبل، وفي أثناء فترة الدورة الشهرية (الحيض) يكون وسطاً صالحاً جداً لنمو الجراثيم وتكاثرها.

ولا تقتصر أضرار الجماع أثناء الحيض على الزوجة وحدها بل يصاب الرجل بأمراض عديدة نتيجة جماع الزوجة وهي في فترة الدورة الشهرية، فقد يصاب الرجل نتيجة الجراثيم بالتهابات في العضو الذكري، وتمتد هذه الالتهابات إلى القناة البولية والمثانة والبروستات، فيشعر الرجل بحرقان في البول وصعوبة في التبول مع نزول افرازات صديدية في العضو الذكري، ثم يكون البول مصحوباً بدم وصديد مع آلام في الحوض وأسفل الظهر، وقد يصاب بالعقم أو الضعف الجنسي.

وقد وجد أن السائل المنوي للرجل يحتوي على مادة البروستاجلاندين.

والرحم لدى المرأة يفرز مادة مضادة للبروستاجلاندين، وفي أثناء الدورة الشهرية فإن المادة المضادة تخرج مع دم الحيض (دم الدورة الطمث) فيستطيع البروستاجلاندين أن يتسرب إلى جسم المرأة دون مقاومة فيحدث لها نقصاً شديداً في المناعة مما يجعلها عرضة للهلاك بسبب أضعف الأمراض.

ولعلنا ندرك من هذه الحكمة الإلهية في تحريم النصوص الشرعية لجماع الحائض كما في قوله تعالى :

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢٢٢]

وفي حديث أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أن النبي ﷺ قال (من أتى حائضاً أو امرأة في دبرها أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد) نصوص صريحة واضحة ظهر وجه الإعجاز العلمي والطبي فيها بتقدم العلم الحديث.

النوع الثالث: الإعجاز النفسي

تعريفه : هو ذلك النوع من الاعجاز الذي يبحث في تأثير القرآن الكريم في نفوس سامعيه من حيث كونه يستجمع الألباب ويستحوذ على الأفئدة

أهمية هذا النوع : تكمن هذه الأهمية في كون هذا النوع من الإعجاز نوعا فريدا يبين أثر القرآن الكريم على النفس البشرية المسلمة وغير المسلمة فإذا كان كلام بعض البشر له سحره(إن من البيان لسحرا) فإن القرآن الكريم - كذلك - له تأثيره واستحواذه، مما يؤكد أهميتين :

الأولى: وضوح ربانية القرآن الكريم

الثانية : ازدياد المؤمن بذلك إيمانا

نوع قديم جديد : لعل من المناسب أن نشير إلى أن أول من تنبه لهذا النوع من الإعجاز هو الإمام الخطابي حيث يقول: "قلت في إعجاز القرآن وجها آخر ذهب عنه الناس فلا يكاد يعرفه الا الشاذ من آحادهم، وذلك صنيعه بالقلوب وتأثيره في النفوس فإنك لا تسمع كلاما غير القرآن منظورا ولا منثورا اذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال.. "(1)

وفي العصر الحديث : نجد الشيخ محمد الغزالي رحمه الله تعالى يؤكد هذا المعنى حين يقول : (ما أظن امرءا سليم الفكر والضمير يتلو القرآن أو يستمع إليه ثم لا يتأثر به: قد نقول: فلم يتأثر به؟ والجواب أنه ما من هاجس

(1) نظرية الإعجاز القرآني، د. أحمد سيد محمد عمار، ص١٨، مرجع سابق.
(2) ينظر: معركة المصحف، الامام الشيخ / محمد الغزالي، ١٢٩، ط المكتبة الإسلامية بالقاهرة، ط ١ عام ١٩٨٩م.

يعـرض للنفس الإنسـانية من ناحـية الحـقائق الدينيـة إلا ويعرض القـرآن له بالهداية وسداد التوجيه.

إن القرآن الكريم بأسلوبه الفريد يرد الصواب إلى أولئك جميعا، وكأنه يعـرف ضـائقـة كل ذي ضـيق، وزلة كل ذي زلـل، ثم تكفل بإزاحـتـهـا كلهـا. . . . . حتى الـذين يكذبون بالـقرآن ويرفـضـون الاعـتـراف بأنه من عند الله. . إنهم يـقـفون منه مـثلمـا يقف الماجن أمام أب ثاكل! قد لا يـنخلع من مجونه الغالب عليه، ولكنه يؤخذ فترة ما بصدق العاطفة الباكية.

أو مثلما يقف الخلي أمام خطيب يهدر بالصدق، ويحدث العميان عن اليقين الذي يرى ولا يرون. . إنه قد يرجع مستهزئا، ولكنه يرجع بغير النفس التي جاء بها(٢).

هذا التـأثيـر النفسي الذي أشـار إليه الـشيـخ رحـمـه الله هو من أظهـر خصائص القرآن الكريم التي تبرز عند سماعه، فيمضي سامعه في تفكير يملك عليه أقطار نفسه، فيفضي به إلى الإيمان إذا صفت نفسه واستقامت فطرته، أو يفضي به إلى مزيد من العناد يدفع به هذا التأثير الغالب خشية الاقتناع به إذا كان السامع غليظ القلب جاحدا للحق مظلم النفس، وعندها يأتي من أبواب التدليس والكذب ما يعلل به هذا العناد.

من صور الاعجاز النفسي :

هناك أمثلة كثيرة على ما يفضي إليه تأثير القرآن في نفوس سامعيه، فلا شك أن القرآن الكريم كان يأخذ بألباب وأفئدة المشركين بمجرد سماعه حتى انهم كانوا يتواصون بعدم الاستماع اليه حتى لا يتأثروا به كما أخبر القرآن الكريم عن ذلك في قوله تعالى:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [فصلت: ٢٦]

• والنماذج التى توضح أن القرآن يأخذ بالألباب ويستحوذ على الأفئدة كثيرة لعل من أشهرها :

المثال الأول : اسلام عمر بن الخطاب بعد سماعه مقطع قرآني من أول سورة طه من أخته فاطمة. ونترك الآن الدكتور / راغب السرجانى ومعه ريشة قلم الأديب يصور قصة إسلامه متأثرا بالقرآن الكريم فيقول :

صراع حاد بين جوانح عمر : بعد ظهور دعوة الإسلام في مكة كان عمر بن الخطاب يعيش صراعًا نفسيًا حادًا بين أن يكون زعيمًا قائدًا في مكة، وبين أن يكون تابعًا في هذا الدين الجديد، يحدثه قلبه بأن هؤلاء الناس قد يكونون على صواب، وأن هؤلاء الناس ثباتهم عجيب جدًا فيما يتعرضون له، وهم يقرءون كلامًا غريبًا لم نسمعه من قبل، هذا إضافةً إلى أن (رئيسهم) الرسول ﷺ ليس عليه من الشبهات شيء، فهو الصادق الأمين.

ويحدثه عقله بأنه سفير قريش، وقائد من قوادها، والإسلام سيضيّع كل هذا، فذلك الدين قسّم مكة إلى نصفين، نصف يؤمن به ونصف يحاربه، ومنذ ست سنوات ونحن منه في متاعب ومشكلات، ومناظرات ومحاورات.

صراع شديد في نفس عمر، قلبه في طريق، وعقله في طريق آخر، وأصدقاء السوء في مكة كثيرون، يزينون له المنكر.

عمر يقرر قتل رسول الله

في لحظة عصيبة من هذا الصراع الداخلي انتصر عقله في النهاية، وبعدها شعر بكراهية شديدة لرسول الله الذي وضعه في مثل هذا الصراع النفسي الرهيب، والذي لم يكن معتادًا عليه، ولأن من طبعه الحسم وعدم التردد، فقد قرر أن ينتهي من كل ما يؤرقه، وأراد أن يخلص نفسه ويخلص مكة كلها ممن أحدث فيها هذه البدع وتلك المشكلات، فقرر أن يقوم بما فكر فيه كثير من مشركي قريش قبل ذلك، لكنهم لم يفلحوا فيه، قرر أن يقتل رسول الله.

وكان قد دفعه إلى أخذ هذا القرار -أيضًا- ما حدث قبل يومين من إهانة شديدة لأبي جهل في مكة على يد عم رسول الله حمزة والذي أصبح على دين محمد، وكانت حرارة هذا الدافع نابعة من أن أبا جهل خال عمر بن الخطاب، رأي عمر أنه قد أصيب في كرامته تمامًا كما أصيب أبو جهل، ورد الاعتبار في هذه البيئة عادة ما يكون بالسيف.

هنا قرر ابن الخطاب قتل رسول الله، وقد جاء خاطر هذا القرار في ذهنه في لحظة، وكانت محاولة التنفيذ مباشرة في اللحظة التالية، رغم أنه لم يعرف مكان رسول الله فلم يكن من المشركين أحد يعرف دار الأرقم بن أبي الأرقم.

خرج عمر بن الخطاب من بيته متوشحًا سيفه قاصدًا رسول الله r يبحث عنه لقتله، وفي الطريق لقيه نُعَيم بن عبد الله t وكان من المسلمين الذين أخفوا إسلامهم، وكان أيضًا من قبيلة عمر، من بني عدي، وكان من السهل على نعيم أن يقرأ الشر في قسمات وملامح وجه عمر، فأوقفه نعيم وقال له: أين تريد يا عمر؟

ولأنه صريح لا يكذب ولا ينافق ولا يُداهن، لعدم حاجته إلى مثل هذه الصفات، ومن ناحية أخرى فهو لا يعرف نبأ إسلام نعيم، قال عمر في غآية الصرامة والجدية: أريد محمدًا، هذا الصابئ، الذي فرّق أمر قريش، وسفّه أحلامها، وعاب دينها، وسفه آلهتها؛ فأقتله.

من مأمنه يُؤْتى الحَذِر :

عرف عمر إسلام فاطمة بنت الخطاب ووصل إلى بيتها، وقبل دخوله سمع همهمة وأصواتًا غريبة، وبعنفٍ أخذ يطرق الباب وينادي بصوته الجهوريّ أن افتحوا.

وفتح سعيد الباب، ودخل عمر وهو يحترق من الغضب، لا يسيطر على نفسه والكلمات تتطاير من فمه، والشرر يقذف من عينيه، ودون استئذان يسأل: ما هذه الهمهمة (الصوت الخفي غير المفهوم) التي سمعت؟

ردًا عليه: ما سمعتَ شيئًا.

قال عمر: بلى، والله لقد أُخبرت أنكما تابعتما محمدًا على دينه.

ثم ألقى بنفسه على سعيد يبطش به، هنا تدخلت الزوجة الوفية فاطمة – رضي الله عنها – تدافع عن زوجها، فوقفت بينه وبين عمر تدفع عمر عنه، وفي لحظة

غضب عارمة التفت عمر إلى أخته، ولم يدرك نفسه إلا وهو يضربها ضربة مؤلمة على وجهها، تفجرت على إثرها الدماء من وجهها.

وإزاء ما حدث وفي تحدٍّ واضح، وقف سعيد بن زيد يتحدى عمر ويقول: نعم، قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله، فاصنع ما بدا لك.

ورغم ذلك وفي تعبير عن رقة عظيمة في قلبه تختفي وراء هذه الغلظة الظاهرة، قال عمر: فاستحييت حين رأيت الدماء.

وفي تنازل كبير للغاية، يقول عمر: فجلست، ثم قلت: أروني هذا الكتاب. في نظرِه أن هذا مطلبٌ عادي.

وكانت اللطمة والضربة الثانية الموجعة التي لم يكن يتوقعها على الإطلاق، حيث قالت له أخته فاطمة: يا أخي، إنك نجسٌ على شركك، وإنه لا يمسها إلا الطاهر.

وعلى عكس ما كان يتوقعه بَشَر قام عمر وفي هدوء عجيب، قام ليغتسل. لا شك أن هناك شيئًا غريبًا يحدث، شيئًا لا يمكن تفسيره إلا عن طريق قوله تعالى:

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴿٥٦﴾ ﴾ [القصص: ٥٦]

بعد اغتساله أعطته فاطمة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- الصحيفة يقرؤها، وبلسانه وعقله وقلبه قرأ عمر: بسم الله الرحمن الرحيم. فقال مُظهِرًا خيرًا عميمًا: أسماء طيبة طاهرة.

ثم قرأ:

﴿ طه ﴿١﴾ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى ﴿٤﴾ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه: ١-٨]

تزلزل عمر، وقد وجد نفسه خاشعًا متصدعًا من خشية الله، وفي لحظة قد خالط الإيمان فيها قلبه قال عمر: فعظمت في صدري، فقلت: ما أحسن هذا الكلام! ما أجمله!

فكان شأن عمر الساعة قد تبدّل، وكان هذا هو عمر، أسلم بمعنى الكلمة.

وكانت هذه من أعظم لحظات البشرية على الإطلاق، لحظة تحول فيها رجل يسجد لصنم ويعذب المؤمنين إلى عملاق من عمالقة الإيمان، وإلى فاروق فرق الله به بين الحق والباطل، وإلى رجل يراقب الله في كل حركة وكل سكون، وكل كلمة وكل همسة، ثماني آيات فقط، صنعت الأسطورة الإسلامية العجيبة عمر.

المثال الثاني : استماع الأخنس بن شريق وابوسفيان (قبل اسلامه) وأبو جهل للقرآن دون أن يعلم أحدهم الاخر

عن محمد بن مسلم بن شهاب الزهري أنه حدث : أن أبا سفيان بن حرب وأبا جهل بن هشام : والأخنس بن شريق حليف بني زهرة، خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله وهو يصلي من الليل في بيته، فأخذ كل رجل منهم مجلساً يستمع فيه، وكل لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فتلاموا وقال بعضهم لبعض :

لا تعودوا فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً، ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة، عاد كل رجل منهم إلى مجلسه، فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة، ثم انصرفوا، حتى إذا كانت الليلة الثالثة، أخذ كل رجل منهم مجلسه، فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض : لا تبرح حتى نتعاهد ألا نعود.

فتعاهدوا على ذلك، ثم تفرقوا، فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه، ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته فقال : أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد ؟ فقال : يا أبا ثعلبة، والله لقد سمعت أشياء

أعرفها وأعرف ما يراد بها، وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا ما يراد بها، قال الأخنس : وأنا والذي حلفت به كذلك. قال : ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه بيته.

فقال يا أبا الحكم : ما رأيك فيما سمعت من محمد ؟ فقال : ماذا سمعت ! تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا حتى إذا تحاذينا على الركب وكنا كفرس رهان قالوا : منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى ندرك مثل هذا ؟ والله لا نؤمن به أبداً، ولا نصدقه، قال : فقام عنه الأخنس وتركه.

أخرجه ابن سحاق في السيرة وذكره الحافظ في الإصابة في تمييز الصحابة (٢٦/١)،وقال ذكره الذهبي في الزهريات بسند صحيح.

المثال الثالث : قول الوليد بن المغيرة عن القرآن وهوكافر : ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وان أسفله لمورق وأنه يعلو وما يعلى عليه.

عن ابن عباس قال إن الوليد بن المغيرة، جاء إلى النبي ﷺ. فقال اقرأ علي. فقرأ عليه (١٦ : ٩٠) إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى الآية فقال أعد. فأعاد. فقال والله إن له لحلاوة. وإن عليه لطلاوة. وإن أعلاه لمثمر. وإن أسفله لمغدق. وإنه ليعلو ولا يعلى عليه. وإنه ليحطم ما تحته. وما يقول هذا بشر.

وفي رواية "وبلغ ذلك أبا جهل، فأتاه. فقال يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا. قال ولم ؟ قال آتيت محمدا لتعوض مما قبله. قال قد علمت قريش أني من أكثرها مالا. قال فقل فيه قولا يبلغ قومك : إنك منكر له. قال ماذا أقول ؟ فوالله ما فيكم أعلم بالأشعار مني إلخ".

وفي روآية أن الوليد بن المغيرة قال لهم - وقد حضر الموسم -"ستقدم عليكم وفود العرب من كل جانب وقد سمعوا بأمر صاحبكم. فأجمعوا فيه رأيا، ولا تختلفوا، فيكذب بعضكم بعضا. فقالوا : فأنت فقل. فقال بل قولوا وأنا أسمع.

قالوا : نقول كاهن. قال ما هو بزمرة الكهان ولا سجعهم.

قالوا نقول مجنون قال ما هو بمجنون. لقد رأينا الجنون وعرفناه. فما هو بخنقه ولا وسوسته ولا تخالجه.

قالوا : نقول شاعر. قال ما هو بشاعر. لقد عرفنا الشعر رجزه وهزجه وقريضه. ومقبوضه ومبسوطه قالوا : نقول ساحر قال ما هو بساحر. لقد رأينا السحرة وسحرهم فما هو بعقدهم ولا نفثهم قالوا : فما نقول يا أبا عبد شمس ؟

قال ما نقول من شيء من هذا إلا عرف أنه باطل وإن أقرب القول أن تقولوا : ساحر يفرق بين المرء وأخيه وبين المرء وزوجه وبين المرء وعشيرته فتفرقوا عنه بذلك. فجعلوا يجلسون للناس لا يمر بهم أحد إلا حذروه رسول الله ﷺ. فأنزل الله في الوليد بن المغيرة (٧٤ : ١١ - ٢٦) ذرني ومن خلقت وحيدا - إلى قوله - سأصليه سقر.

ومن أجل ذلك نزل قوله تعالى :

﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ﴾ [الاسراء: ٤٧]

المثال الرابع : إغماءة جبير بن مطعم : من أمثلة التأثير المفضي إلى الإيمان أيضا ما ورد من حديث جبير بن مطعم أنه قال "سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية :

﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الطور: ٣٥-٣٧]

"كاد قلبي أن يطير".

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى قوله: "كاد قلبي أن يطير" قال الخطابي: كأنه انزعج عند سماع هذه الآية لفهمه معناها، ومعرفته بما تضمنته، ففهم الحجة فاستدركها بلطيف طبعه، ثم قال (فلهذا انزعج جبير حتى كاد قلبه يطير، ومال إلى الإسلام).

• **تعليق** : لا شك أن القرآن ببيانه الأخاذ، وروعة تصويره لمشاهد القيامة، وصفة الجنة والنار له تأثير كبير يسرى في حنايا النفس وزوايا الفؤاد فيفتح طريقا للايمان بالله رب العالمين.

وما سقناه من أمثلة : لا يعدو كونه مجرد نماذج وغيرها الكثير الكثير نقدم من خلالها دعوة للجميع كي يقرأ ويسمع راحة للنفس واستقرارا للضمير.

النوع الرابع : الإعجاز العددي

• **تعريفه** : هو ذلك النوع من الاعجاز الذي يحاول أن يكشف الدلالة التى تتعلق بالأرقام والأعداد وتواليها وطريقة ورودها في القرآن الكريم

• **أهمية هذا النوع** : لما كان القرآن الكريم هو المعجزة المستمرة لكل زمان ومكان. واليوم ونحن نعيش عصر التكنولوجيا الرقمية تتجلى معجزة القرآن بلغة الأرقام لتكون شاهدا على صدق كلام الحق عز وجل، ودليلا على أن القرآن لم يحرف. وبرهانا ماديا على أن الله تعالى قد رتب حروف كتابه بشكل لا يمكن لبشر أن يأتي بمثله.

أمثلة على الإعجاز العددي :

المثال الأول : **الإعجاز العددي في سورة الكهف وله وجهان** :

الأول : **مدة بقاء أصحاب الكهف فيه** : لأن معجزات القرآن لا تنفصل عن بعضها البعض. فالإعجاز العددي تابع للإعجاز البياني، وكلاهما يقوم على الحروف والكلمات. وقد تقودنا معاني الآيات إلى اكتشاف معجزة عددية! وهذا ما نجده في قصة أصحاب الكهف، فجميعنا يعلم بأن أصحاب الكهف قد لبثوا في كهفهم ٣٠٩ سنوات. وهذا بنص القرآن الكريم، يقول تعالى:

﴿ وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَـٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ ﴾ [الكهف: ٢٥]

فالقصة تبدأ بقوله تعالى:

﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ ﴾ [الكهف: ٩-١٣]

وتنتهي عند قوله تعالى:

﴿ وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ ﴾ [الكهف: ٢٥-٢٦]

والسؤال: هل هنالك علاقة بين عدد السنوات التي لبثها أصحاب الكهف، وبين عدد كلمات النص القرآني؟ وبما أننا نستدلّ على الزمن بالكلمة فلا بد أن نبدأ وننتهي بكلمة تدل على زمن. وبما أننا نريد أن نعرف مدة ما (لبثوا) إذن فالسرّ يكمن في هذه الكلمة.

فلو تأملنا النص القرآني الكريم منذ بداية القصة وحتى نهايتها، فإننا نجد أن الإشارة القرآنية الزمنية تبدأ بكلمة (لبثوا) وتنتهي بالكلمة ذاتها، أي كلمة (لبثوا).

والعجيب جداً أننا إذا قمنا بعدّ الكلمات مع عد واو العطف كلمة مستقلة، من كلمة (لبثوا) الأولى وحتى كلمة (لبثوا) الأخيرة، فسوف نجد بالتمام والكمال ٣٠٩ كلمات بعدد السنوات التي لبثها أصحاب الكهف!!!

وهذا هو النص القرآني لمن أحب التأكد من صدق هذه الحقيقة:

﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا

لَبِثُوٓاْ أَمَدٗا ﴿١٢﴾ نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى ﴿١٣﴾ وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ إِذۡ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗاۖ لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۢ بَيِّنٖۖ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ﴿١٥﴾ وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ﴿١٦﴾ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ﴿١٧﴾ وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا ﴿١٨﴾ وَكَذَٰلِكَ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيۡنَهُمۡۚ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ كَمۡ لَبِثۡتُمۡۖ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۚ قَالُواْ رَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ

بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا ١٧٠
أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ ١٨٠
بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي ١٩٠
مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ ٢٠٠
لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ ٢١٠
فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ ٢٢٠
أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ ٢٣٠
سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا ٢٤٠
بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ ٢٥٠
بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ٢٦٠
ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ ٢٧٠
لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ٢٨٠
وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي ٢٩٠
لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ ٣٠٠
سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا ٣٠٩

والعجيب أيضاً أن عبارة (ثلاث مئة) في هذه القصة جاء رقمها ٣٠٠، وهذا يدلّ على التوافق والتطابق بين المعنى اللغوي والبياني للكلمة وبين الأرقام التي تعبر عن هذه الكلمة"

الوجه الثاني : الفرق بين السنة الميلادية والهجرية :

من إعجاز القرآن العلمي أن السنة الشمسية التي تسمى بالسنة الانقلابية هي مدة تنقضي بين مرورين متتاليين للشمس في نقطة اعتدال واحد، مقدار هذه السنة ثلاث مائة وخمس وستون يوماً وألف وأربعمائة واثنان وعشرين بعد الفاصلة، هذه السنة الشمسية بالدقة، بمرورها يحدث الصيف والخريف والشتاء والربيع، أما السنة القمرية تتكون من ثلاث مائة وأربعة وخمسين يوماً، وبعد الفاصلة ستة وثلاثين ألف وسبعمائة وثمانين، وهي المدة بين كسوفين متواليين مقسومة على عدد الحركات القمرية الدائرية، والفرق بين السنة الشمسية والقمرية عشرة أيام وبعد الفاصلة ثمانمائة وخمس وسبعين ألف ومائة وسبع وثلاثين وبذلك يقع في كل سنة في كل ثلاث وثلاثين سنة فرق قدره ثلاثمائة وثمانية وخمسون يوماً، أو نحو سنة تقريباً، وعلى ذلك فإن كل مائة سنة تزيد ثلاث سنوات، وتكون الثلاث مائة سنة الشمسية يقابلها ثلاثمائة وتسع سنوات قمرية، هذا حساب الفلكيين الدقيق، ست أرقام بعد الفاصلة، وهذه الحقيقة الكونية ثابتة التي اطمأن إليها العلم الحديث واستقر عليها، سبق إليها القرآن في سرده لقصة أصحاب الكهف في قوله تعالى:

﴿ وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ ﴾ [الكهف: ٢٥]

قمرية، شيء دقيق جداً، بحسابات دقيقة بمراصد عملاقة، بحسابات فلكية بالغة الدقة بستة أرقام بعد الفاصلة، بعد الحساب الدقيق الثلاثمائة سنة الشمسية تساوي ثلاثمائة وتسع سنوات قمرية.

المثال الثاني : البحث عن سر تسمية الفاتحة بالسبع المثانى : نشر موقع :
http://www.qassimy.com/qo1/qu/i3jaz3dady.htm

ما يقرب من مائة حقيقة رآها صاحب الموقع كاشفة عن سر هذه التسمية بدأ الحديث بقوله :

دليلنا إلى هذا النوع الجديد من الإعجاز هو أول سورة من القرآن وهي أعظم سورة وهي أم القرآن، لنكتشف فيها توقفات مذهلة مع الرقم سبعة. وهذا ليس غريبا، فهي السورة التي سماها الله بالسبع المثاني. لذلك فإن جميع الحقائق الرقمية جاءت من مضاعفات الرقم سبعة وهذا يدل على أن خالق السموات السبع سبحانه هو الذي أنزل القرآن الكريم وحفظه إلى يوم القيامة.

يقول الله عز وجل في محكم التنزيل:

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الحجر: ٨٧]

- ثم أردف قائلا :

ونبدأ هذا البحث بسؤال ما هو سر تسمية هذه السورة بالسبع المثاني؟

من خلال الحقائق الواردة في هذا البحث سوف نبرهن على وجود معجزة رقمية في سورة الفاتحة يعجز البشر عن الإتيان بمثلها: أساس هذه المعجزة هو الرقم سبعة. ونبدأ هذه الرحلة بالحقيقة الأولى مستجيبين لنداء المولى تبارك شأنه:

﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴾ [الكهف: ١٠-١١]

الحقيقة الأولى:

عدد آيات سورة الفاتحة هو سبع آيات. الرقم سبعة له حضور خاص عند كل مؤمن. فعدد السماوات ٧ وعدد الأرضين ٧ وعدد أيام الأسبوع ٧ وعدد الأشواط التي يطوفها المؤمن حول الكعبة ٧ . وكذلك السعي بين الصفا

---

(١) هذه الحقائق وغيرها كثير منشور على موقع : www.qassimy.com.

والمروة ٧ ومثله الحصيات التي يرميها المؤمن ٧ . والسجود يكون على سبعة أعظم، وقد تكرر ذكر هذا الرقم في أحاديث المصطفى ﷺ مثل: (سبعة يظلهم الله في ظله. . . اجتنبوا السبع الموبقات. . . . .) وغير ذلك مما يصعب إحصاؤه. وهذا التكرار للرقم سبعة لم يأت عبثا أو بالمصادفة. بل هو دليل على أهمية هذا الرقم حتى إن الله تعالى قد جعل لجهنم سبعة أبواب وقد تكررت كلمة (جهنم) في القرآن كله ٧٧ مرة أي ٧ - ١١

الحقيقة الثانية:

عدد الحروف الأبجدية للغة العربية التي هي لغة القرآن ٢٨ حرفا، وهذا العدد من مضاعفات السبعة:

عدد حروف لغة القرآن هو ٢٨ حرفا = ٧ × ٤

سبعة حروف غير موجودة في سورة الفاتحة وهي (ث، ج، خ، ز، ش، ظ، ف)، فيكون عدد الحروف الأبجدية في سورة الفاتحة ٢١ حرفا وهذا العدد أيضا من مضاعفات السبعة:

عدد الحروف الأبجدية في سورة الفاتحة هو ٢١ حرفا = ٧ × ٣

الحقيقة الثالثة:

في القرآن الكريم حروف ميزها الله تعالى ووضعها في مقدمة تسع وعشرين سورة سميت بالحروف المقطعة في أوائل السور، وأفضّل تسميتها بالحروف المميزة، عدد هذه الحروف عدا المكرر هو ١٤ حرفا وهذا العدد من مضاعفات الرقم سبعة:

عدد الحروف المقطعة في القرآن (عدا المكرر) هو ١٤ حرفا = ٧ × ٢

والعجيب أن هذه الحروف الأربعة عشر موجودة كلها في سورة الفاتحة، وإذا قمنا بعدّ هذه الحروف في السورة لوجدنا بالضبط ١١٩ حرفا، وهذا العدد من مضاعفات السبعة:

عدد الحروف المقطعة في سورة الفاتحة(عدا المكرر) هو ١٤ حرفا = ٧ × ٢

عدد الحروف المقطعة في سورة الفاتحة (مع المكرر) هو ١١٩ حرفا = ٧ × ١٧

الحقيقة الرابعة:

من أعجب التوافقات مع الرقم سبعة أن عدد حروف لفظ الجلالة (الله) في سورة الفاتحة هو سبعة في سبعة. فهذا الاسم مؤلف من ثلاثة حروف أبجدية هي الألف واللام والهاء، وإذا قمنا بعد هذه الحروف في سورة الفاتحة وجدنا ٤٩ حرفا وهذا العدد من مضاعفات السبعة مرتين: حروف الألف واللام والهاء في سورة الفاتحة هو ٤٩ حرفا = ٧

الحقيقة الخامسة:

ذكرنا بأن عدد الحروف في القرآن هو ١٤ حرفا أي ٧ × ٢، والعجيب أن عدد الافتتاحيات غير المكرر هو أيضا ١٤ وأول افتتاحية هي (الم) هذه الحروف الثلاثة تتكرر في سورة الفاتحة بشكل مذهل. فلو قمنا بعد حروف الألف واللام والميم في السورة لوجدناها: ٢٢-٢٢-١٥ حرفا أي:

حرف الألف	حرف اللام	حرف الميم
٢٢	٢٢	١٥

والرؤية الجديدة التي يقدمها البحث هي صف الأرقام صفا. وعندما نقوم بصف هذه الأرقام صفا يتشكل لدينا العدد ١٥٢٢٢٢ وهذا العدد من مضاعفات السبعة:

تكرار حروف (الم) في الفاتحة هو ٢٢ ٢٢ ١٥= ٧ × ٢١٧٤٦

ولكن الأعجب من ذلك أن هذا النظام يتكرر من أول آية في القرآن الكريم وهي:

هذه الآية الكريمة عدد حروف الألف واللام والميم هو ٣-٤-٣ حرفا:

حرف الألف	حرف اللام	حرف الميم
٣	٤	٣

ونصف هذه الأرقام لنجد عددا من مضاعفات العدد سبعة بل يساوي سبعة في سبعة في سبعة!

تكرار حروف (الـم) في البسملة هو ٧ × ٧ × ٧ = ٣٤٣

الحقيقة السادسة: لماذا وردت الآية التى تتحدث عن سورة الفاتحة في سورة الحجر ؟

الآية التي تحدثت عن سورة الفاتحة هي قوله تعالى:

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١﴾ [الفاتحة: ١]

لقد وضع الله هذه الآية في سورة الحجر التي تبدأ بالحروف المميزة (الـــــر)، السؤال: هل من معجزة وراء ذلك؟ إن عدد حروف الألف واللام والراء في هذه الآية هو: ٧-٤-١ حرفا مع ملاحظة أن كلمة (أتينك) قد كتبت في القرآن من دون ألف:

حرف الألف	حرف اللام	حرف الراء
٧	٤	١

والعجيب أن العدد الناتج من صف هذه الأرقام هو ١٤٧ من مضاعفات السبعة مرتين:

تكرار حروف (الـر) في أية السبع المثاني هو ١٤٧= ٣ × ٧ × ٧

والأعجب من ذلك أن تكرار الحروف ذاتها في سورة الفاتحة تشكل عددا من مضاعفات السبعة مرتين أيضا!! فحرف الألف تكرر في سورة الفاتحة ٢٢ مرة ومثله حرف اللام أما حرف الراء فقد تكرر في سورة الفاتحة ٨ مرات:

حرف الألف	حرف اللام	حرف الراء
٢٢	٢٢	٨

هذه الأرقام تشكل عددا هو ٢٢-٢٢-٨ من مضاعفات الرقم سبعة:

تكرار حروف (الـر) في سورة السبع المثاني: ٢٢ ٢٢ ٨= ٧ × ٧ × ١٦٧٨

هذا ليس كل شي، فهنالك المزيد من الارتباطات لكلمات السورة والآية، فعدد كلمات سورة الفاتحة ٣١ كلمة، وعدد كلمات الآية التي تحدثت عن سورة الفاتحة هو ٩ كلمات، على اعتبار أن واو العطف كلمة مستقلة:

عدد كلمات سورة السبع المثاني	عدد آيات سورة السبع المثاني
٣١	٩

أما العدد الناتج من صف هذين الرقمين فهو ٩٣١ وهو من مضاعفات الرقم مرتين أيضا:

عدد كلمات سورة السبع المثاني وآية السبع المثاني هو ٩٣١ = ٧ × ٧ × ١٩

وسبحان الله العظيم! آية تتحدث عن السبع المثاني جاءت فيها حروف (الـر) تشكل عددا من مضاعفات ٧ × ٧، وتتكرر الحروف ذاتها في سورة السبع المثاني لتشكل عددا من مضاعفات ٧ × ٧ أيضا، وتأتي كلمات السورة مع الآية لتشكل عددا من مضاعفات ٧ × ٧ أيضا، أليست هذه معجزة تستحق التدبر؟

الحقيقة السابعة: من عجائب أم القرآن أنها تربط أول القرآن بآخره، ويبقى الرقم سبعة هو أساس هذا الترابط المذهل، فأول سورة في القرآن هي الفاتحة ورقمها ١، وآخر سورة في القرآن هي الناس ورقمها ١١٤، وهذان الرقمان يتشكلان مع بعضهما ليشكلان عددا من مضاعفات السبعة: رقم أول سورة وآخر سورة في القرآن: ١١٤١ = ٧ × ١٦٣

الحقيقة الثامنة: العجيب أيضا ارتباط أول كلمة من القرآن مع آخر كلمة بشكل يقوم أيضا على الرقم سبعة. فأول كلمة في القرآن الكريم هي (بسم) وآخر كلمة هي (الناس). ولو بحثنا عن تكرار هاتين الكلمتيين في القرآن كله نجد أن كلمة (اسم) قد تكررت في القرآن ٢٢ مرة، أما كلمة الناس فتكررت في القرآن ٢٤١ مرة ومن جديد الرقم المتشكل من تصاف هذين الرقمين من مضاعفات الرقم السبعة:

تكرار أول كلمة وآخر كلمة في القرآن: ٢٢ ٢٤١ =٢٤١ ٢٢= ٧ × ٣٤٤٦

الحقيقة التاسعة: أول أية وأخر آية في القرآن الكريم ترتبطان مع الرقم سبعة أيضا. فكما نعلم أن أول آية في القرآن الكريم (وهي الآية الأولى من سورة الفاتحة) هي(بسم الله الرحمن الرحيم) (الفاتحة:١)، عدد حروف كل كلمة هو: ٣-٤-٦-٦ حرفا: العدد المتشكل من صف هذه الأرقام هو ٦٦٤٣ من مضاعفات الرقم سبعة:

مصفوف حروف أول أية من القرآن الكريم هو ٦٦٤٣ = ٧ × ٩٤٩

ولكي لا يظن أحد أن هذه النتيجة جاءت بالمصادفة نذهب إلى آخر آية من القرآن الكريم ﴿مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ [الناس: ٦] عدد حروف كل كلمة هو: ٢-٥-١-٥، والعدد المتشكل من صف هذه الأرقام هو ٥١٥٢ من مضاعفات الرقم سبعة:

مصفوف حروف أخر آية من القرآن الكريم هو ٥١٥٢ = ٧ × ٧٣٦

إذن الرقم سبعة يربط أول سورة بآخر سورة، أول كلمة بأخر كلمة، أول أية بأخر أية، والسؤال: هل جاءت جميع هذه التوافقات بالمصادفة؟

الحقيقة العاشرة: هذا الترابط والتماسك الرقمي لا يقتصر على أول القرآن وأخره، بل تجده في أول الفاتحة وأخرها أيضا. فأول آية من الفاتحة هي (بسم الله الرحمن الرحيم) عدد حروفها ١٩ حرفا، وآخر آية من الفاتحة هي (صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) عدد حرفها ٤٣ حرفا. العجيب أن العدد الناتج من صف هذين الحرفين١٩- ٤٣ من مضاعفات السبعة:

حروف أول آية وآخر آية من الفاتحة ٤٣١٩ = ٧ × ٦١٧

ولكي ننفي المصادفة عن هذه الحقيقة نحصي عدد الحروف الأبجدية التي تركبت منها أول أية وأخر آية من الفاتحة: ١٠ ١٦= ٧ × ٧٣٠

بقي أن نشير إلى أن عدد كلمات أول آية هو ٤ وآخر آية هو ١٠ ومجموع هذين العددين من مضاعفات الرقم سبعة:

مجموع كلمات أول آية وآخر آية من الفاتحة: ٤+١٠ = ١٤ +٧ × (٢)[١]

ثم يعلق صاحب الموقع على هذه الحقائق قائلا :

إن كل من لا تقنعه هذه الأرقام نقول له كما قال الله تعالى :

﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الطور: ٣٤]

إذن الاحتمال المنطقي لوجود هذا النظام المعجز في كتاب أنزل قبل أربعة عشر قرنا هو أن الله تعالى هو الذي أنزل القرآن وقال فيه:

﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الاسراء: ٨٨]

المثال الثالث : الاعجاز العددي في الحروف المقطعة :

يضرب صاحب الموقع مثالا آخر على الاعجاز الرقمي أو العددي، ويبدأ الحديث متسائلا : ما هو السر العددي أو الرقمي للحروف المقطعة في أوائل بعض سور القرآن الكريم؟

ثم يجيب قائلا : إن عدد الحروف التي في أوائل بعض سور القرآن هو ١٤ حرفا، وعدد الافتتاحيات التي تبدأ بها هذه السور هو ١٤ أيضا عدا المكرر. والعدد١٤ يساوي سبعة في (اثنان)، وفي هذا إشارة لوجود بناء محكم لهذه الحروف يقوم على الرقم سبعة ومضاعفاته.

وقد تبين أن هذه الحروف تشكل بناء محكما يقوم على الرقم سبعة، وفي هذا إشارة إلى أن القرآن صادر من رب السماوات السبع تبارك وتعالى!

وكمثال على ذلك نلجأ إلى أول آية من القرآن وهي (بسم الله الرحمن الرحيم)، فلو عددنا لأحرف الألف واللام والميم فيها نجد:

الألف	اللام	الميم
٣	٤	٣

وإذا قرآنا العدد الذي يمثل تكرار الحروف في البسملة كما هو نجده ٣٤٣

أي ثلاث مئة وثلاثة وأربعون، وهذا العدد يساوي سبعة في سبعة !! أي: ٣٤٣=٧ × ٧ . وهكذا مئات الآيات التي تأتي حروفها متناسقة مع الرقم سبعة، فسبحان الذي أحصى كل شيء عددا.

النظام الرقمي للأحرف المقطعة: ثم يضرب مثالاً على ذلك بسورة السجدة، فيقول:

يقول تعالى في مقدمة سورة السجدة وهي آخر سورة في ترتيب المصحف تبدأ ب (الم):

﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [السجدة: ١-٢]

نكتب الآن تحت كل كلمة عدد أحرف الألف واللام والميم الموجودة في هذه الكلمة، (يجب أن نراعى أن العدد من غير حروف المد على طريقة الكتابة العثمانية، أى أن كلمة الكتاب تُقرأ هكذا مع أنها تُكتب : الكتب كما في المصحف العثمانى) :

تنزيل	الكتاب	لا	ريب	فيه	من	رب	العالمين
١	٢	٢	٠	٠	١	٠	٤

إن العدد المتشكل في هذه الحالة يقبل القسمة على سبعة بالاتجاهين:

٥٧٢٨٦٠٣ × ٧ = ٤٠٢٠٠٢٢١

أما مقلوب العدد فهو ١٢٢٠٠١٠٤ يبقى من مضاعفات الرقم سبعة:

١٧٤٢٨٧٢ × ٧ = ١٢٢٠٠١٠٤

نلاحظ أن العدد المكون من ثماني مراتب يقبل القسمة على ٧ وبالاتجاهين، أي أن توزع أحرف أ، ل، م، عبر نصوص وآيات سورة السجدة لم يتم عبثا إنما وفق نظام معجز لا يستطيع أحد أن يأتي بمثله لأن الإنسان مهما أوتي من علم لا يستطيع التحكم بعلمه توزع حروف معينة ضمن النص الذي يكتبه بحيث ينتج عددا يمثل هذه الأحرف ويقبل القسمة

على ٧ كما لاحظنا في الآية الكريمة، ولو استطاع أن يأتي بجملة أو أكثر فلن يستطيع أن يأتي بقرآن!!

الملاحظة الثانية لو أننا كتبنا القرآن بأحرف المد أي: (الكتب) كتبت (الكتاب)، وكلمة (العلمين)كتبت (العالمين)، لأصبح العدد الممثل لأحرف (ا ل م) في الآية ٥٠١٠٠٢٣١ وهذا العدد لا يقبل القسمة على ٧ في أي اتجاه كان!

والسؤال هل يمكن لبشر أن يتمكن من تأليف نظام متقن كهذا منذ أربعة عشر قرنا ونحن الآن في عصر المعلوماتية والكمبيوتر والانترنت نعجز عند الإتيان بمثله؟ لابد أن يكون هذا الكتاب كما وصفه الله تعالى في سورة فصلت الآية رقم ٤٢ وهي آية قمة في الإعجاز:

﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ [فصلت: ٤٢]

لا يأتيه الباطل

هذه الآية وردت في سورة فصلت، ونحن نعلم أن سورة فصلت بدأت بحرفين مقطعين هما (حم)، ماذا يعني الحاء والميم؟ يمكن الإجابة عن هذا السؤال بدراسة توزع هذين الحرفين عبر كلمات هذه الآية. نكتب الآية وتحت كل كلمة ما تحتويه من حرفي الحاء والميم:

لا	يأتيه	البطل	من	بين	يديه	ولا	من	خلفه	تنزيل	من	حكيم	حميد
٠	٠	٠	١	٠	٠	٠	١	٠	٠	١	٢	٢

إن العدد الذي يمثل توزع (حم) في هذه الآية الكريمة من مضاعفات السبعة:

٣١٥٧١٥٧١٤٣٠٠٠ × ٧ =٢٢١٠٠١٠٠٠٠١٠٠٠

والآن إلى هذه النتائج حول الآية الكريمة:

١- رقم هذه الآية في سورة فصلت ٤٢ (أي يقبل القسمة على سبعة):

٤٢ ÷٧ = ٦

٢- عند كتابة العدد الذي يمثل حم في كل كلمة من كلمات الآية يتشكل لدينا عدد هو ٢٢١٠٠١٠٠٠٠١٠٠٠ وهذا العدد يتركب من ١٤ مرتبة (٧×٢)

٣- إن عدد أحرف الحاء والميم في هذه الآية العظيمة هو ٧ أي:

٧ = ١+١+١+٢+٢

٤- العدد الممثل لأحرف حم والمؤلف من ١٤ مرتبة يقبل القسمة على ٧ تماما.

لو أن الله تعالى قال: "تنزيل من عزيز حكيم" مع أن المعنى لم يختلف كثيرا ولكن ينهار كل النظام لهذه الآية، فالعدد الجديد لم يعد قابلا للقسمة على ٧، ثم عدد أحرف حم يصبح ٥ بدلا من ٧، إذا كل كلمة وضعت في المكان الصحيح وبدقة متناهية[١].

• **تعليق : دعوة إلى عمل المؤسسات** : هذا جزء يسير فقط لا يعدو كونه إشارة إلى ما هو متداول في الأوساط العلمية عن الإعجاز العددي مما هو منشور على مواقع الانترنت، فالمواقع لا تحصى وماعليها ينوء بحمله الجبال، ولا أدعى الاحاطة العلمية بكل شيء لكن ما أراه مكتوبا ليس بالشيء الهين أو اليسير.

إنه يحتاج إلى عمل مجامع ومؤسسات تملك المؤهلين والمختصين في علم الرياضيات والإحصاء مع أهل الذكر من أهل التفسير ليبينوا الحقيقة لكل راغب فيها!

فهل هذه الأمور: حقيقية؟

مجدية؟

مرتبطة فعلاً بقوانين رياضية؟

أم أنها إقحامات لا تقدم ولا تؤخر ولا تزن في ميزان العلم الحقيقى شيئاً مذكوراً.

---

(١) موقع : www.Qassimy.com.

النوع الخامس: الإعجاز العلمي في العصر الحديث

• **تعريفه** : هو توافق الاشارة العلمية الواردة في صريح لفظ القرآن مع نظرية علمية نهائية ومستقرة اكتشفها العلم الحديث في الوقت المعاصر.

• **أهمية هذا النوع** : يتصل بما ذكر من إعجاز القرآن في إخباره عن الأمور الغيبية المستقبلة نوع جديد كشف عنه العلم في العصر الحديث، مصداقا لقوله تعالى :

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [فصلت: ٥٣]

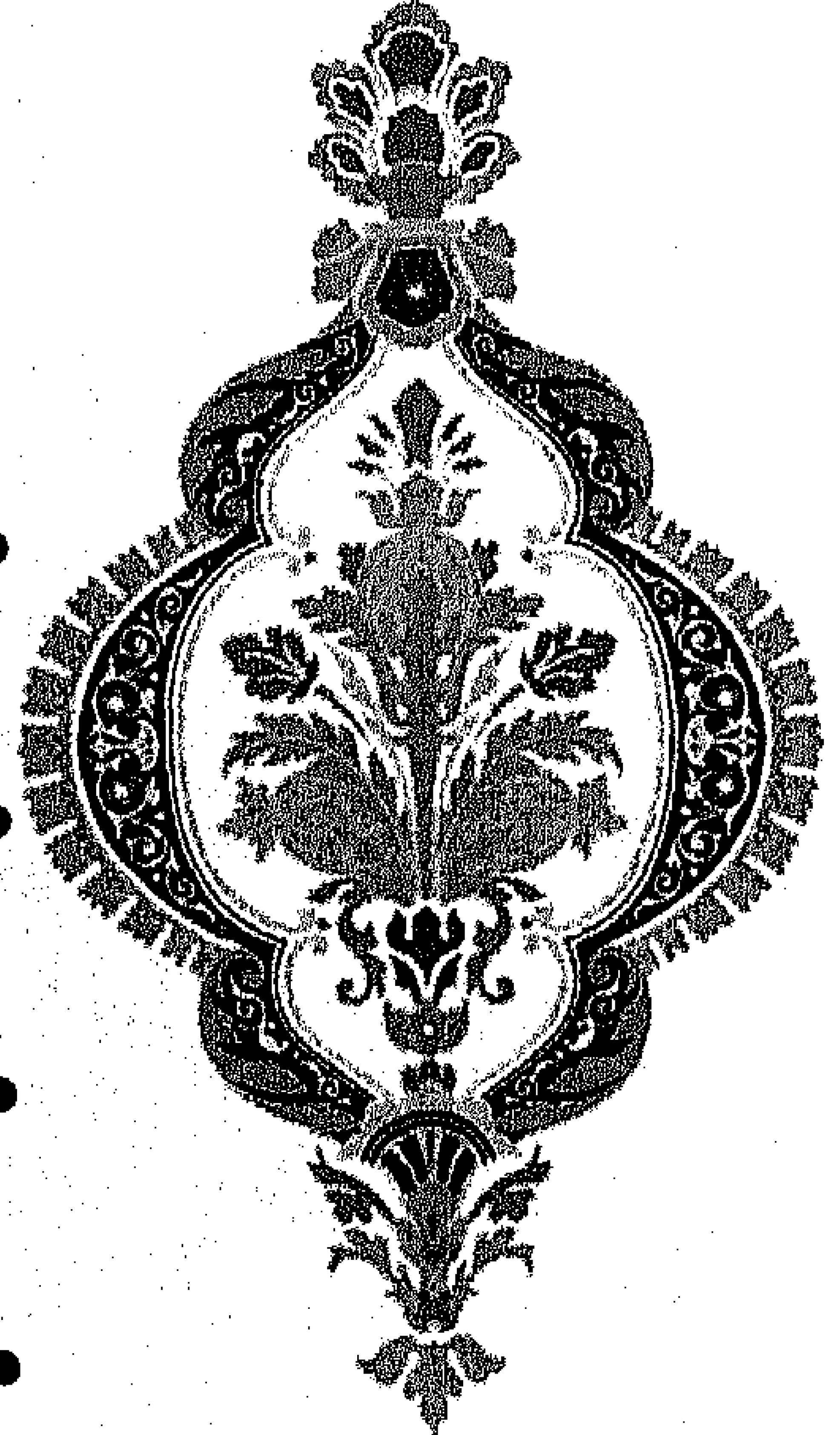
لقد تحقق هذا الوعد من الله عز وجل في الأزمنة المتأخرة، فرأي الناس آيات الله في آفاق المخلوقات بأدق الأجهزة والوسائل، ولقد أخبر محمد ﷺ بهذه الأمور الغيبية قبل ألف وأربعمائة ثلاثين عاما؟ وان دل هذا فإنه يدل على أن القرآن كلام الله، وأن محمدا رسول الله حقا. وقد اكتشف هذا الإعجاز العلمي في الأرض وفي السماء، وفي البحار والقفار، وفي الإنسان والحيوان، والنبات، والأشجار، والحشرات، وغير ذلك(١).

ولنأخذ أمثلة على الإعجاز العلمي في القرآن الكريم حتى يتبين لنا هذا الوجه الجديد على الساحة العالمية الذي بهر البشرية بصدق هذا الكتاب وبه عاد أعداد هائلة من العلماء إلى الصواب، وتفتحت عقولهم على المعجزة القرآنية الخالدة، ولا عجب عندما نرى الإعجاز العلمي في شتى المجالات العلمية في الفضاء وعلم البحار والرياضيات والفيزياء والطب وكل علم يستخرج منه إعجازه ويسجد في النهاية علماء البشرية أمام القرآن كما سجد سحرة فرعون من قبل ولنبدأ في رحلة ممتعة بعرض بعض الأمثلة للإعجاز العلمي.

---

(١) المعجزة الخالدة لحسن ضياء الدين، ص١١، ط٢ ١٩٨٩م.

الفصل الثالث



صور من الإعجاز العلمي في القرآن

- الصورة الأولى : اشارة الاعجاز العلمي لمعرفة عدد السموات والأرض
- الصورة الثانية : اشارة الاعجاز العلمي من خلال آيات (والشمس ...)
- الصورة الثالثة : الاعجاز العلمي في حديث القرآن الكريم عن الجبال
- الصورة الرابعة : حديث القرآن الكريم عن الظواهر الجوية
- الصورة الخامسة: الاعجاز العلمي في مراحل خلق الانسان

الفصل الثالث

صور من الإعجاز العلمي في القرآن

الصورة الأولى: الإعجاز العلمي لمعرفة عدد السموات والأرض

من الأمور التى تشغل الجميع : بداية تكوين الخلق : كيف نشأ، وكيف تكون ؟ وهل السماء التى نراها سماء واحدة أم سماوات سبع ؟

وهل الأرض - كذلك - أرض واحدة أم أراضين ؟ أم طبقات ؟

أولا : تأملات في الايات القرآنية الواردة في هذا الشأن :

من خلال المعالجة الموضوعية التى تجمع الايات التى وردت في خلق السماوات والأرض، واراء المفسرين، ورأي العلم الحديث نلج إلى بيان هذه الصورة التى نعالجها في هذا المطلب من خلال بعض الآيات الواردة في خلق السموات والأرض (على ترتيب وجودها في المصحف)

لقد وردت في كتاب الله عز وجل آيات متعددة في خلق السموات والأرض نذكر منها بعض الآيات التي ذكرت أو أشارت إلى عدد السموات والأرض ومنها :

(١) ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ [البقرة: ٢٩]

(٢) ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾ [النساء: ٣٤]

(٣) ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [المؤمنون: ١٧]

(٤) ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ ﴾ [المؤمنون: ٨٦]

(٥) ﴿ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا
بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ ﴾ [فصلت: ١٢]

(٦) ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ
كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق: ١٢]

(٧) ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ
تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ﴾ [الملك: ٣]

(٨) ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ ﴾ [نوح: ١٥]

تأملات علمية في هذه الايات : إذا تأملنا هذه الآيات وجدنا ما يلي:

(١) الذكر الصريح لعدد السماوات و أنها سبع.

(٢) جاء في الآية ١٢ من سورة الملك (٧ في ترتيب الآيات السابقة) والآية ١٥ من سورة نوح (الأخيرة في ترتيب الآيات السابقة) أن هذه السموات خلقت طباقا.

(٣) جاء في الآية ١٢ من سورة الطلاق (٦ في الترتيب السابق) أن السموات خلقت سبعاً (ومن الأرض مثلهن) وهي الآية الوحيدة التي يمكن أن يفهم منها أن هناك سبع أرضين، وعليه فإننا سنركز على ما ورد حولها من تفسير بإذن الله.

ثانيا:- بعض أقوال المفسرين في شأن السموات السبع :

جاء في تفسير الجواهر الحسان في تفسير القرآن للامام الثعالبي (ت ٨٧٥هـ) : (لا خلاف بين العلماء أن السموات سبعٌ وأما الأرض فالجمهور : على أنها سبع أرضين، وهو ظاهر هذه الآية، وإنما المماثلة، في قوله تعالى :

(ومن الأرض مثلهن) في العدد، وروي عن جماعة من العلماء أنهم قالوا: الأرض واحدةٌ وهي مماثلة لكلِ سماء بانفرادها في ارتفاع حرمها، وفي أن فيها عالما يعبد الله كما في كل سماءٍ عالمٌ يعبد الله)[1].

وفي تفسير معالم التنزيل حول آية الملك: ٣ . الذي خلق سبع سموات طباقا، (طبقاً على طبق بعضها فوق بعض).

وهذا ثناء بعظيم القدرة وسعت العلم والحكمة خلق سبع سموات طباقا سماء فوق سماء مطابقات ولكن من غير مماسة إذ ما بين كل سماء وأخرى هواء وفراغ مسيرة خمسمائة عام، فالمطابقة المعادلة والمساومة في الجرم لا بوضع سماء على الأخرى كغطاء القدري مثلاً)[2].

ويقول الشيخ / سيد قطب في ظلال القرآن[3]: (السموات السبع لا علم لنا بحقيقة مدلولها وأبعادها ومساحتها. وكذلك الأراضي السبع. فقد تكون أرضنا هذه التي نعرفها واحدة منهن والباقيات في علم الله. وقد يكون معنى مثلهن أن هذه الأرض من جنس السموات فهي مثلهن في تركيبها أو خصائصها. . وعلى أية حال فلا ضرورة لمحاولة تطبيق هذه النصوص على ما يصل عليه علمنا، لأن علمنا لا يحيط بالكون، حتى نقول على وجه التحقيق: هذا ما يريده القرآن. ولن يصح أن نقول هكذا إلا يوم يعلم الإنسان تركيب الكون كله علم يقين . . . وهيهات !)

وجاء في تفسير جامع البيان في تأويل القرآن[4] للإمام الطبري: (حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله :(الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن) خلق سبع سموات وسبع أراضين في كل سماء من سمائه، وأرض من أرضه، خلق من خلقه وأمر من أمره، وقضاء من قضائه).

---

(١) الجواهر الحسان في تفسير القرآن، للإمام الثعالبي، ٤ /٣١٨ ط مؤسسة الأعلمي ببيروت، بدون.

(٢) معالم التنزيل، للإمام البغوى، ٤/ ٦٧ ط دار المعرفة ببيروت ط١ عام ١٩٨٦م.

(٣) ٦/ ٣٦٢٨ ط دار الشروق بالقاهرة ط ٣٤، عام ٢٠٠٤ م.

(٤) مجلد ١٢، ص /١٦٥، ط دار الكتب العلمية ببيروت، ط ٣، عام ١٩٩٩ م.

وفي تفسير مفاتيح الغيب / التفسير الكبير / للإمام الرازي[1] (قال الكلبي: خلق سبع سموات بعضها فوق بعض مثل القبة، ومن الأرض مثلهن في كونها طباقاً متلازقة كما هو المشهور أن الأرض ثلاث طبقات أرضية محضة وطبقة طينية، وهي غير محضة وطبقة منكشفة بعضها في البحر وبعضها في البر وهي المعمورة، ولا بعد في قوله :(ومن الأرض مثلهن) من كونها سبعة أقاليم على حسب سبع سموات، وسبع كواكب فيها وهي السيارة فإن لكل واحد من هذه الكواكب خواص تظهر أثار تلك الخواص في كل إقليم من أقاليم الأرض فتصير سبعة بهذا الاعتبار، فهذه هي الوجوه التي لا يأباها العقل، وما عداها من الوجوه المنقولة عن أهل التفسير فذلك من جملة ما يأباها العقل مثل ما يقال :

السموات السبع أولها : موجٌ مكفوف وثانيها : صخرٌ، وثالثها: حديد، ورابعها: نحاس، وخامسها : فضة، وسادسها : الذهب، وسابعها : ياقوت، وقول من قال: بين كل واحدة منها مسيرة خمسمائة سنة وغلظ كل واحدة منها كذلك، فذلك غير معتبرعند أهل التحقيق، اللهم إلا أن يكون نقلاً متواتراً، (ويمكن أن يكون أكثر من ذلك والله أعلم).

الخلاصة : على أية حال فإن محصلة أقوال المفسرين في أمر السموات السبع يمكن أن نختصرها إلى ثلاثة أقوال رئيسة هي :

١- قول يعتقد بوجودها ولكن لا يخوض في تفصيلات حقائقها لعدم وجود دليل قطعي على ذلك.

٢- قول يعتقد بوجودها وخاض في تفاصيلها بناء على مرويات لا تصمد أمام التحقيق والتنقيح العلمي لفن الرواية، بل مصدرها الإسرائيليات التي شحنت بها مجموعة غير قليلة من كتب التفسير.

٣- وقول ثالث يعتقد بوجودها وحاول الخوض في بيان علم تأويلها وتفسير حقائقها بناءً على معطيات علم الفلك.

---

(١) ٢٢/١١١، ط دار الغد العربي بالقاهرة، بتحقيق: طه عبد الرءوف سعد.

ونحن إذا محصنا هذه الأقوال وجدنا أن القول الأول أعدلها وأقربها إلى الصواب للأسباب التالية :

١- أن هذا الأمر يعتبر من عالم الغيب الذي لا يصح فيه القول إلا بدليل قطعي الدلالة والورود.

٢- إن التفاصيل الواردة في بعض الروايات لا يكون له اعتبار ولا قيمة لعدم ثبات أصولها.

٣- إن التفاصيل التي استندت إلى معطيات علم الفلك لا تصمد أمام التحقيق والتدقيق، فإن آيتي الملك / ٣ ونوح /١٥ نصت على أن السموات خلقت طباقاً وقال كثير من المفسرين إن معنى ذلك أنها طبقة فوق طبقة، فقد ورد في تفسير الكشاف/ الزمخشري[١]: (طباقاً: مطابقة بعضها فوق بعض، من طابق النعل : إذا خصفها طبقاً على طبق) وقال القرطبي[٢] قوله تعالى ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ أي بعضها فوق بعض.

٤- أن التفاصيل الواردة في هذا القول يقدح فيها ما اكتشف مؤخرا من أمر الكواكب في المجموعة الشمسية، وما أفضل قول سيد قطب حين قال : (ولن يحدث أن نقول هكذا إلا يوم يعلم الإنسان تركيب الكون كله علم يقيناً. وهيهات !). إذا:

فلعل أعدل ما يمكن قوله في السموات السبع أنها موجودة وإنها طباق بعضها فوق بعض كما يقول الدكتور زغلول النجار - وهو من لا يجهل مقامه - : السموات السع متطابقة أي يغلف الخارج منها الداخل حسب وصف القرآن الكريم لها)[٣].

---

(١) جـ٣ / ص ١١٧

(٢) جـ٩ / ص ١٣٦ ط دار الفكر بعمان، ط١ عام ١٩٨٨ م

(٣) الكون سبع سماوات وسبع أرضين، د. زغلول النجار، مقال منشور بالاهرام في ٩/١٨ / ٢٠٠٦ م.

ثالثاً: بعض أقوال المفسرين في شأن الأرضين السبع :

قال الزمخشري عند تفسير قوله تعالى:

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق: ١٢]

(قيل: ما في القرآن آية تدل على أن الأرضين سبع إلا هذه)[١].

وقال الرازي في مفاتح الغيب :(ومن الأرض مثلهن في كونها طباقاً متلاصقة كما هو المشهور ان الأرض ثلاث طبقات طبقة أرضية محضة وطبقة طينية ,وهي غير محضة، وطبقة مكشفة بعضها على في البحر وبعضها في البر وهي المعمورة، ولا بعد في قوله (ومن الأرض مثلهن) من كونها سبعة أقاليم على حسب سبع سموات، وسبع كواكب فيها وهي السيارة فإن لكل واحد من هذه الكواكب خواص تظهر أثار تلك الخواص في كل إقليم من أقاليم الأرض فتصير سبعة بهذا الاعتبار)[٢].

وقال القرطبي: (ومن الأرض مثلهن) يعني سبعاً، واختلف فيهن على قولين: أحدهما - وهو قول الجمهور- أنها سبع أرضين طباقاً بعضها فوق بعض، بين كل أرض وأرض مسافة كما بين السماء والسماء وفي كل أرض سكان من خلق الله. وقال الضحاك: (ومن الأرض مثلهن) أي سبعاً من الأرضين، ولكنها مطبقة بعضها على بعض من غير فتوق بخلاف السموات. والأول أصح، لأن الأخبار دالة عليه)[٣].

وفي تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية:(لا خلاف بين العلماء أن السموات سبع، لأن الله تعالى قال:(سبعاً طباقا) الملك:٣، نوح: ١٥ وقد فسر رسول الله ﷺ أمرهن في حديث الإسراء، "وقال لسعد: "حكمت بحكم الملك من فوق سبع أرقعة"،ونطقت بذلك الشريعة في

(١) الكشاف، الزمخشرى، ٦/ ١١٣، مرجع سابق.
(٢) مفاتيح الغيب، الإمام الرازى، ٢٢/ ١١١، مرجع سابق.
(٣) جـ ٩، ص ,٥٠٧

غير موضع، وأما (الأرض) فالجمهور على أنها سبع أرضين، وهو ظاهر هذه الآية وأن المماثلة إنما هي في العدد، ويستدل بقول رسول الله ﷺ: "من غصب شبراً من أرض طوقه من سبع أرضين[1] "إلى غير هذا مما وردت به الروايات، وروي عن جماعة من العلماء أنهم قالوا : الأرض واحدة، وهي مماثلة لكل سماء بانفرادها في ارتفاع جرمها)[2].

رابعا : أحاديث السنة النبوية الواردة في هذا الشأن :

لا زال السؤال قائما : هل في السنة النبوية ما يمكن الاستدلال به على أن الأرضين سبع أم أنها أرض واحدة بها سبع طبقات ؟

• **روايات الأحاديث مجتمعة** : ورد عن رسول الله ﷺ:

١- من ظلم قيد شبرٍ طوقه من سبع أرضين.

٢- من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين.

٣- من أخذ شيئاً من الأرض بغير حقه خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين.

٤- من اخذ شبراً من الأرض ظلماً فإنه يطوق يوم القيامه من سبع أرضين.

• **التخريج والشرح :**

أ: التخريج للتوثيق العلمي :

١- **((من ظلم قيد شبرٍ طوقه من سبع أرضين))**

الحديث الأول ?أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المظالم والغصب حديث رقم ٢٢٣٧، وكتاب بدء الخلق رقم ٢٩٥٦ كما يلى: حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا حسين عن يحيى ابن أبي كثير قال حدثني محمد بن إبراهيم أن أبا سلمه أنه كانت بينه وبين أناس خصومة فذكر لعائشة رضي الله عنها فقالت : يا أبا سلمة اجتنب الأرض فإن النبي ﷺ قال: من ظلم قيد شبرٍ طوقه الله من سبع أرضين.

---

(١) سوف يأتى تخريج هذه الروايات في النقطة القادمة أثناء حديثى عن رأي السنة المباركة.

(٢) المحرر الوجيز، جـ١٤، ص ,٥٠٧

وأخرجه أيضاً في صحيحه في كتاب المساقات حديث رقم ٣٠٢٥ كما يلي: حدثنا أحمد بن إبراهيم الدرقي حدثنا عبد الصمد يعني ابن عبد الوارث حدثنا حرب وهو ابن شداد حدثنا يحيى وهو ابن أبي كثير عن محمد بن إبراهيم أن أبا سلمه حدثه وكان بينه وبين قومه خصومة في أرض وأنه دخل على عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فذكر ذلك لها فقالت : يا أبا سلمة اجتنب الأرض فإن النبي ﷺ قال: ((من ظلم قيد شبرٍ طوقه الله من سبع أرضين.))

وحدثني إسحاق بن منصور أخبرنا حبان بن هلال أخبرنا أبان حدثنا يحيى أن محمد بن إبراهيم حدثه أن أبا سلمة حدثه أنه دخل على عائشة فذكر مثله.

٢- ((من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه الله من سبع أرضين))

رواه البخاري في صحيحه في كتاب بدء الخلق حديث رقم ٢٩٥٦ كما يلي: حدثنا علي ابن عبدالله أخبرنا ابن علية عن علي ابن المبارك حدثنا يحيى بن أبي كثير عن محمد بن إبراهيم بن الحارث عن أبي سلمة بن عبد الرحمن وكانت بينة وبين أناس خصومة في أرض فدخل على عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وذكر ذلك لها فقالت : يا أبا سلمة اجتنب الأرض فإن النبي ﷺ قال:(من ظلم قيد شبرٍ طوقه الله من سبع أرضين).

- ورواه أحمد في مسنده حديث رقم ٢٤٩٤٧ كما يلي: حدثنا عبد الصمد حدثنا حرب قال حدثني يحيى عن محمد بن إبراهيم أن أبا سلمة حدثه وكان بينه وبين قومه خصومة في أرض أنه دخل على عائشة فذكر ذلك لها فقالت : يا أبا سلمة اجتنب الأرض فإن النبي ﷺ قال: (من ظلم قيد شبرٍ من أرض طوقه الله من سبع أرضين).

٣- ((من أخذ شيئاً من الأرض بغير حقه خسف به يوم القيامة))

رواه البخاري في صحيحه في كتاب المظالم والغصب حديث رقم ٢٢٧٤ كما يلي: حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا عبدالله بن المبارك حدثنا موسى بن

عقبة عن سالم عن أبية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال النبي ﷺ ((من أخذ شيئاً من الأرض ظلماً خسف به إلى سبع أرضين)).

- ورواه أيضاً أحمد في مسندة حديث رقم ٥٤٨١، حدثنا عارم حدثنا عبدالله بن المبارك حدثنا موسى بن عقبة عن سالم عن أبن عمر عن النبي ﷺ قال: ((من أخذ شيئاً من الأرض ظلماً خسف به إلى سبع أرضين)).

٤- ((من أخذ شبراً من الأرض ظلماً فإنه يطوقه يوم القيامة من سبع أرضين))

رواه البخاري في صحيحه في كتابة بدء الخلق حديث رقم ٢٩٥٩ كما يلى: حدثني عبيد بن اسماعيل حدثنا أبو أسامه عن هشام عن أبية عن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل أنه خاصمته أروى في حق زعمت أنه انتقصه لها إلى مروان فقال سعيد : أنا أنتقص من حقها شيئاً أشهد أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((من أخذ شبراً من الأرض ظلماً فإنه يطوقه من سبع أرضين)).

- ورواه مسلم في صحيحه في كتاب المساقات حديث رقم ٣٠٢٣ كما يلى: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا يحيى بن زكرياء بن أبي زائدة عن هشام عن أبيه عن سعيد بن زيد قال: سمعت النبي ﷺ يقول ((من أخذ شبراً من الأرض ظلماً فإنه يطوقه من سبع أرضين)).

٥- ((من ظلم من الأرض شيئاً طوقه من سبع أرضين))

رواه البخاري في صحيحه في كتاب المظالم والغصب حديث رقم ٢٢٧٢ كما يلى: حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري قال حدثنا طلحة بن عبد الله أن عبد الرحمن بن عمرو بن سهل أخبرة سعيد بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((من ظلم من الأرض شيئاً طوقه من سبع أرضين)).

- ورواه أحمد في مسنده حديث رقم ١٥٥٦ كما يلي: حدثنا يزيد بن عبد ربة حدثنا بقية بن الوليد حدثني طلحة بن عبدالله أن عبد الرحمن بن

عمرو بن سهل أخبرة أن سعيد بن زيد قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول ((من ظلم من الأرض شيئاً فإنه يطوقه من سبع أرضين)).

● ب : الشرح : نعيش الآن في ظلال الهدى النبوى السابق : هذه الأحاديث تنهي عن الظلم بصفة عامة، وعن الظلم في اغتصاب الأرض بصفة خاصة انطلاقا من قول الحق - تبارك وتعالى -

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ ﴾ [ابراهيم: ٤٢-٤٧]

والآيات القرآنية الكريمة، وكذلك الأحاديث النبوية الشريفة في النهي عن الظلم كثيرة، ولكن الأحاديث المشار إليها آنفاً تركز على الأرضين السبع، وقد حار الناس في فهم دلالة تلك الإشارة الكونية، وكثرت تساؤلاتهم :

هل الأرضين السبع هي سبع كواكب منفصلة من مثل الأرض لكل أرض منها سماؤها ؟ وإذا كان كذلك فأين هي ؟ خاصة وأن أعداد الكواكب في الجزء المدرك من السماء الدنيا كثيرة، وقد بدأت البحوث الفلكية في اكتشاف أعداد منها على الرغم من صعوبة ذلك.

هل هي من مجموعة الكواكب الشمسية كما كان يظن إلى عهد قريب قبل أن يصل عدد المكتشف منها إلى أحد عشر كوكباً ؟

أم هي سبع طبقات في أرضنا التي نحيا عليها يغلف الخارج منها الداخل فيها، وتتطابق حول مركز واحد ؟

خامسا : رأي العلم الحديث في شأن الأرضين السبع :

يمكن أن نختصر ذلك فيما أورده الدكتور زغلول النجار في مقال بعنوان: الكون سبع أرضين وسبع سماوات نشر في جريدة الأهرام القاهرية بتاريخ ٢٠٠٦/٩/١٨م، حيث قال فيه :

(وللأرض غلاف صخري يتراوح سمكه بين ٦٢,١٠٥كم، ويتكون من:

١- قشرة الأرض (Earth's Crust) بسمك يتراوح بين ٣٠ و ٥٠ كم في القارات، وبين ٨ و٥ في قيعان البحار والمحيطات.

٢- نطاق الضعف الأرضي (Asthenosphere)، ويمثل النطاق الفوقي من الأوشحة (Upper Mantle)، ويمتد إلى عمق ٧٠٠كم في داخل الأرض، وهو في حالة مائعة لزجة شبه منصهرة تحت ضغط عال وفي درجة حرارة قريبة من درجة الانصهار، مما يؤدي إلى سلوك المادة فيه سلوكا مرنا.

٣- الوشاح الأعلى من أوشحة الأرض (uppermost Mantle)، ويتراوح سمكه بين٣٥كم و١٠٠كم فوق القارات، وبين ٥٧ و ٦٥ كم فوق قيعان البحار والمحيطات، ويحيط الغلاف الصخري للأرض بعدد من النُطق الداخلية التي تترتب من الخارج إلى الداخل.

٤، ٥- الوشاحان الأوسط والأدنى (Middle and Lower Mantle) ويمتدان إلى عمق٢٩٠٠كم، ويتكونان من مادة صلبة ذات كثافة عالية في درجة حرارة مرتفعة وتحت ضغوط فائقة، وتزداد هذه الصفات كلها مع تزايد العمق.

٦- اللب الخارجي للأرض (OUTER Core) ويتكون من مواد سائلة تتركب أساسا من الحديد والنيكل وقليل من الكبريت والسليكون ويمتد إلى عمق ٥٢٠٠ كم، ويطلق عليه اسم اللب السائل أو اللب المائع.

٧- اللب الداخلي للأرض (Inner core)، وهو عبارة عن كرة مصمتة من الحديد والنيكل مع بعض العناصر الأخرى مثل الكبريت - أو السيليكون- يبلغ نصف قطرها ١١٧٠ كم، وتسمى باسم اللب الصلب للأرض (Solid core) أو نواة الأرض الصلبة (Solid Earth's Nucleous)

ولعل هذه النُطق السبع هي المقصودة بالأرضين السبع التي يصفها الحق - تبارك وتعالى - في ختام سورة الطلاق بقوله "الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما" فكما أن السماوات السبع متطابقة - أي يغلف الخارج منها الداخل - حسب وصف القرآن الكريم لها بقول الحق - تبارك وتعالى - ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ [الملك: ٣] فلا بد وأن تكون الأرضون السبع متطابقة بمعنى أن الخارج منها يغلف الداخل، ويتحقق ذلك في النطق السبع التي أمكن التعرف عليها جيولوجيا في الأرض).

- **ونخلص الآن إلى ما يلي :**

١ - أن السموات سبع بالدلالة الصريحة لأكثر من آية في القرآن الكريم.

٢- أن هذه السموات السبع خلقت طباقاً وأكثر الأقوال في معنى ذلك أنها طباق بعضها فوق بعض.

٣- أن القطع في تفاصيل السموات (كيف هي ؟ وماذا تحوي كل سماء . . . الخ) يعتبر من عالم الغيب الذي لا يوجد عليه دليل قطعي في دلالته ووروده، فيجب الإيمان بها كما وردت في القرآن الكريم.

٤- أن الخلاف في شأن الأرضين السبع أكبر من الخلاف في شأن السموات، وأنه لا يوجد في القرآن الكريم إلا آية واحدة قد تدل على تعدد الأرضين.

٥- أن القول بوجود أرض غير أرضنا هذه (بما لهذه الأرض من معنى) لا يوجد له دليل قطعي يسنده ويؤيده.

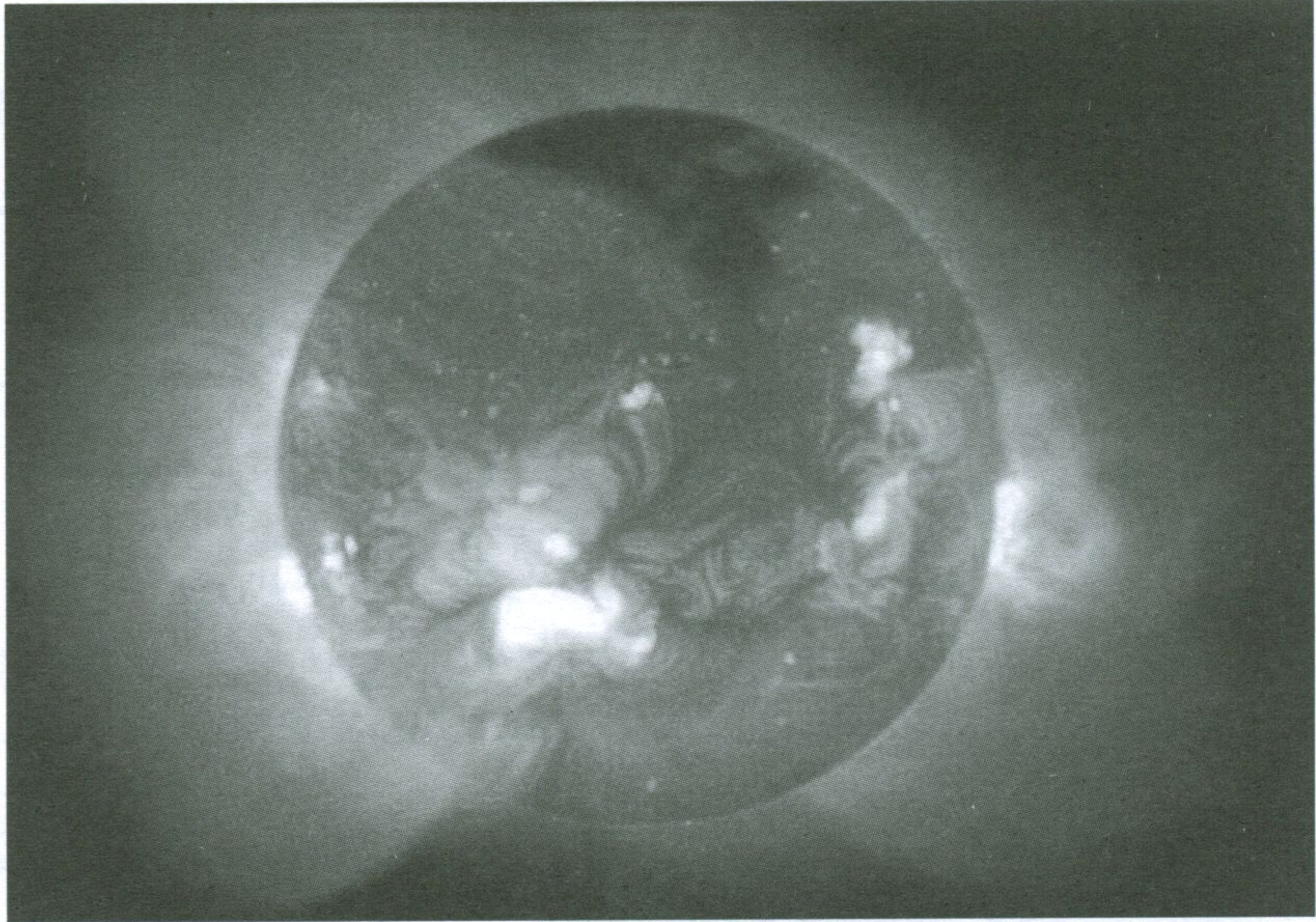
٦- أن القول بأن الأرض سبع طباق هو الذي يدعمه العلم الحديث، فعلى القول بأن الآية ١٢من سورة الطلاق، تدل على تعدد الأرضين، فإن القول بأن التعدد معناه تعدد الطبقات يبقى القول الأقوى لدلالة العلم الحديث عليه.

الصورة الثانية: الاعجاز العلمي في قوله تعالى (والشمس تجرى لمستقر لها)

أولا : مفهوم الشمس عند الفلكيين :

يعرف الفلكيون الشمس بأنها: (كرة هائلة من الغاز المتوهج في وسط المجموعة الشمسية تدور الأرض مع ثمانية كواكب أخرى حولها. وما الشمس إلا واحدة من بين النجوم في الكون لا تتميز عنها بشيء)[1]

● **أهميتها للإنسان** : مما لا شك فيه أن الشمس ذات أهمية بالغة للإنسان تفوق أهمية النجوم الأخرى فبدون حرارة الشمس وضوئها لا يمكن أن توجد حياة على الأرض.



● **محاولة لتخيل حجم الشمس** : يبلغ قطر الشمس (أي المسافة بين طرفيها مارة بالمركز) ١٣٩٢٠٠٠كم (مليون وثلاثمائة واثنان وتسعون ألفا) وهو يعادل قطر الأرض ١٠٩ مرات (أي أن الأرض أقل من عشر الشمس) ولما كانت الشمس تبعد عن الأرض بمسافة قدرها ١٥٠ مليون كم فهي لا تظهر لنا أكبر من القمر يبلغ قطر الشمس ٤٠٠ ضعف قطر القمر كما أن بعدها عن الأرض يصل ضعف بعدها عن القمر.

---

(١) (الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، ص ١٥٩، ط٢ عام ١٩٩٩).

● **مثال تقريبي** : لو أننا تخيلنا الشمس في حجم ناطحة سحاب مثلا تبدو الأرض في حجم الإنسان ويبدو القمر في حجم حيوان صغير يقف بجواره ويظهر المشتري اكبر كواكب المجموعة الشمسية في حجم مبنى صغير بينما يبدو أقرب نجم منا في حجم ناطحة سحاب ولكنها على بعد يصل إلى ١١ مليون كم[١].

ويعلق على ذلك الدكتور/ فوزي الشربيني قائلاً:

الشمس أقرب النجوم إلينا وتتألف من غازات متوهجة منها ألسنة اللهب كالنافورات وتزيد درجة حرارة باطنها عن ٢٠ مليون درجة مئوية وتبلغ على سطحها ٦٠٠٠ درجة مئوية.

والشمس مصدر الضوء والحرارة لسائر الكواكب وأساس الظواهر المناخية وكل التركيبات الغذائية التي بدونها لا ينبت نبات ولا يتغذى حيوان ولا يعيش إنسان على ظهر الأرض وتهيمن الشمس على المجموعة الشمسية كلها وتجعلها تدور حولها وهي على ضخامتها تدور بسرعة ٢٢٠كم/ث والقرآن الكريم يصف الشمس بالضياء والقمر بالنور مصداقا لقوله تعالى:

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا ﴾ [يونس: ٥]

والضياء معناه أنها مضيئة بذاتها بعكس القمر الذي يستمد الضوء من الشمس فهو منير فقط.

● **تعليق : يتميز الضياء (ضوء الشمس) بأنه :**

أ - ثابت من ثبات أشعة الشمس

ب- هو المصدر أو الأصل

أما النور (ضوء القمر) فهو :

أ - جزء من الضياء

ب - متغير وليس ثابتا

ج- يعتبر مصدره صناعيا

---

(١) نفس المرجع والموضع.

ثانيا : التفسير العلمي لتكوين الشمس :

أو : كيف تكونت الشمس (فلكيا)؟

يوجد في الفراغ بين نجوم المجرة والمجرات أيضا كميات هائلة من الغاز والغبار. وتبدأ النجوم الجديدة في التكون حينما تتلامس أجزاء من الغاز والتراب. وتبدأ تحت تأثير الجاذبية في التقلص[1].



وتتولد الحرارة نتيجة للتقلص وبازدياد التقلص تزداد الحرارة عند المركز حتى يبلغ حدا يسمح بحدوث تفاعلات حرارية فتحدث هذه التفاعلات طاقة تكون سببا في توهج النجم ويعتقد الفلكيون أن الشمس تكونت من كتلة من الغاز والغبار في حالة حركة دائرية. ويعتقد أن الكواكب السيارة تشكلت من مركز الكتلة الدوارة.

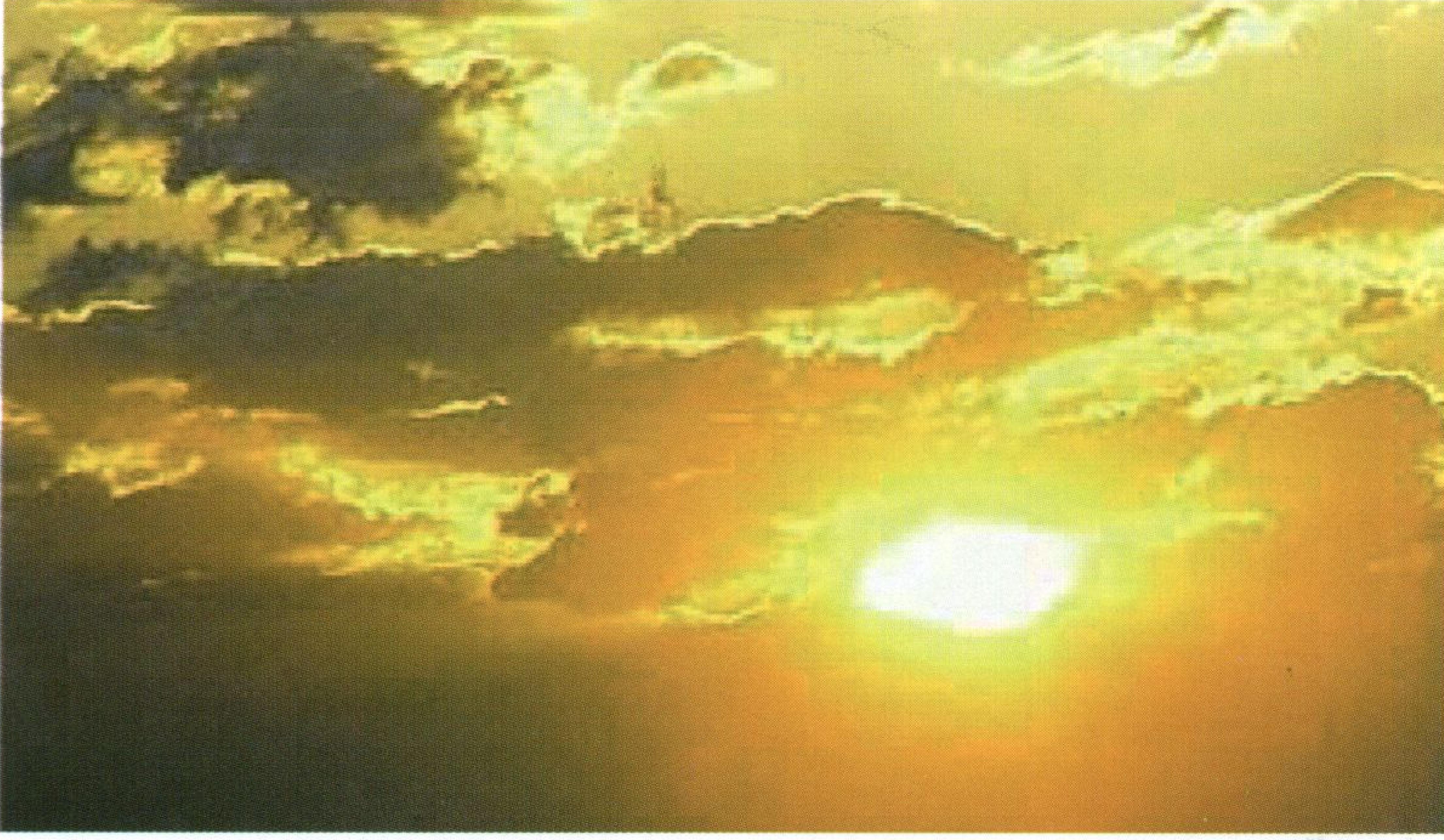
ولا يعرف العلماء الكثير من التفاصيل عن نشأة المجموعة الشمسية إلا أن دراسة واستكشاف الفضاء والقمر والكواكب الأخرى تساعد على زيادة معرفتهم بها. ويعتقد الكثير من الفلكيين أن النجوم الأخرى ربما تكونت حولها كواكب مماثلة عند بدء نشأتها.[1]

---

(١) (الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة، الرياض، ١٩٩٩م، ط٢).

ثالثا : كيف تنتج الشمس الطاقة

ترسل الشمس إلى الفضاء طاقة ضوئية وحرارية. فهي تفقد من كتلتها على هيئة طاقة ما مقداره ٣,٦ ملايين طن كل ثانية. ولا تستقبل الأرض من هذه الطاقة التي تفقدها الشمس سوى ما يقرب من ١,٨ كجم في الثانية الواحدة أو ما يعادل جزءا من بليونين من الطاقة التي تبثها الشمس في الثانية الواحدة غير أن هذه الكمية تكفي لجعل الحياة ممكنة على سطح الأرض.[١]



رابعا : وجه الاعجاز العلمي في الاية الكريمة :

﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ ﴾ [يس: ٣٨]

قال تعالى:

﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [يس: ٣٨-٤٠]

- **الوجه الأول : جريان الشمس : يقرر القرآن الكريم منذ البداية :**

أن الشمس تجري باتجاه معين ولم يكشف العلم عن ذلك إلا في أوائل القرن العشرين حيث كان يتصور أن الشمس ثابتة في مكانها وأن حركة الشمس من الشرق إلى الغرب انما هي حركة ظاهرية.

---

(١) (شبكة الأنترنت موقع): htt;www.awu-dam.org



إلى أن قرر العلماء أن للشمس حركة حقيقية في الفضاء معلومة المقدار والاتجاه وكشف النقاب عن ذلك بعد ألف ومائتين سنة من نزول هذا الكتاب العظيم مما يعد برهانا ساطعا على أن هذا الكتاب تنزيل من خالق الشمس والكون كله، سبحانه وتعالى...[(١)].

وأوضح علماء الفلك: "أن الشمس لها مجموعة من الكواكب والأقمار والمذنبات تتبعها دائما وتخضع لقوة جاذبيتها وتجعلها تدور من حولها في مدارات متتابعة بيضاوية الشكل وجميع أفراد هذه المجموعة تنتقل مع الشمس خلال حركتها الذاتية وان تلك المجموعة الشمسية تجري في الفضاء بسرعة محدودة وفي اتجاه محدود ويبلغ هذه السرعة حوالي ٧٠٠كم /ث... وتتم دورتها حول المركز في مدى ٢٠٠ مليون سنة ضوئية"[(٢)].

- ثم يقرر القرآن ثانيا عن الشمس من خلال قوله تعالى:

﴿ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴾ [يس: ٤٠]

نجد أنها تعني:

تحرك المجموعة الشمسية كلها... أي أن الشمس والقمر والأرض التي كنى عنها بالليل والنهار واللذين هما ملازمان لها في فلك واحد وهذه هي الحقيقة التي أثبتها القرآن وظلت مطوية حتى أظهرها العلم الحديث.

(١) تفسير الآيات الكونية بالقرآن الكريم، د. عبدالله شحاتة، ٦٩، ط، نهضة مصر، ط ٤، ٢٠٠٥

(٢) السابق، ص ٧٠

- ويأتي العلم الحديث ويثبت :

انه لا تدرك الشمس القمر.... ولا يمكن أن يتلاقيا لأن كلا منهما يجري في مدار مواز للآخر فيستحيل أن يتقابلا لان الخطين المتوازيين لا يتلاقيان أبدا.[1]

● **الوجه الثاني : مستقر الشمس :**

خطوات نهاية المجموعة الشمسية في الجغرافيا الفلكية.

١- يبدأ النجم جرما باردا نسبيا من غاز شديد التخلخل يلتف حول نفسه.

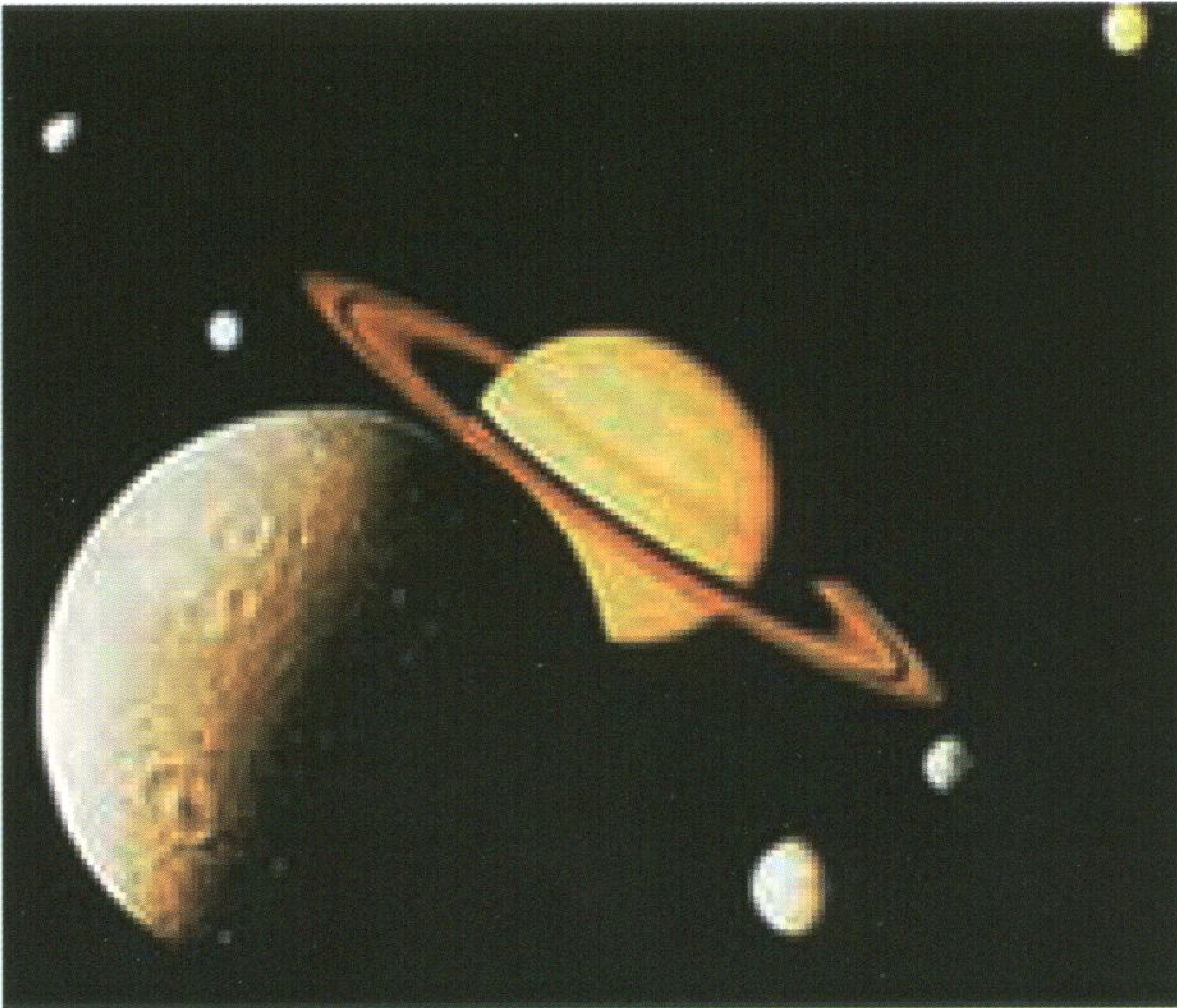
٢- يستمر تجمعه حول نفسه تحت تأثير التجاذب يعقب ذلك توليد طاقة حرارية لمدة معينة ثم يدخل في مرحلة التقلص.

٣- وتستمر مرحلة التقلص وتزداد الطاقة المتولدة حيث تنتقل إلى سطحه.

٤- وينفذ الأيدروجين فيدخل النجم في مرحلة التقلص الأخير والتحول إلى قزم أبيض ويقل إشعاعه تدريجيا ويدخل دور الفناء[2].

● **الشمس بين الجريان والمستقر :**

الغريب أن يكون قد غاب عن بعض المفسرين شمول التقدير للأمرين جميعا إذ جعل اسم الإشارة راجع للجري أو إلى المستقر وقد سمح لأكثر المفسرين أن يذهبوا في معنى المستقر إلى ما يتفق وجري الشمس الظاهري وتغير مواقعها في الشروق والغروب طوال



(١) (الاعجاز العلمي في القرآن، مازن مغايري، ٤٥، ط دار الرضوان، ٢٠٠٤)
(٢) راجع : (الاعجاز العلمي في القرآن الكريم، عبد الرحيم ماروييي ١٩٥ وما بعدها، ط دار المحبة، عام، ٢٠٠٢، ط١)

العام وترددها في ذلك كل عام بين أقصى موقعين تبلغها في الشتاء والصيف لا تتعداهما بحال فكل موقع من هذين الأقصيين مستقر لها في الشتاء مرة وفي الصيف مرة أخرى ومن المفسرين القدامى من قال أنه لا استقرار للشمس في حركتها حتى يجيء يوم القيامة فتبطل حركتها وتستقر ولكن التفسير العلمي لهذه الآية : يشير إلى أن الشمس في حالة جريان مستمر حتى تصل إلى مستقرها المقدر لها وهذه الحقيقة العلمية لم يصل إليها العلم الحديث إلا في القرن التاسع عشر حيث كشف العالم الفلكي ريتشارد كارينغتون أن الشمس والكواكب التي تتبعها تدور كلها في مسارات خاصة بها وفق نظام ومعدلات خاصة[1] وفقا لقوله تعالى:

﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠]

ولكن علماء الفلك يقدرون بأن الشمس تسبح في الوقت الذي ينفذ وقودها فتنطفئ هذا هو المعنى العلمي الذي أعطاه العلماء لمستقر الشمس[2].

أضف إلى ذلك ما تم اكتشافه في القرن العشرين من أن النجوم كسائر المخلوقات التي أودعها الله تنمو وتشيخ ثم تموت فقد ذكر علماء الفلك في وكالة فضاء الأمريكية ناسا أن الشمس عندما تستنفذ طاقتها تدخل في فئة النجوم الأقزام ثم تموت وبموتها تضمحل إمكانية الحياة في كوكب الأرض[3].

ولعله يكون قد اتضح أن وجه الإعجاز: في الآية القرآنية الكريمة هو تقريرها بأن الشمس في حالة جريان وسَباحة في الكون، وهذا ما كشف عنه علم الفلك الحديث بعد قرون من نزول القرآن الكريم.

---

(١) (الاعجاز العلمي والجغرافي في القرآن الكريم، د. فوزى الشربينى، ١٠٨)، ولمزيد من التوضيح، ينظر: الإسلام في عصر العلم، د. محمد الغمراوى، ص ٢١٧، وما بعدها، مرجع سابق.
(٢) (تفسير الآيات الكونية بالقرآن الكريم، د. عبدالله شحاتة، ١٠٥).
(٣). . . (الاعجاز العلمي في القرآن، مازن مغايري، ٢٠٣).

الصورة الثالثة: الاعجاز العلمي في حديث القرآن عن الجبال

أولا: **تعريف الجبال**: هي كتلة صخرية بارزة فوق اليابسة بشكل واضح ولها وتد ممتد في الطبقات السفلى ويكون طوله تسعة أضعاف وثقله النوعي للطبقات التي يخترقها. ويطلق مصطلح الجبل عادة على الارتفاعات التي تزيد عن ستمائة متر فوق مستوى سطح البحر[1].

ثانيا: وصف الجبال: وصف القرآن الكريم الجبال بوصفين:

أ - أنها رواسي: قال الله تعالى:

﴿قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٤٣]

ب - أنها أوتاد: قال تعالى:

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَـٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾﴾ [النبأ: ٦ - ٧]

كانت هذه الجبال في نظر العلماء الجيولوجيين في القرن التاسع الميلادي لا تعدو كونها مرتفعات أو نتوءات فوق سطح الأرض وتتابعت الدراسات وجاءت بعثة العلماء الانجليز عام (١٨٧٤) لدراسة جبال (هيمالايا) ولم يخرجوا بنتيجة منها إلا بلغز سموه (لغز الهند) وأخيرا عمل فريق من العلماء على دراسة ذلك مستخدمين جهاز (السيزوموغراف) فتبين لهم التالي: أن الجبل جزر ممتدة تحت سطح الأرض بما يعادل (أربعة أو خمسة) أضعاف ارتفاعه فوق سطح الأرض.

ثالثا: (والجبال أوتادا)

يقول الدكتور/ زغلول النجار[2]:

(ورد ذكر الجبال في القرآن الكريم في تسع وثلاثين آية، ست آيات تذكر الجبل المفرد، وثلاث وثلاثين آية تذكر الجبال بالجمع، وهناك عشر آيات أخرى تتحدث عن الجبال بوصف الرواسي، هذه الآيات قمت بتبويبها في

(١) شبكة الانترنت، موقع: www.55a.net

(٢) في موقعه الرسمي على شبكة الانترنت، تاريخ الدخول ٣/ ٦ / ٢٠٠٩ م.

موضوعات متعددة متخصصة، ويمكن أن أقول باختصار : هناك آيات تشير إلى أنها مرتفعات على سطح الأرض، مثل قوله تعالى :

﴿ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا﴾ [البقرة: ٢٦٠]

﴿قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ﴾ [هود: ٤٣]

وآيات تشير إلى ضخامة الكتلة الجبلية وارتفاعها وطبيعتها المائلة، مثل قوله تعالى :

﴿وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ﴾ [الرعد: ٣١]

﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ﴾ [الحشر: ٢١]

وكلها آيات تعظم من شأن هذه التضاريس الأرضية.

- هذا فضلاً عن إشارة القرآن عن نحت الجبال، وإثبات ظاهرتي النسف والتسيير. . . إلخ.
- ولنبدأ في شرح آية الأوتاد التي يقول فيها الحق تبارك وتعالى :

﴿أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدٗا ٦ وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا ٧﴾ [النبأ: ٦-٧]

وبالرغم من أن المفسرين القدامى مروا على هذه الآية مرور الكرام وتوصلوا، أو توصل بعضهم إلى تصور أن الجبال لها دور في تثبيت الأرض، لكنهم لم يستطيعوا شرح هذا الدور في إطاره العلمي الصحيح، ويعجب الإنسان حين يرى هذه الإشارة هي كلمتين: (والجبال أوتادا)، فكما أن الوتد أغلبه مندس في الأرض وأقله ظاهر على السطح، ووظيفته التثبيت، فقد أثبت أهل العلم الحديث أن هذه وظيفة الجبال، وأن هذه هيئة الجبال، وإذا أخذنا أي دائرة معارف علمية، أو أي معجم لغوي أو علمي، وبحثنا عن مدلول كلمة (جبل) وجدنا المعاجم الصادرة في التسعينات(٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٤) وإلى يومنا هذا، تصف الجبال بأنه : بروز على سطح الأرض يتعدى ارتفاعه (٣٠٥) مترا، ويختلف الأمريكان مع الإنجليز، فالأمريكان يقولون (٣٠٥) متر والإنجليز يقول (٦١٠) متر، فجمعت مجموعة كبيرة من معاجم

اللغة والعلم التي تعرف الجبال، فوجدتها لا تخرج كلها عن هذا التصور، أي أن الجبال نتوءات على سطح الأرض، ترتفع فوق الأرض المحيطة بها بمدى يتراوح بين ٣٠٥ و ٦١٠ مترا ويزيدا، ويعتبرون ما دون ذلك من الربى، (جمع ربوة)، والربوة هي التل المرتفع، ثم دون الربوة، التل، ودون التل : الهضاب، ثم السهول والأودية.

• **أن وظيفتها تثبيت الأرض وحفظ توازنها.**

وهذا السر لم يتأكد منه الباحثون إلا عام (١٩٥٦) كما ذكر الدكتور فاروق البارز المختص في علم الجيولوجيا وهذا السر قد ذكره القرآن الكريم من ألف وأربعمائة عام) فقال تعالى(والجبال أوتادا). . . . .)[(١)].

• **بلاغيات الآية** : ينظر العلامة الدكتور/ محمد الغمراوى نظرة بلاغية عميقة للآية ليخرج منها نوعين من التشبيه :

أ- التشبيه البليغ

ب- التشبيه المقلوب

فيقول :(ينبغي أن يتحقق الأمران جميعا في معنى الكلمتين (الجبال أوتادا) وينبغي - كذلك - أن يكون في تشبيه الجبال بالأوتاد هذا التشبيه المحذوف منه أداة التشبيه والذي يسميه علماء البيان : التشبيه البليغ لأنه يجعل المشبه عين المشبه به توكيدا للشبه الشديد بينهما ينبغي أن يكون في ذلك هاديا إلى أطراف المعنى من ناحيتين: من ناحية الدلالة على القدرة وكمالها، ومن ناحية الحكمة وجلالها.

وأطراف المعنى إنما تتبين من تعدد أوجه الشبه بين الجبال والأوتاد تعددا يدل على مجاوزته المألوف في كلام الناس اذا بالغوا في التشبيه.

إن التشبيه البليغ هنا هو من قبل الحق سبحانه ثم هو تشبيه للأعلى بالأدنى، وللفخم الرائع بالضئيل الممتهن عند الناس فليس هو في شي من

---

(١) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة،يوسف الحاج أحمد ٢٥، مكتبة ابن حجر، الطبعة الأولى، عام ٢٠٠٣م.

تهويل الناس، ومبالغاتهم في تشبيهاتهم البليغة، وكأنه تشبيه مقلوب أو معكوس، ولكنه دليل إلى أمور في الجبال هي من آيات الله في الخلق، تناظرها أمور يعرفها الناس في الأوتاد على عظم الفرق بين الجانبين في النسبة والمقدار فكأن ذلك التشبيه العجيب مفتاح أو مصباح يستكشف به المجهول من أمر الجبال عن طريق المعروف من نظائر لها في الأوتاد والجبال فيما يتبادر إلى الذهن تشبيه الأوتاد من ناحية البروز عن سطح الأرض وناحية الرسوخ فيها لكن التشابه والتناظر بينهما أشمل وأدق من هذا فالأوتاد تختلف من ناحية البروز في مداه وفي درجات الميل والجبال تختلف في الارتفاعات وفي درجات الميل كذالك والأوتاد يختلف رسوخها باختلاف صلابتها وشكلها ومدى ذهابها في الأرض وطبيعة تلك الأرض وكذالك تختلف الجبال من ناحية الرسوخ في ذلك كله

وإذا كان تفسير هذا في الأوتاد هينا فتفسيره في الجبال يحتاج إلى علم واختصاص فالأوتاد لم تزد على أن تشير إلى نواح ينبغي أن يتجه إليها الباحث ليقف على مظاهر من آيات الله في الجبال)[1]

رابعا : حديث القرآن عن تكوين الجبال :

قال تعالى:

﴿وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٥]

وفي كلمة (ألقى) إعجاز قرآني. كما قال علماء الجيولوجيا : إن تكوين الجبال على سطح الأرض إنما تم بطريقة الإلقاء الذي تم جيولوجيا عبر العصور وهو من أسفل إلى أعلى، فقد لفظت المحيطات والبحار ما بداخلها على مستوى القاع وذلك بفعل البراكين أو من أعلى إلى أسفل بفعل مجاري الأنهار والرواسب الصخرية أولا بأول.

(١) الاسلام في عصر العلم، د. محمد أحمد الغمراوى، ص ٢٧٤، ط دار الانسان بالقاهرة.
(٢) الموسوعة الذهبية في اعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية، د. أحمد مصطفي متولى، ٢٠٦، ٢٠٧، ط دار ابن الجوزى بالقاهرة، ط١ عام ٢٠٠٥ م.

● تعليق : في الوقت الذي كان فيه الانسان يجهل حقيقة الجبال والذي ظل حتى منتصف القرن التاسع عشر جزم القرآن الكريم في هذه الآية الكريمة بان الجبال تشبه الأوتاد شكلا ووظيفة وتبين حديثا صدق هذا التشبيه الدقيق، فبينهما وجوه شبه كثيرة من أهمها ما يلي :

١- للوتد جزء ظاهر فوق سطح الأرض، وكذلك الجبل له جزء ظاهر فوق قشرة الأرض.

٢- وللوتد - كذلك - جزء منغرس في باطن قشرة الأرض، كما أن للجبل جزء منغرس في باطن الأرض يتناسب طردا مع ارتفاعها وعلوها.

٣- ووظيفة الوتد تثبيت ما يتعلق به وكذلك وظيفة الجبال : تثبيت ألواح قشرة الأرض لتمنعها من أن تميد وتضطرب بفعل الطبقة المنصهرة تحتها

٤- يتأثر كل منهما بالعوامل الجوية .

٥- وجود الصلابة والمتانة المتناهية في كل منهما

وبهذا يتضح أن هذا الكتاب هو كلام الله تعالى خالق الجبال والأكوان مصداقا لقوله جل وعز﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾[الملك: ١٤]

وحركات طبقات الأرض الكائنة تحت قشرتها تسبب ضغطا هائلا من الأسفل إلى العلى ونتيجة هذا الضغط تتكون الجبال. لقد ثبت علميا أن الجبال تمتد أربع مرات ونصف داخل الأرض السفلى. ذكر العالم الألماني(الفرد كرونر) وهو عالم جيولوجي كبير وهو من أكبر الملحدين عند زيارته لجامعة الملك عبد العزيز وحواره مع العلماء قيل له : من أين لمحمد ﷺ كل هذا العلم ؟ فقال :(لابد أنه جاءه من أعلى أو من فوق)(٢).

● يقول الدكتور / زغلول النجار : لقد درس الباحثون سر تكون الجبال والهدف منها وما هي فائدتها ؟ فتبين أن الجبال تمثل مثبتات للأرض خلال

(١) آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، د. زغلول النجار، تقديم أحمد فراج، ١١٣، مكتبة الشرق الدولية بالقاهرة.

رحلة دورانها. فالأرض تدور بسرعة كبيرة تتجاوز ال١٦٠٠ كيلومترا في الساعة وعند هذه السرعة يختل توازن الأرض لولا هذه الجبال التي هي بمثابة موازنات لهذه الكرة الدوارة. ثم إن دراسة سطح الأرض وتوزع الجبال والمحيطات فيه يبين نوعا من التوازن في الهيكل العام للأرض وهنا يأتي البيان القرآني ليقول لنا :(والجبال أوتادا)"النبأ ٧".

إذن الجبال عبارة عن أوتاد أليس هذا وصفا دقيقا للجبل ؟[1].

وهنا نسال : من الذي جاء بهذه الحقائق العلمية قبل أربعة عشر قرنا ؟ أليست دليلا على صدق كتاب الله تعالى ؟

خامسا : ظاهرة تسيير الجبال :

المقصود بهذه الظاهرة : تحول الجبال إلي كثيب من الرمال أو العهن أو ما يشبه السراب (على اختلاف آراء المفسرين)

• الآيات الواردة فيها : نورد فيما يلي الآيات التي تحدثت عن هذه الظاهرة حسب ترتيب نزولها وليس حسب الترتيب المصحفي :

١- قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ ﴾ [التكوير: ٣]

أي : ذهب بها عن وجه الأرض فصارت هباء منبثا.[1]

وفي تفسير ابن كثير : (يعني قلعت من الأرض، وسيرت في الهواء

٢- قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً ﴾ [الكهف: ٤٧]

قيل سيرها : أي تحولها عن منزلة الحجارة، "فتكون كثيبا مهيلا،أي رملا

---

(١) تفسير الجلالين :الإمامين (العلامة جلال الدين محمد بن احمد المحلي والشيخ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي)، ص ٥١٨، دار المعرفة : بيروت.

(٢) تفسير القرآن العظيم :الإمام الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر كثير البصروي الدمشقي،ج ٤ ،ط٣. دار صادر: بيروت ٢٠٠٧م.

(٣) مختصر تفسير القرطبي :الإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي، اختصره وخرج أحاديثه الشيخ عرفان حسونة،ج ٤ / ١١٣، ط ١ : دار الكتب العلمية : بيروت ١٤٢٢ هـ /٢٠٠١ م.

سائلا، وتكون كالعهن، وتكون هباء منشورا، وتكون سرابا، مثل السراب الذي ليس بشيء. وعادت الأرض قاعا صفصفا لا تري فيها عوجا ولا أمتا). [٢] أما في تفسير القرطبي :أي زالت عن أماكنها ونسفت فتركت الأرض قاعا صفصفا. [٣]

٣- قوله تعالى ﴿ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ ﴾ [الطور: ٩-١٠]

٤- قوله تعالى : ﴿ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [النبأ: ٢٠]

أي نهايتها إلى سراب : لا شيء، ونلاحظ أن هذه الآيات تناولت الظاهرة من كل جانب من بدايتها ونسبتها إلى الله تعالى إلى نهايتها حتى تصير سرابا، مما يؤكد العرض الموضوعى في القرآن الكريم.

سادسا : ظاهرة نسف الجبال :

تحدث القرآن الكريم أيضاً عن هذه الظاهرة في أربع آيات هى بترتيب النزول لا بترتيب المصحف على النحو التالي :

١- الاهتزاز السريع أوالرجفة كمقدمة للنسف في قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ ﴾ [المزمل: ١٤]

٢- النسف الحقيقى للجبال الذي يصل إلى حد الظاهرة في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾ ﴾ [المرسلات: ١٠]

٣- نسبة هذا العمل إلى الله، إثبات عدم مقدرة أحد على ذلك إلا الله تعالى وحده : "ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا" سورة طه: الآية ١٠٥

يقول النيسابورى عن سبب نزول هذه الآية: قوله تعالى ويسألونك عن الجبال. . . الآية: أخرج ابن المنذر عن ابن جريج قالت قريش يا محمد كيف يفعل ربك بهذه الجبال يوم القيامة فنزلت ويسألونك عن الجبال. . . الآية[١].

(١) أسباب نزول القرآن :أبو الحسن علي بن احمد بن محمد الواحدي، ص ٤٢٦، ط١, دار الميمان بسوريا، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

(ويسألونك عن الجبال)كيف تكون يوم القيامة (فقل) لهم : (ينسفها ربي نسفا) وذلك بأن يفتتها كالرمل السائل ثم يطيرها كالريح.

أي عن حال الجبال يوم القيامة "فقل "جاء هذا بفاء وكل سؤال في القرآن "قل "بغير فاء إلا هذا,لان المعنى إن سألوك عن الجبال فقل،فتضمن الكلام معنى الشرط. وقد علم الله أنهم يسألونه عنها، فأجابهم قبل السؤال، وتلك أسئلة تقدمت سألوا عنها النبي ﷺ فجاء الجواب عقب السؤال، فلذلك كان بغير فاء،وهذا سؤال لم يسألوه عنه بعد.

يقول تعالى: (ويسألونك عن الجبال) أي هل تبقى يوم القيامة أو تزول؟ف قل ينسفها ربي نسفا أي يذهبها عن أماكنها ويمحقها ويسيرها تسييرا.

٤- حالة الجبال بعد النسف : أنها تصير لاشيء بعد كل هذه القوة والصلابة والمتانة، وذلك قوله تعالى :

﴿ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ ﴾
[الواقعة: ٤-٦]

- العلاقة بين الظاهرتين : تقع هاتان الظاهرتان (النسف والتسيير) على التقسيم وليس على التعاقب : بمعنى أن هناك جبال يقبل مكونها الداخلي النسف وجبال أخرى يقبل مكونها الداخلي التسيير، وهذا مصداق آية أنواع الجبال :

﴿ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾ [فاطر: ٢٧]

- الحركة الدنيوية للجبال : أثبت القرآن الكريم الحركة الدنيوية للجبال مع حركة الأرض والمجموعة الشمسية كلها بل والمجرة وسماها مرور الجبال في قوله تعالى :

﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾
[النمل: ٨٨]

الصورة الرابعة: حديث القرآن الكريم عن الظواهر الجوية

أولا : تعريف الظواهر الجوية : هى تلك الأمور التى نراها ظاهرة أمامنا في الجو من سحاب ومطر وضباب وبرق ورعد . . . الخ

ثانيا : طريقة تناول القرآن لهـذه الظواهر : جاء حديث القرآن الكريم عن هذه الظواهر التي نراها أمـامنا في الجـو على سـبـيل التنويه المجمـل، وليس التفصيل الموضح، وذلك للأسباب التالية :

١- لو تم التفـصيل فيـها وقت نزول القـرآن لما أدرك العـقل - وقتـئـذ - هذه الأمور العلمية الدقيقة، بل قد تكون فتنة للبعض، والقاعدة تقول : خاطبوا الناس على قدر عقولهم

٢- دراسة الظواهر الجوية من أصعب الدراسـات، لارتباط هذه الظواهر بعضها ببعض، ولا تخضع لنطاق اقليمى واحد بل من الممكن أن تحتاج محاولة معرفة كيفية نزول قطرة مطر : من أين تبخرت، وأين تكثفت، وأين حملها الريح . . . الخ إلى جهود مجموعة دول

٣- يحتاج التحليل الدقيق لهذه الظواهر إلى معلومات شتى يحصل عليها الانسان بوسائل متعددة من أقطار كثيرة وبامكانيات كثيرة

٤- صعوبة اجراء التجارب والتحاليل بعيدا عن سطح الأرض لتغير عوامل كثيرة يصعب السيطرة عليها ناهيك عن فقدان الجاذبية واختلال بعض القوى

ثالثا : نماذج من حديث القرآن عن الظواهر الجوية :

الأنموذج الأول : مراحل نزول المطر :

- المرحلة الأولى : عملية التبخر وهى تحول الماء (السائل) إلى بخار فوق سطح الأرض

- المرحلة الثانية : عملية التكثيف وهى عملية تبريد البخار بعد ارتفاعه عن سطح الأرض حتى يصير سحابا، فاذا ما هبط على سطح الأرض سمى ضبابا
- المرحلة الثالثة : عملية اتحاد السحب مع بعضها البعض حتى تتكون الكتلة السحابية، مما ينتج عنها البرد والرعد وأحيانا الصواعق
- المرحلة الرابعة : نزول المطر ويحدث اذا لم يقدر الريح على حمل هذه الكتلة السحابية فتتساقط الأمطار

• **تعريفات علمية** : ورد في المثال السابق مجموعة مصطلحات نعرفها من الوجهة العلمية :

١- السحاب : هو بخار ماء تكاثف في الطبقات الجوية العليا

٢- الضباب : هو بخار ماء تكاثف في الطبقات القريبة من الأرض

٣- البرق : هو شرارة كهربية تتولد لحظة اصطدام السحابة الموجبة مع السحابة السالبة في وقت التجمع لتكوين الكتلة السحابية

٤- الرعد : هو الصوت القوى المتولد لحظة اصطدام السحابة الموجبة مع السحابة السالبة في وقت التجمع لتكوين الكتلة السحابية

٥- الصاعقة : هى عملية تفريغ كهربائى بين السحاب والأرض اذا أصاب انسانا أو حيوانا أو نباتا أحرقه

• **فكرة مانع الصواعق** : وضع قضيب حديدى فلزى طرفه الأول مدفون في الأرض والطرف الثاني أعلى من سطح المبنى بما يعادل طابقا اخر.

• **الأنموذج الثاني** : الاشارات العلمية الواردة في قوله تعالى :

﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ ﴾[فاطر: ٩]

لعل من هذه الاشارات ما يلي :

١- الرياح تثير سحابا : اشارة إلى أثر الرياح في تكوين السحاب، فاذا

انصرف الذهن إلى أن (تثير) بمعنى تنقله من مكان إلى مكان آخر وجدنا لفظة(فسقناه) تعنى نقلناه نحن ولا دخل لأحد ولا لشيء فيه.

٢- ما يلفت النظر في الاية : نسبة الاثارة إلى الرياح(فتثير)، ونسبة السوق إلى الله عز وجل(فسقناه) لأن السوق - بفتح السين - لا يقع الا باذن الله وتقديره

٣- امكانية ما سماه علماء العصر الحديث : وجود المنطقة المخلخلة التى تنزل المطر دون تبخر أو تكثف مما يفسر حكمة مشروعية صلاة الاستسقاء عند المسلمين

- **الأنموذج الثالث** : الاشارات العلمية الواردة في قوله تعالى :

﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحجر: ٢٢]

من الاشارات العلمية في الاية الكريمة :

١- ترتيب إنزال الماء لسقيا الناس على إرسال الرياح لواقح

٢- المفهوم العادى للناس هو حمل وصف الرياح باللواقح على أنها لواقح للزرع والشجر، وهذا الفهم فيه اغفال للنصف الثاني من الاية (فأنزلنا من السماء ماء . . .) لأنه لو كان هذا هو المراد لترتب عليه اخراج الثمر للناس يأكلونه وليس انزال الماء من السماء يشربونه

٣- وعلى ذلك لابد أن يكون لكلمة لواقح معنى اخر غير تلقيح الزرع وهو تلقيح السحاب حتى تجتمع السحابة الموجبة مع السالبة فتتكون الكتلة السحابية قبيل نزول المطر

٤- يجب أن يتضح مقصود التلقيح هنا بأنه جمع بين كهربية سحابة موجبة وسحابة سالبة وليس جمع طلع أعضاء التذكير مع بويضات أعضاء التأنيث[1]

---

(١) أخذت هذه المعالجة العلمية للظواهر الجوية، وقمت بتلخيصها وترتيبها، من كتاب : الاسلام في عصر العلم، د / الغمراوى، ص ٣٢٨ وما بعدها مرجع سبقت الاشارة اليه.

الصورة الخامسة : الإعجاز العلمي في مراحل خلق الإنسان

أولاً: فترة الحمل من الشهر الاول وحتي الشهر التاسع

الشهرالاول:

١- يحدث الإخصاب والإباضة بعد اربعة عشر يوما تقريبا من اليوم الأول لآخر فترة حيض.

٢- بعد عشرة ايام، تغرز البويضة المخصبة في جدار الرحم وتبدأ دورة الدم في الرحم.

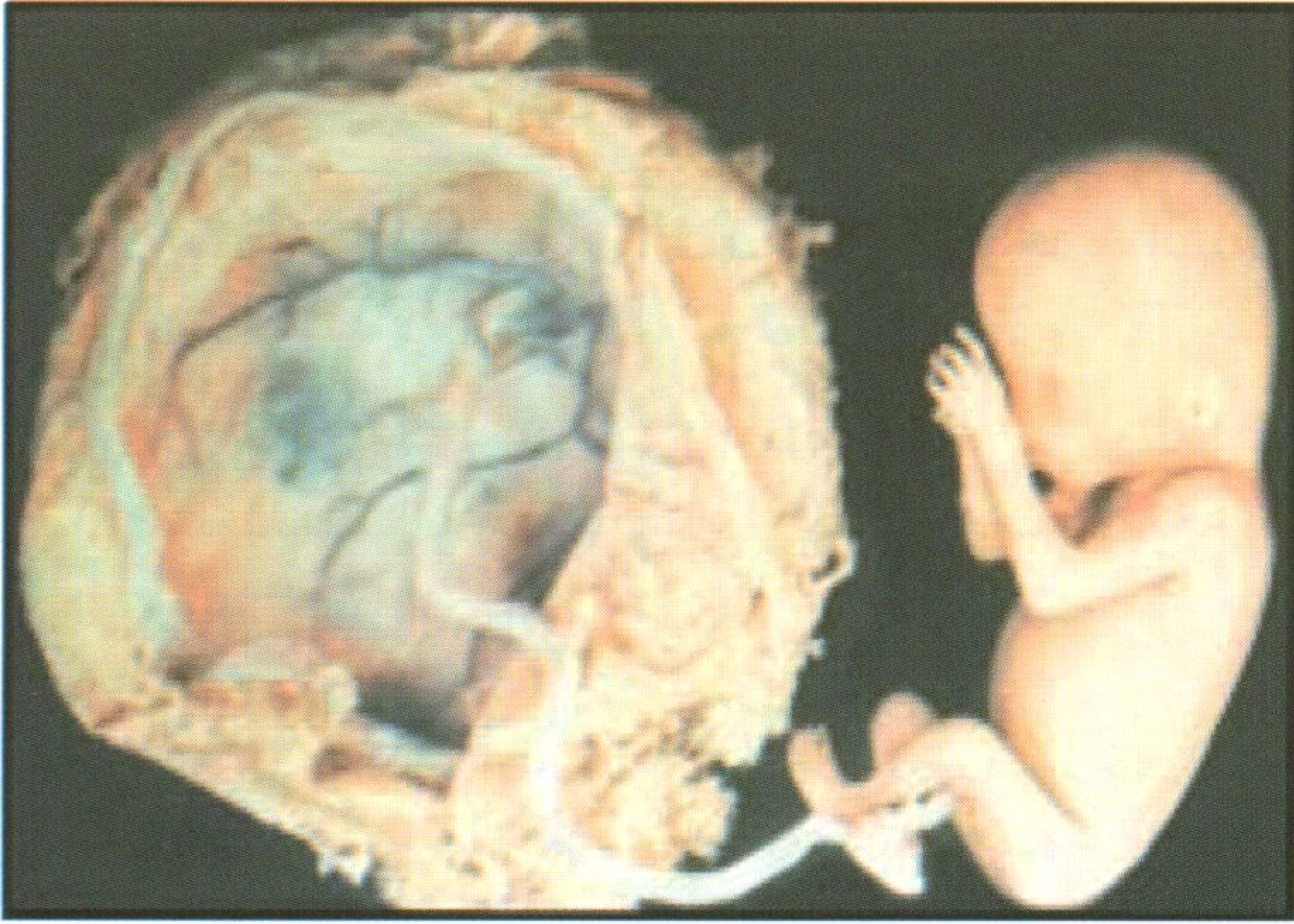
٣- في الاسبوع الثالث، يبدأ انبوب القلب والنخاع الشوكي ودماغ بدائي والعيون والكلية بالتشكل.

٤- بعد حوالي شهر من الإخصاب، يصل طول البويضة إلى حوالي خمسة ملم.

٥- يمكن أن تشعر الأم الحساسة ببعض الأعراض المشابهة لنزلة البرد العادية.

٦- يجب الحرص على عدم تناول الدواء في هذه الفترة الا تحت اشراف طبي.





الشهر الثاني :

١- يمكن رؤية الذراعين والرجلين والوجه بوضوح وكافة الاجهزة الرئيسية موجودة.

٢- يبدأ الدماغ بالنمو السريع ليصل حجمه إلى نصف حجم الجسم.

٣- مع نهاية الاسبوع الثامن من الحمل، يصل حجم الجنين من اثنين إلى ثلاثة سنتمترات ويزن حوالي اربعة غرامات.

٤- يبدأ غثيان الصباح.

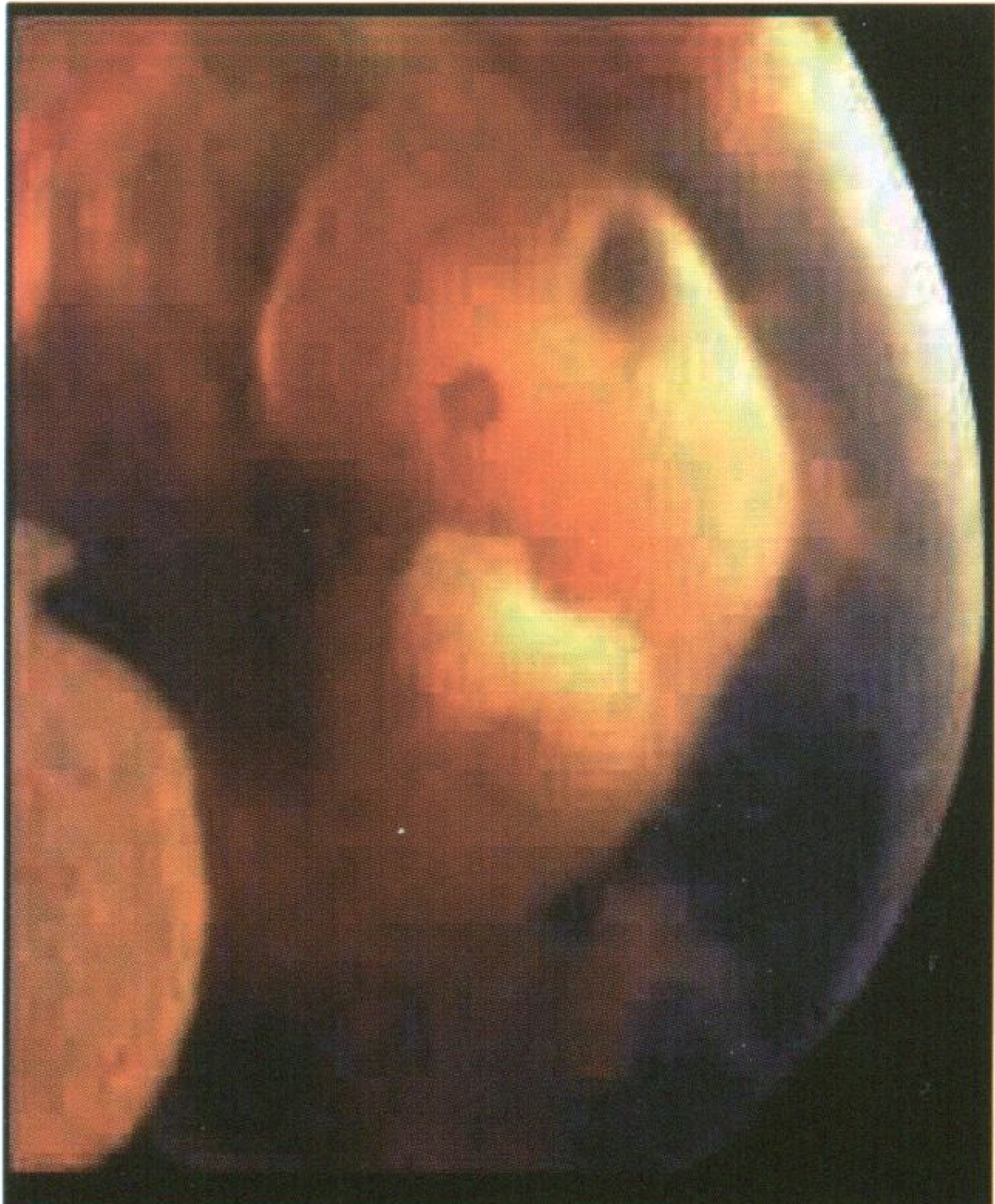
٥- يصبح الشديان لينين وثابتين. اما الحلمتان والهالتان المحيطتان بهما فيصبحان أدكن.

٦- لا تزال إمكانية اسقاط الجنين عالية بما أن المشيمة لم تتطور تماما بعد.

٧- إحذري من تناول الدواء الا تحت اشراف طبي.

الشهر الثالث :

١- تكون قاعدة اظافر الجنين قد تشكلّت ويصبح الرأس أصغر نسبيا من المرحلة السابقة.

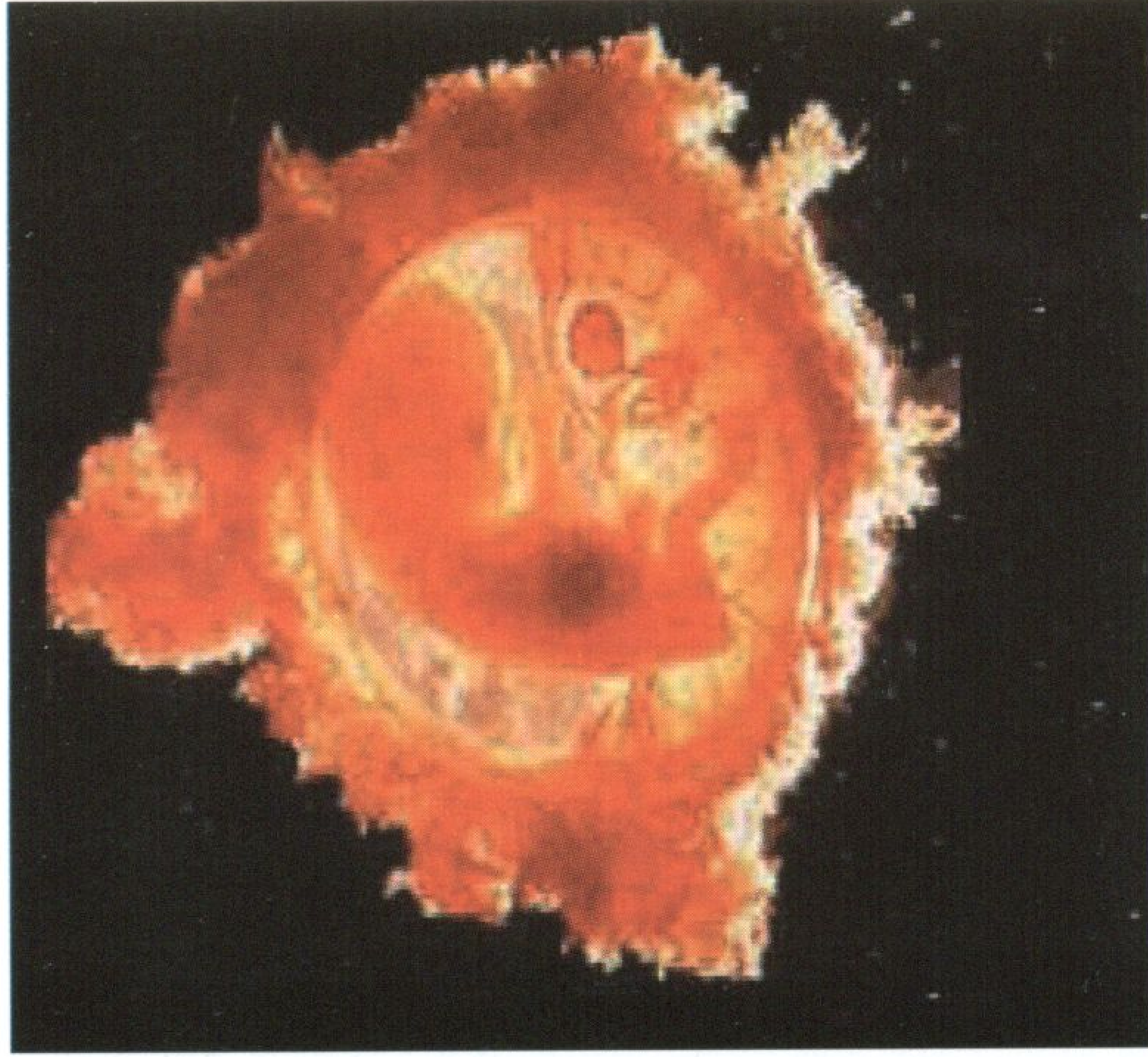


٢- يمكن معرفة أعضاء التناسل.

٣- يصبح حجم الجنين لغاية عشرة سم ويزن حوإلى ثلاثين غراما تقريبا.

٤- وجود استمرار في البول عند الأم ويصبح الإخراج أكثف.

٥- تشعر الأم ببعض الثقل البطني والضغط على الكاحلين. سهولة الإصابة بالإمساك.



الشهر الرابع :

١- تتطور المشيمة تماما ويعوم الجنين بنشاط في السائل الرحمي.
٢- يكون طول الجنين حوالي ثمانية عشر سم ويزن حوالي مئة وعشرين غرام.
٣- تطور الأعضاء يكون تقريبا مكتمل .
٤- تتطور فروة الشعر.
٥- عند الام غثيان الصباح يصبح أقل وتزداد الشهية.
٦- جوف الرحم ينتفخ وتصاب الام بوجع متقطع في الظهر.
٧- ينصح بتناول أطعمة غنية بالبروتين وكمية كافية من الأطعمة التي تحتوي على الحديد، زيدي استهلاك السعرات الحرارية.

الشهر الخامس :



١- يحرك الجنين ذراعيه ورجليه بنشاط.
٢- يمكن سماع نبضات قلب الجنين.
٣- يصبح طوله حوالي خمسة وعشرين سم ووزنه حوالي ثلاث مئة غرام.
٤-ينمو الشعر على كل جسمه.
٥- يزداد وزن الأم بسرعة وبشكل اجمالي. يرتفع الرحم (رأس الرحم) ليصل إلى مستوى السرة.
٦- تشعر الأم بحركات الطفل.
٧- يجب على الأم ان تزيد من تناول الحديد سواء بالأكل أو التزود به لتجنب فقر الدم.

الشهر السادس :



١- طول الطفل حوالي ثلاثين سم ويزن سبع مئة غرام.

٢- تتشكل الحواجب والرموش.

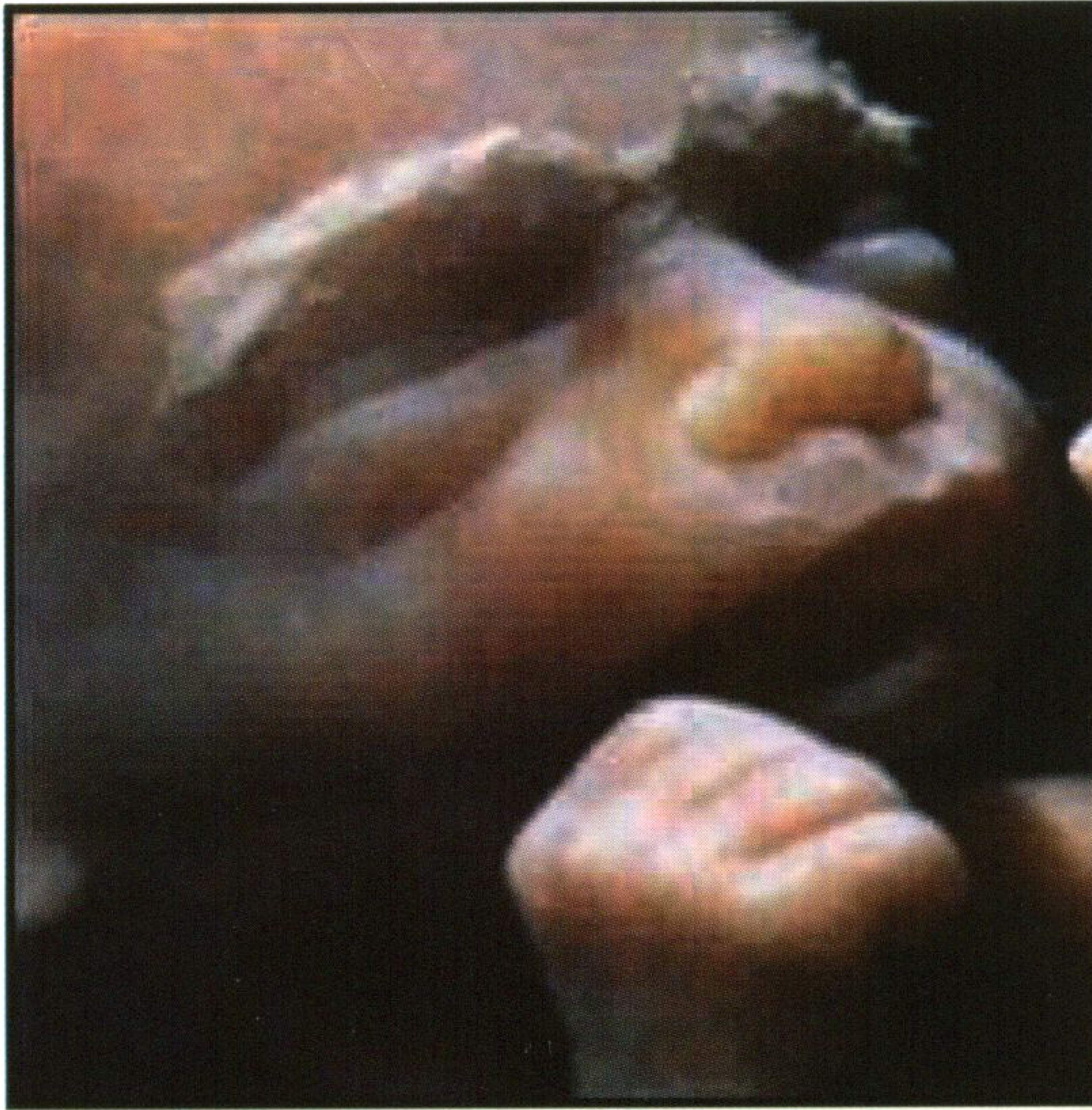
٣- يتحرك الطفل بشكل أكثر نشاط ويغير وضعه باستمرار.

٤-يكون مغطى بشعر الزغب.

٥-يحدث تورم وانتفاخ في الكاحلين والرجلين عند الأم.

٦-عليها أن ترفع رجليها باستمرار للتقليل من الاستسقاء.

الشهر السابع :



١- طول الجنين اقل بقليل من اربعين سم والوزن حوالي كيلو.

٢- بشرة الجنين متغضنة وشفافة ولونها وردي.

٣- يبدأ الدماغ بالتحكم بوظيفة الأعضاء.

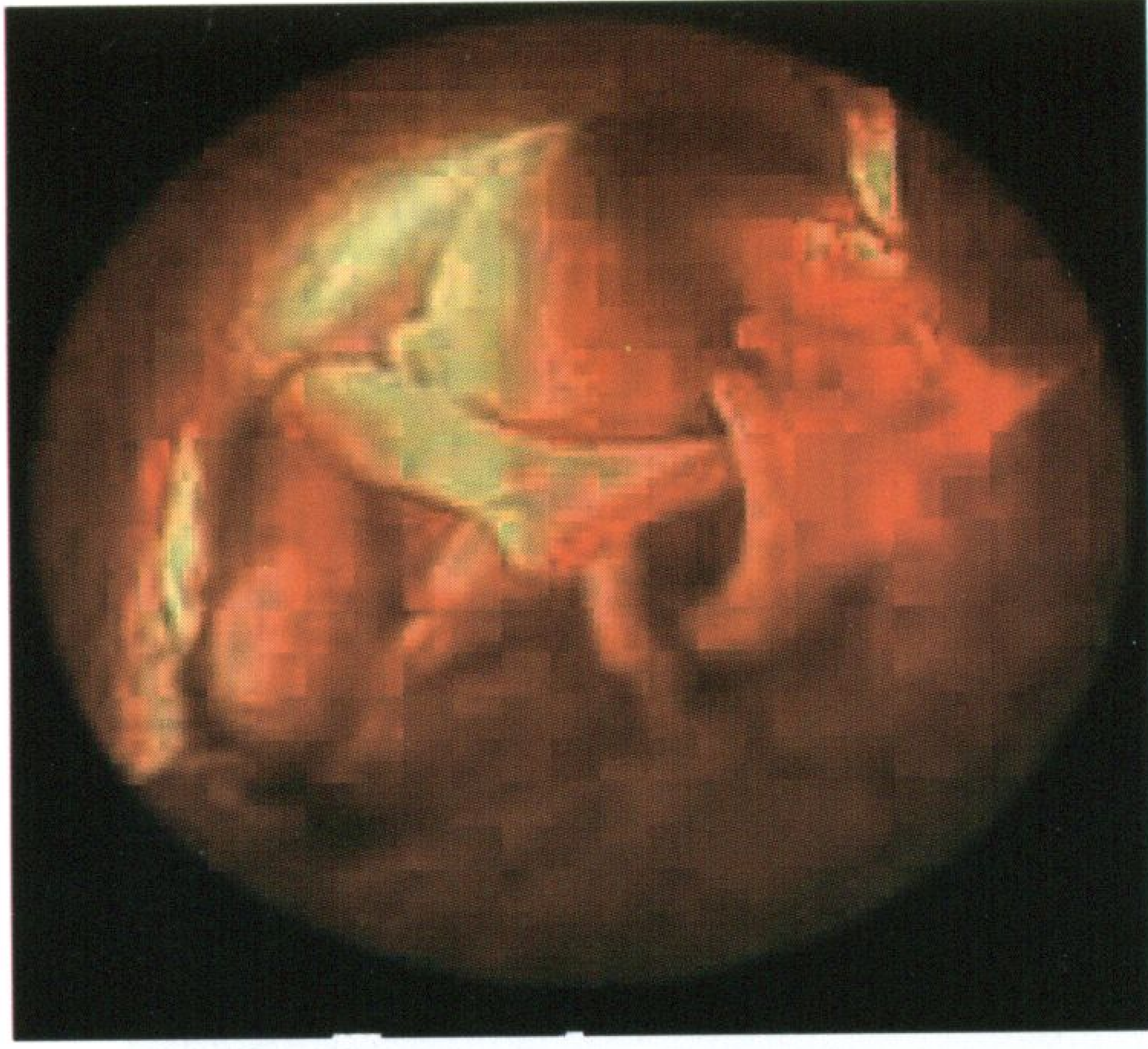
٤- لا تزال الرئتان غير متطورتين لذا فان قابلية الحياة في هذه الفترة حوالي السبعين بالمئة.

٥- يزداد استمرار البول عند الأم. يمكن أن تظهر البواسير وعروق الدوالي.

٦- ينصح بتناول الحليب البارد والخضروات لتحفيز حركة الأمعاء.

٧- اذا كان الوزن المكتسب أكثر من نصف كيلو في الاسبوع استشيري الطبيب حالا.

الشهر الثامن:



١- طول الجنين حوالي اربعين سم ووزنه اقل من كيلوين.

٢- أدمة الجلد تبدأ بالتطور وتختفي التجاعيد.

٣- جهاز السمع متطور بشكل شبه تام ويستجيب الطفل للاصوات.

٤- تصبح وظيفة الجهاز العضلي - العصبي اكثر نشاطا.

٥- يظهر عند الام الضغط على البطن والصدر والمؤخرة.

٦- يصبح جوف الرحم أعلى.

٧- التقلصات المتقطعة تأتي وتذهب. تحتاج الأم أخذ قسطا كافيا من الراحة لتقليل الثقل على القلب.

الشهر التاسع:



١- طول الطفل حوالي خمسين سم ووزنه حوالي ثلاثة كيلو.

٢- تتطور وظيفة الرئتين تماما، الاطراف كاملة ومستديرة اكثر. الشعر رقيق وصوفي بطول ثلاثة سم.

٣-تكوين الجنين مكتمل ولكن حركته تقل.

٤- عند الام، تبدأ تقلصات قوية وغير منتظمة.

٥- يكون جوف الرحم في أعلى مستوى له. تشعر الأم بالضغط على معدتها وضيق في التنفس.

ثانياً: مراحل خلق الإنسان على ضوء الكتاب والسنة

أولاً: النطفة ....

ثانياً: العلقة ....

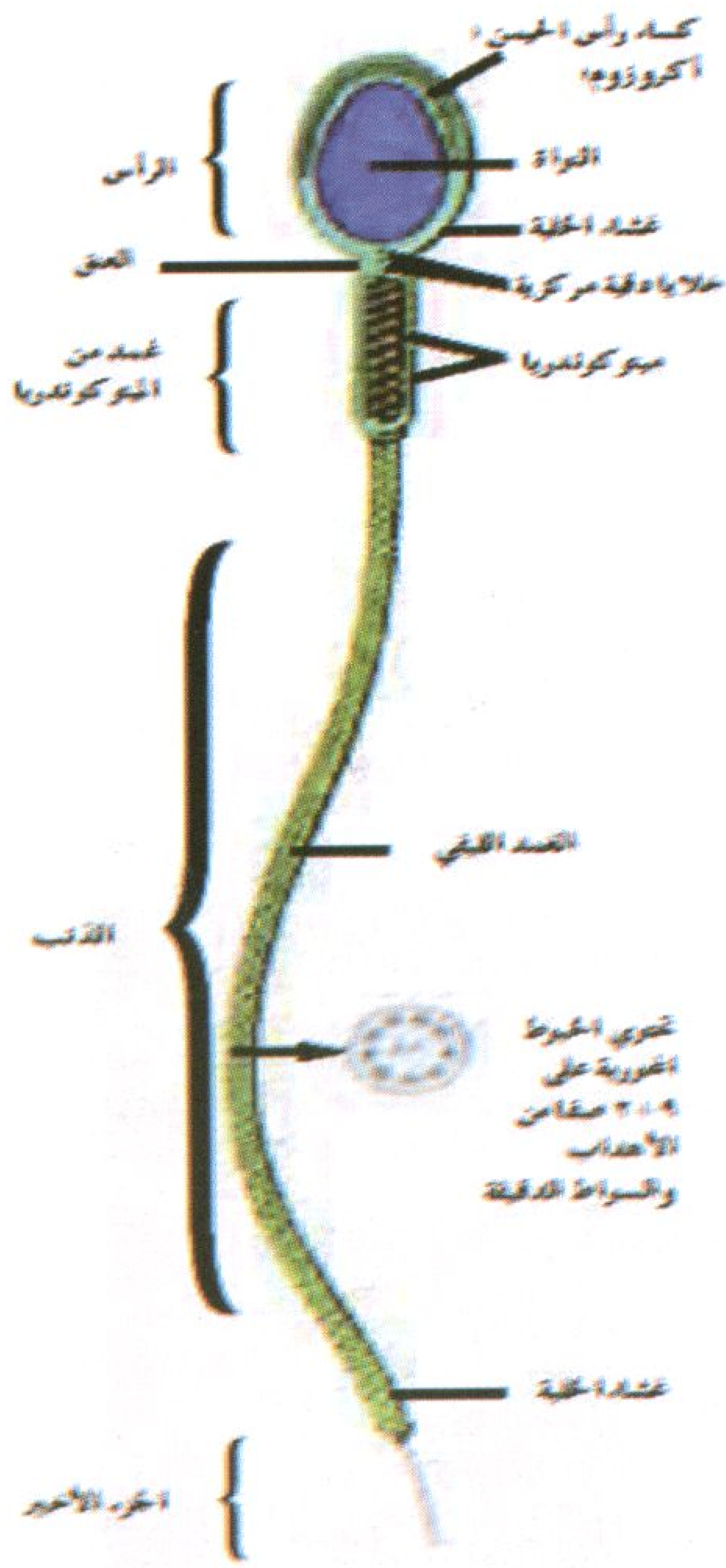
ثالثاً: المضغة ....

رابعاً: العظام واللحم ....



سنتجول الآن في جسم الإنسان ونتعرف كيف خلق وفي أي المراحل قد مر. فنحن نتحدث عنكم...

والآن لنَقُم برحلة زمنية قصيرة، ونرجعُ مدةً إلى الماضي، ولْندقق معاً هذه الحكايةَ الرائعةَ المليئةً بالمعجزات من البداية ولْنشاهدْ كيفَ كانَ حالُ الإنسانِ في حينٍ منَ الدهر.

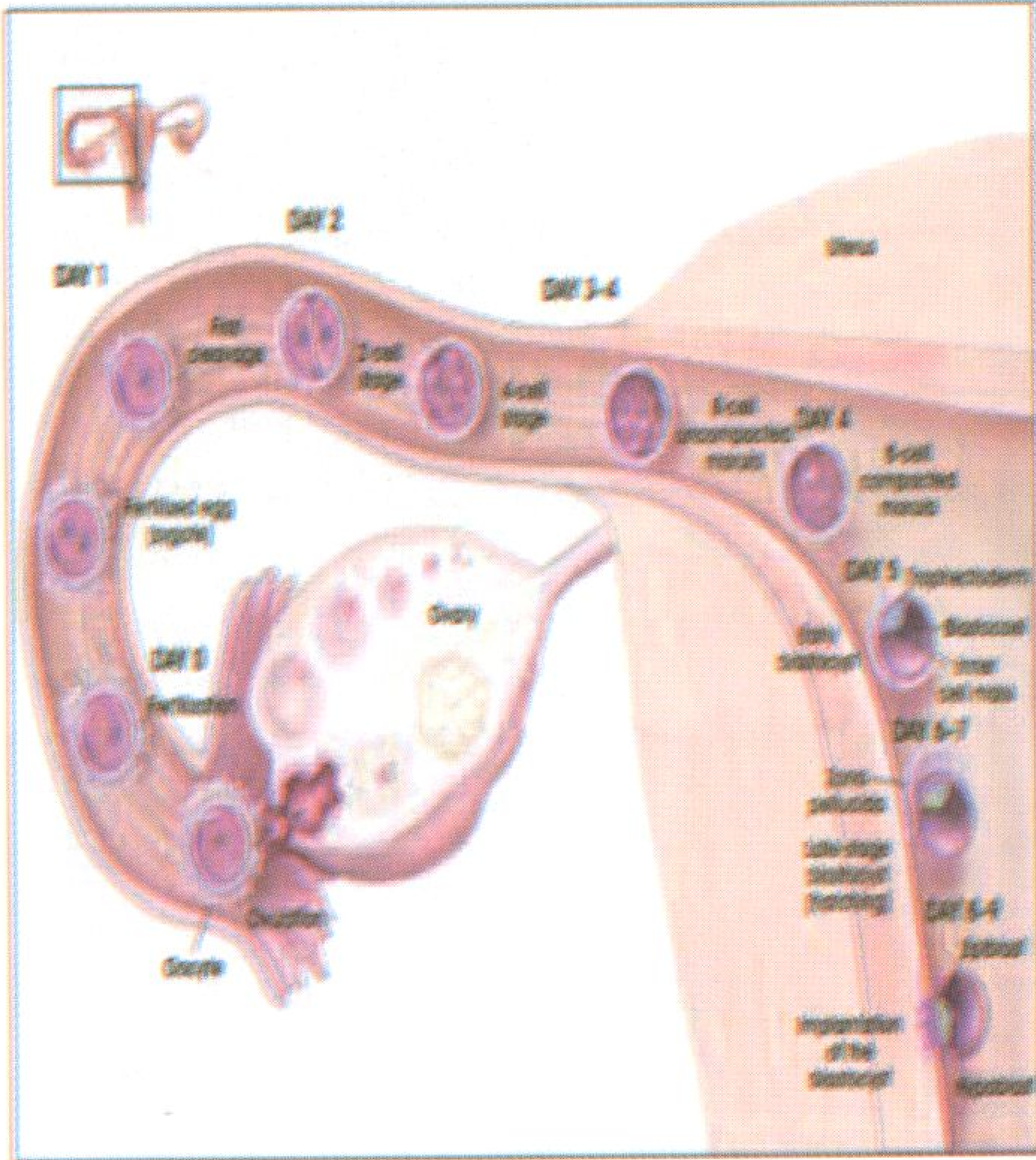


كانت البداية خليةٌ واحدةٌ فقط في بطنِ الأم، وجودٌ عاجزٌ ومحتاجٌ إلى حماية، أصغرُ من حبيبةِ ملحٍ واحدة.

أنتم أيضاً كنتم عبارةً عن هذه الخليةِ الصغيرةِ مثلما كلُّ الناسِ الآخرينَ على وجهِ الأرض.

بعد فترة انقسَمَتْ هذه الخليةُ وأصبحت اثنتَين، ثمَ انقسمت مرةً أخرى وأصبحت أربعَ خلايا، ثم ثماني، ثم ستَ عشرة.

استمرت الخلايا بالتكاثر، ثم ظهرتْ أولاً قطعةُ لحم، ثمَ أخذت قطعةُ اللحم هذه شكلاً وأصبحت لها يدانِ ورجلانِ وعينان، فالخليةُ الأولى كبُرت مئةَ مليارِ ضِعف، وأخذت وزناً بستةِ مليارِ ضِعف.



فالتي كانت قطرةَ ماء فقط في السابق، أجرى اللهُ تعالى فيها معجزات عدة، فخلقَ منها الإنسانَ الذي يقرأ هذه الكلمات.

وقد بيَّن القرآنُ الكريمُ كيفَ خُلقَ الإنسان.

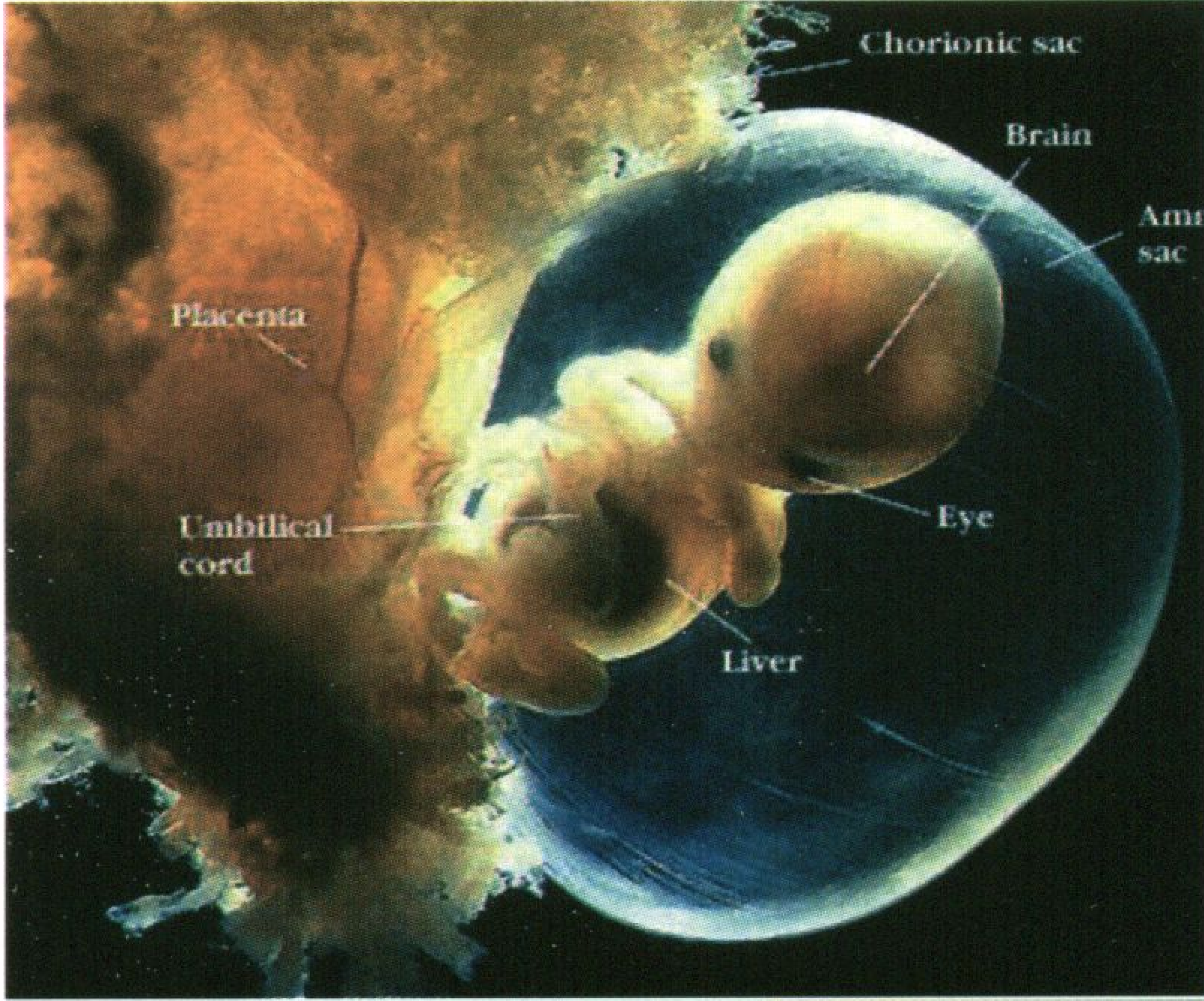
قال تعالى:

﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ
﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾

[القيامة: ٣٦-٤٠]

- **خَلْقُ الإنسان:**

النَّاسُ المنغمسونَ في نُزعَةِ الحياة اليومية، يسيرونَ لا مبالينَ بالمُعجزةِ المُهمَّةِ المُتَحَقِّقَة أمامَ أعينِهم، هذه المعجزةُ هي خلقُ الإنسانِ.





تبدأُ أولُ مرحلةٍ في معجزةِ الخلقِ بنُضجِ خليَّةِ البويضةِ في عضوٍ في جسمِ المرأة يسمى المَبيض، هناكَ رحلةٌ طويلةٌ أمامَ البويضة الناضجة، ستدخُلُ أولاً أنبوبَ فالوب وهنا ستقطَعُ مسافةً طويلةً حتى تصلَ إلى الرَّحِم.

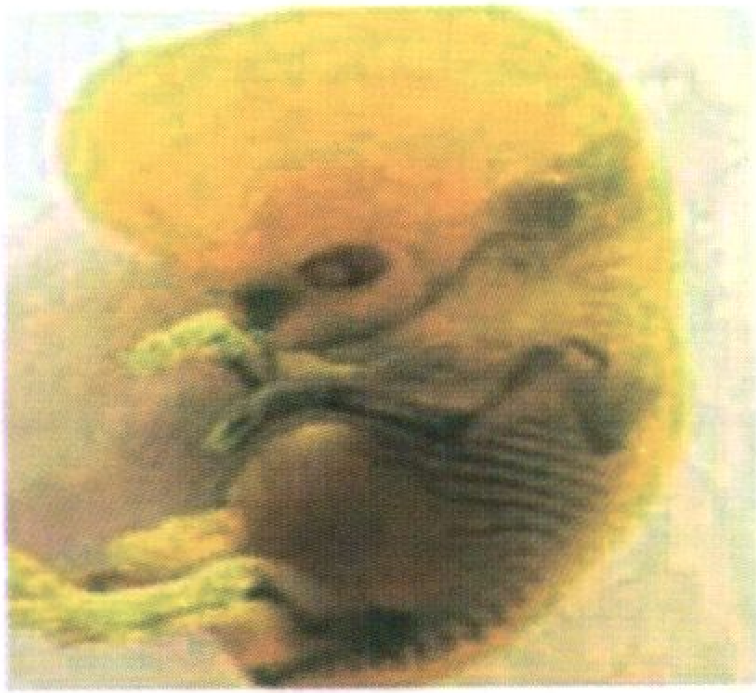
يبدأُ أنبوبُ فالوب بالحركة للإمساك بالبويضة الناضجة قبلَ خروجها من المبيضِ بمُدَّة قصيرة، ويُحاوِلُ إيجادَ خليةِ البويضة عن طريقِ لَمَسات خفيفةٍ على المبيضِ، ونتيجةً هذا البحث يجدُ أُنبوبُfallop البويضةَ الناضجةَ ويسحبُها لداخله، وحينئذٍ تبدأُ رحلةُ خليةِ البويضَة.

يتوجبُ على البويضة قطعُ طريقٍ طويلٍ عَبْرَ أُنبوب fallop، لكن ليس لها أيُ عُضوٍ يؤمِّنُ لها قَطْعَ هذا الطريق كالزعانف أوَ الأرجل، ولهذا خُلقَ لرحلتها نظامٌ خاصٌ، فقد وُظفَت مَليارات الخَلايا التي توجدُ في السطحِ الداخلي لأنبوبِ fallop لإيصال البويضة إلى الرَّحِم.

تحرِّكُ الخلايا هذه الشعيرات الموجودةَ على سطحها المسماة بـ cilia نحوَ الرَّحِمِ باستمرار، وهكذا تُحمَلُ خليةُ البويضةِ من يدٍ إلى يدٍ إلى الجهةِ التي يجبُ ذهابُها نحوَهُ كحملٍ ثمينٍ جداً.

عندَ ملاحظة هذه الشعيرات نجدُها قد نُسِّقَت في المكان والشكلِ الذي يجبُ أن تكونَ عليه ضمنَ خُطَّة ذكيةٍ جداً، وتقومُ بحركة نقلٍ معاً وإلى الجهة نفسِها وكأنَّها آلةٌ مبرمَجَة، فلو لَم يقُمْ قسمٌ من هذه الخلايا بمهمته أو قامَ بنقلِها إلى جهات مختلفة لن تصلَ البويضةُ إلى هدفِها،



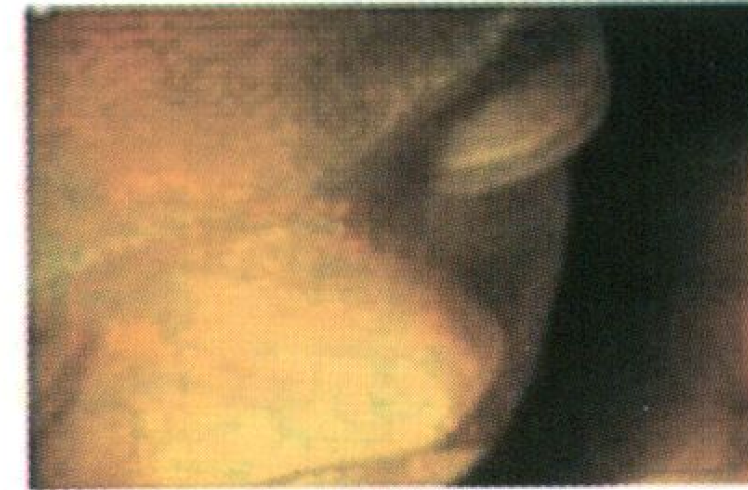














ولا تتحققُ الولادةُ أبداً. ولكنَّ خلقَ الله تامّ، فكُلُّ خليَّة تنفِّذُ مُهمَّتَها التي أُوكلَت إليها دونَ أي خطأ، وهكذا تتقدَّمُ إلى المكان المُجَهَّز خصوصاً لأجلِ البويضة أي إلى رَحِمِ الأم.

لكنَّ خليةَ البويضة المنقولة بدقَّة بهذا الشكلِ عُمرُها لا يتجاوزُ أربعاً وعشرينَ ساعة، وتموتُ ما لم تُلقَّح في هذهِ المُدة.

وتحتاجُ إلى مادَّةٍ حياتيةٍ للتلقيح:

النُطفةُ التي تأتي من جسمِ الرجل.

تصميمُ النطفة:

● النُطفةُ:

خليَّةٌ موظَّفَةٌ لإيصالِ معلومَة الذَّكَر الوراثيَّة إلى خلية البويضة في الأنثى.

إذا دقَّقنا عن كثب، نرى جهازاً مُصَمَّماً بشكلٍ خاصٍّ لحملِ هذه النُّطفة فالقسمُ الأماميُّ للنُطفَة مغطى بدرع واق وتحتَهُ درعٌ ثان، وتَحتَ هذا الدرعِ الثاني أيضاً يوجدُ ما يشبهُ الشاحِنَةَ التي تحمِلُ النُطفَةَ.

ويوجد داخلَ هذه الشاحنة ثلاثةٌ وعشرونَ صبغياً عائداً للرجل.

جميعُ المعلومات العائدة لجسمِ الإنسان وأدقُّ تفاصيله مخفيٌّ في هذه الصبغيات، ولظهور إنسان جديد يجبُ أن تتَّحدَ الصبغياتُ الثلاثةُ والعشرون الموجودةُ في نُطفةِ الرجلِ مع الصبغيات الثلاثةَ والعشرين الموجودة في بويضةِ المرأة، وهكذا سيظهَرُ أولُ تكوينٍ لجسمِ الإنسانَ من ستةٍ وأربعين صبغياً.

تصميمُ الدرعِ الموجودِ في الجهة الأماميَّة للنُطْفَة سيَحمي هذا الحملَ الثمينَ طَوالَ هذه المسافةِ الطويلةِ من جميعِ أنواعِ الأخطار.

وتصميمُ النطفة غيرُ محصورٍ بهذا فقط، فهناكَ في القسمِ الأوسطِ للنُطفة محرِّكٌ قويٌ جداً، ويرتبطُ بطَرَفٍ هذا المحركِ قسم ذيل للنطَفة.

القوةُ التي ينتجُها المحركُ تدوِّرُ الذيلَ كالمروحةِ، وتؤمِّنُ للنطفةِ قطعَ الطريقِ بسرعة.

ولوجود هذا المحرك لا بُدَّ من وَقود لتشغيله، وقد حُسبت هذه الحاجَةُ أيضاً فرُتِّب لهُ الوقودُ الأكثرُ اقتصاداً أيَ سُكر الـ fructose على السائل الذي يحيط بالنطفة.

وهكذا فقد تَمَّ توفيرُ وَقودُ المُحَرِّك خلالَ الطريقِ الذي ستقطَعُهُ النُطفَة.

بفضلِ هذا التصميمِ الكاملِ تَقطَعُ النطفةُ طريقاً نحوَ البويضةِ بسرعة.

عندَ ملاحظة حجمِ النُطفة بالنسبَةِ إلى المَسافَةِ التي قطعتها تظهَرُ حركتُها السريعةُ التي تُشبَه قاربَ السباق.

هذا الجهازُ المدهشُ ينتَجُ بمهارَة كبيرة، حيثُ يوجدُ داخلَ كلِّ خصيةٍ - مركزُ إنتاجِ النُطَف - أقنيةٌ مجهريةٌ يصلُ طولُها إلى خمسمئَةِ متر.

الإنتاجُ في هذه الأقنية يُشبهُ تماماً نظامَ السِّكة الحديدية المستخدَمَة في المعاملِ الحديثة، فأقسامُ النُطفةِ من درعٍ ومحركٍ وذَيلٍ تُركَّبُ معَ بعضِها على الترتيب.

وفي النهايةِ تظهَرُ روعة الهندسة الكاملة.

علينا التفكيرُ ولو قليلاً في هذه الحقيقة. . كيف عَرَفت الخلايا التي لا وعيَ لها طريقةَ تجهيزِ النُطفة بشكلٍ يتناسبُ معَ جسمِ الأُمِّ رغمَ جَهلِها بها تماماً ؟

كيف تعلمتِ النُطَفُ صُنعَ الدِرعِ والمُحَرِّكِ والذيلِ حَسَبَ حاجَةِ جِسمِ الأُم؟

بأيِ عقلٍ تتركَّبُ هذه القطَعُ بالترتيبِ الصحيح؟

من أين تعلَمُ أنَّ النُطَفَ ستحتاجُ إلى سكرِ الـ fructose؟

كيف تعلّمت صنعَ محرِّكٍ يعملُ بسكَّرِ الـfructose؟

هناكَ جوابٌ واحدٌ فقط لكلِّ هذهِ الأسئلة. . .

النُطَفُ والسائلُ المرتَّبُ داخلَها خَلَقَهُ اللهُ عزَّ وجلّ بشكلٍ خاصّ لاستمرارِ نَسْلِ الإنسان.

الدكتور البروفيسور جواد بابونا الطبيب في كلية الطب في جامعة استانبول المختصُّ بأمراضِ النساء والتوليد، والوزيرُ السابقْ علَّقَ على خصائصِ النطفة بقولهْ: "خلايا النطفةَ منتَجَةٌ في جسمِ الأب، أمَّا مُهماتُها فلا تتحقَّقُ إلا في جسمِ الأم، ولا تملكُ أيُ نُطفة منذُ تاريخِ البشرية العودةَ إلى جسمِ الأبِ مرةً أخرى بعدَ إنهاء مهمتِها في جِسمِ الأمِّ لإخبارِ الخلايا المنتِجَة لها عن مهمتِها وما فعلتْهُ وعنِ الأحداثَ التي واجهتها.

في تلكَ الحالة كيفَ تكونُ خليةُ النُطفة ذاتَ بُنيَة مختلفة تماماً عن آلاف أنواعِ الخلايا الموجودة في بنيةِ الأب، من أينَ تعرفُ خليةُ النُطفة أن تذهبَ بالحِملِ الوراثي الذي أخذته منَ الأبِ إلى بنيةٍ ستُرزَقُ الحياةَ بعدَ مُدَّةٍ بحملِ درعٍ في مقدمتِه ؟

من أينَ تعرفُ خليةُ النُطفَة أنَّهُ يلزَمُها ثَقبُ ذلكَ الغشاء الرقيقِ فتأخذُ معَها أسلحةً كيميائيةً مرتَّبَةً خلفَ الدِرع؟

كما ترَون لا يمكنُ أن تكونَ جميعُ عناصرِ هذه الآلية، والحوادثِ التي

تكلفت بها، والمهمات التي تقوم بها النطفةُ مصادفةً، ولا يمكنُ أن تكونَ المعرفةُ جاءت عن طريقِ التكرار.

هذا دليلٌ واضحٌ على أن اللهَ ألهمَها هذه المهمةَ وعلَّمَها كيفيةَ الإتيانِ بها على أكملِ وجه.

هذا التصميمُ الخارقُ في النطفة وَحدَهُ مُعجزَةُ خَلقٍ كبيرةٌ، وهكذا يشدُّ اللهُ تعالى انتباهَنا إلى خَلقِ هذهِ النطفَةِ في آيةٍ قرآنيةٍ بقولِه:

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [الواقعة: ٥٧-٥٩]

● رحلة النطفة الشاقة :

يُرسَلُ إلى رَحِمِ الأمِّ في المرةِ الواحدةِ ما يقاربُ المئتين وخمسين مليون نُطفَة، حُدد هذا العددُ بهذهِ الكثرةِ بشكلٍ خاصٍّ؛ لأنَّ النطفَ تواجهُ أخطاراً مميتةً بمجردِ دخولِها إلى الرَحِم.

فهناكَ خليطٌ حمضيٌ كثيفٌ في العضوِ التناسلي للمرأة تمنَعُ وصولَ البكتريا، هذا الخليطُ قاتلٌ بالنسبةِ للنطفِ أيضاً، فبعدَ دقائقَ عدَّةٍ يُغَطى جدارُ الرحمِ بملايينِ النطفِ الميتة، وبعدَ عدةِ ساعاتٍ يكونُ قسمٌ كبيرٌ منَ المئتين وخمسين مليون نطفةً ميتاً.

الخليطُ الحَمضيُّ هذا مهمٌ جداً لصِحَّةِ الأمِّ وقويٌّ جداً بحيثُ يستطيعُ قتلَ كلِّ النطفِ الداخلةِ إلى الرحمِ بسهولة.

في هذهِ الحالةِ لن يتحققَ التلقيحُ أبداً، وينتهي نسلُ الإنسان.

لكنَّهُ أخذَ الاحتياطَ الضروريَ أيضاً، فأثناءَ إنتاجِ النُطَفِ في جسمِ الرجلِ يضافُ إلى السائلِ المحتوي على النُّطَفِ الخليطُ الذي يحمَلُ خاصيةً قُلوية (Base)، هذا الخَليطُ يزيلُ قسماً من تأثيرِ الخليطِ الحمضي في رحمِ الأم، وبفضلِ هذا الخليطِ تستطيعُ آلافُ النطفِ الوصولَ إلى مدخَلِ قناةِ فالوب مروراً برحِمِ الأم.

ولقد لاحظ العلماء أن النطف جميعاً تتجه إلى جهة واحدة ؟

إذاً كيف تجدُ الجهةَ الصحيحةَ هذه؟ من أينَ تعرفُ مكانَ البويضة التي بحجمِ حبيبةِ الملح؟..

تجدُ النطفةُ مكانَ البويضةِ لأنَّ نظاماً كاملاً آخرَ خُلِقَ وتدخَّلَ لأجلها.

ترسلُ البويضةُ إشارةً كيميائيةً لتشُدَّ إليها النطفَ البعيدةَ عنها بما يقارب خمسةَ عشَر سنتيمتراً، فالنطفُ بفضلِ هذه الإشارة تتَّجهُ نحوَ البويضة، باختصار... تدعو البويضةُ إليها النطفَ التي لا تعرفُ عنها أيَ شيء، ولم تقابلها من قبلُ أبداً، وتتراسلُ الخليتانِ الغريبتانِ اللتانِ لا تعرفانِ بعضَهما.

هذه الحقيقةُ دليلٌ آخرُ أيضاً على خلقِ البويضةِ والنطفة بتناسقٍ كبيرٍ معَ بعضِهما.

• **اللقاء الكبير:**

وفي النهاية تستطيعُ مئاتُ فقط الوصولَ إلى البويضة، غيرَ أنه لم ينته السباقُ حتى الآن، فلا تقبل البويضةُ إلا نطفةً واحدةً فقط، ولهذا يبدأُ سباقٌ جديد، هناكَ عائقان مهمان جداً أمامَ النطف: الطبقة الحامية التي تقتل جميع أنواع الجراثيم التي تحاول الاقتراب من البويضة، وقشرة البويضة المتينة التي يصعب ثقبها إلى حدٍ كبير.

خلق في النطفة أنظمة خاصة لاجتياز هذين العائقين

فهناك الأسلحة المخفية التي خبأتها النطف تحت طرف الدرع الصلب إلى هذه اللحظة، إنها أكياس الأنزيم المذيبة و التي تسمى بالهيالورونيديز، هذه الأكياس ستثقب العائق الأول الذي على أطراف البويضة أي الطبقة الحامية بإذابتها

فعندما تجتاز النطفة هذه الطبقة، وتتقدم في الطبقة يتآكل درعه شيئاً فشيئاً ثم يتفتت ويتبعثر، أما تفتت درعه هذا فهو جزء من الخطة المنفّذة الكاملة

لأنه بفضل هذا التفتت ستبدأ أكياس الأنزيم الثانية الموجودة داخل النطفة بالظهور.

وهذا يؤمن اجتياز آخر عائق تواجه النطفة أي ثقب قشرة البويضة.

الآن تشاهدون هذه الأحداث من خلال الصور الملتقطة على المجهر الالكتروني، فللنطفة درع أحمر، يذوب هذا الدرع تدريجياً وتجتاز النطفة قشرة البويضة إلى الداخل. . .

التصميم الكامل في اتحاد النطفة والبويضة غير محصور بهذا فقط، ففي لحظة وصول النطفة إلى قشرة البويضة تتحقق معجزة أخرى.

فجأة تدخل النطفة بنفسها تاركة وراؤها ذيلها الذي أوصلها إلى هنا، وهذا مهم جداً، لأنه إذا لم تقم النطفة بهذا العمل، فسيدخل الذيل المتحرك إلى خلية البويضة ويخربها.

ترك النطفة ذيلها يشبه عمليات مكوك الفضاء، والصاروخ المرسل إليه، حيث تُترك المحركات وخزانات الطاقة عندما لم يبق لها حاجة أثناء انفصاله عن الغلاف الجوي.

حسناً. . كيف تقوم نطفة صغيرة بهذا الحساب الدقيق ؟

بقيام النطفة بهذا الحساب عليها أن تعرف أنها وصلت إلى آخر الطريق وأنها لم تعد بحاجة إلى الذيل بعد الآن.

غير أن النطفة جهاز بيولوجي لا تشعر بما حولها، ولا تملك أي عقل أو علم، الخالق سبحانه الله تعالى نسق معها أيضاً نظاماً يحقق انعزال الذيل عنها في الوقت الصحيح.

تقوم النطفة التي تركت ذيلها خارجاً بثقب البويضة وتضع فيها الصبغيات من خلال ذلك الثقب، وهكذا يتم انتقال المعلومات الوراثية.

ونتيجة عمل مئات الأنظمة المختلفة المستقلة عن بعضها البعض بنظام عمل متناسق أوصلت المعلومة الوراثية العائدة لجسم الرجل، إلى البويضة في

جسم المرأة، وكما نرى فلا مكان لأي مصادفة في اتحاد النطفة مع البويضة بل تحقق ذلك بفضل تصميم وخطة كاملة، هذه الحوادث التي تحققت دون أن يدركها الإنسان، وهذا التخطيط الدقيق لكل مرحلة من هذه المراحل دلائل واضحة على خلق الإنسان من قبل الله تعالى.

بالنتيجة نجد أن الذي قام بعملية تلقيح البويضة هو عبارة عن نطفة واحدة تمكنت من الوصول إلى البويضة وثقبت جدارها الخارجي و لقد أشار النبي ﷺ قبل أكثر من ألف و أربعمائة سنة هذه الحقيقة بقوله "ما من كل الماء يكون الولد، و إذا أراد الله خلق شيء لم يمنعه شيء"رواه مسلم في كتاب النكاح، باب العزل.

• **العـــلقة :**

تقوم نطفة الرجل بالاتحاد مع البويضة، فتصبح المعلومة الوراثية للنطفة والبويضة إلى جانب بعضها بعضاً.

وتتحقق واحدة من أكبر المعجزات على وجه الأرض، حيث يتحقق اختلاط معلومتين وراثيتين واجتماعهما لتكوين إنسان جديد، وتحقق اللقاء. . .

ربما يكون تصديقه صعباً، إلا أنه يوجد داخل هذه الخلية جميع المعلومات العائدة للإنسان الذيلم يولد بعد.

عين الطفل الذي سيولد، جلده، لون شعره، وشكل وجهه، وجميع الخصائص الفيزيائية له مشفّرة هنا.

إلا أنه ليس مظهره الخارجي فقط بل حُدد هيكله وأعضاؤه الداخلية جلده، عروقه، وحتى أشكال خلايا الدم التي تدور في عروقه إلى عددها العائدة للجنين إلى جميع التفاصيل.

خصائص الإنسان في السّن السابعة وحتى خصائصه في سن السبعين كل شيء وضحت وكتبت داخل هذه الخلية.

تقوم الخلية بعد التلقيح بمدة قصيرة بتصرف آخر محيّر جداً، تنقسم وتكوّن خليتين حديثتين، ثم تنقسم هذه الخلايا مرة أخرى وتصبح أربعة، فقد بدأ الآن تكوين إنسان جديد.

ولكن. . . لماذا تتخذ الخلية قرار الانقسام هذا ؟

لماذا تتكلف وتقوم بمهمة تكوين الإنسان؟

من أعطى الخلية معلومة هذا التكوين؟

هذه الأسئلة توصلنا إلى وجود الله تعالى صاحب العلم والقدرة اللا متناهيتين، خالق الخلية، والإنسان الموجود داخل الخلية، والعالم الذي يوجد فيه الإنسان وجميع الكون، خالقهم من العدم.

في هذه الصور نشاهد رحلة الخلايا التي تنقسم وتتكاثر باستمرار داخل أنبوب fallop، كتلة الخلايا هذه يقال لها منذ الآن بيضة ملقحة، أثناء انقسام وتكاثر الخلايا التي داخل البيضة الملقحة تتحقق حادثة أخرى محيرة أيضاً.

تبدأ بعض الخلايا بالتمايز عن الأخرى، أثناء تجمع الخلايا القديمة في المركز، فإن الخلايا المتمايزة تحيط حولها، وبعد مدة قصيرة ستكوِّن مجموعة الخلايا المركزية الجنين، يعني أول حال الطفل الذي سيولد، وستكون المجموعة التي حولها المشيمة التي ستغذي الجنين.

بدءُ الخلايا فجأة بالتمايز، واتخاذها قرار تكوين الجنين أو المشيمة تعد معجزة كبيرة في الأوساط العلمية، فهناك أمر مخفيٌّ يُعمل في هذه الخلايا.

تصل البيضة الملقحة بعد أربعة أيام من تلقيحها إلى المكان الذي جهّز خاصة لأجلها يعني إلى رحم الأم، ويلزم تمسكها بالرحم لعدم سقوطها خارج الجسم، إلا أن البيضة الملقحة ليست إلا كتلة دائرية مكونة من الخلايا الشبيهة ببعضها وليس لها أي نتوء أو ممسك خاص يؤمن لها التعلق بمكان ما، فإذاً كيف تستطيع التمسك بجدار الرحم؟

وهذا أيضاً قد حُسب له حسابه. . . . .

عند وصول البيضة الملقحة إلى رحم الأم يتدخل نظام خاص آخر.

هذا الصور الملتقطة بالمجهر الإلكتروني تظهر البيضة الملقحة التي وصلت قبل لحظات إلى رحم الأم، تفرز الخلايا الموجودة في السطح الخارجي للبيضة الملقحة أنزيمات خاصة تذيب جدار الرحم، وبذلك تتمسك البيضة الملقحة بالرحم بشدة وتنجو من سقوطها خارج الرحم.

وجود الخلايا على سطح البيضة الملقحة في المكان اللازم وإفرازه الإنزيم اللازم يوضح مرة أخرى كون خلقه بدون نقصان.

بفضل هذه الخلقة الكاملة تنغرز البيضة الملقحة في جدار الرحم.

هذا المخلوق الجديد الذي يكبر بتمسكه بالرحم يسمى منذ الآن بالجنين.

هذه الحقيقة التي اكتشفتها البيولوجيا الحديثة ذكرت في القرآن الكريم فعندما يذكر الله تعالى أول مرحلة للطفل في رحم الأم يستخدم كلمة العلق قال تعالى:

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ﴾

[العلق: ١-٣]

أما كلمة العلق بالعربية فيقال للشيء المتمسك بمكان والمتعلق به، وحتى أصل كلمة العلق يستخدم للتعريف عن بعض الطفيليات التي تلتصق بالجلد وتمصّ الدم من ذلك المكان.

استخدم البيان الإلهي كلمة العلق لتعريف البيضة الملقحة في رحم الأم في الوقت الذي كانت المعلومات البيولوجية للناس ضئيلة جداً.

- التمايز (مرحلة المضغة):

يعيش في عالمنا الذي هو كوكب مليء بالحياة أنواع لا تحصى من الكائنات وحيدات الخلية، وحيدات الخلية جميعها تتكاثر عن طريق الانقسام وتكوّن نسخة عنها أثناء انقسامها.

الجنين النامي في رحم الأم يبدأ الحياة بخلية واحدة تتكاثر هذه الخلية بنسخ نفسها كذلك.

تنموا هذه الكتلة وتتمايز وتتخصص بالتدريج لتكون براعم الرأس والدماغ والقلب والأطراف والعظام وتسمى هذه المرحلة علمياً بـ EMBRYO وبالنظر إلى شكلها فهي تشبه قطعة لحم أو لبان ممضوغة ولقد سماها القرآن الكريم بلفظ مضغة قال تعالى :(فخلقنا المضغة عظاماً. .).

وهنا لولا تدخل تنظيم خاص للزم من انقسام خلايا المولود ظهور كتلة لحم مؤلفة من خلايا متشابهة وليس إنساناً.

لكنه لا يحصل شيء كهذا لأن الخلايا ليست عاطلة إلى هذا الحد.

بل تبدأ النطفة والبويضة بعد الالتقاء بأسابيع بالتمايز عن بعضها بأمر خفي أعطي لهم

إن هذا التغير يعتبرها علماء الأجنة معجزة هائلة، فالخلايا التي لا وعي لها بدأت بإنشاء الأعضاء الداخلية والهيكل والدماغ.

ففي هذه المرحلة تبدأ خلايا الدماغ بالتكون.....

تنموا خلايا الدماغ ويزداد عددها بسرعة، وفي نهاية هذا الإنشاء يصبح الجنين ذو ١٠ مليارات من خلايا الدماغ.

كل خلية جديدة تتصرف بمعرفة سابقة إلى أين ترجع، ومع أي الخلايا يجب أن ترتبط، كل خلية تجد مكانها بين احتمالات لا حصر لها، وترتبط مع الخلايا التي يجب أن ترتبط معها.

يوجد في الدماغ ١٠٠ تريليون صلة وصلة لتستطيع الخلايا صنع تريليونات الوصلات هذه بالشكل الصحيح يجب أن تملك عقلاً يفوق عقل الإنسان بكثير غير أنه ليس لهذه الخلايا أي عقل.

ليس فقط خلايا الدماغ، بل كل واحدة من الخلايا المتكاثرة بانقسامها داخل الجنين تقوم برحلة من أول مكان تكوّنت منه نحو النطفة التي يجب أن

تتواجد فيها، وكل واحدة تجد المكان المخطط لها، وهنا تقوم بالارتباط بالخلايا التي يجب أن ترتبط معها.

حسناً.. هذه الخلايا التي ليس لها أي وعي.. فمن يتتبع هذه الخطة الذكية ؟

يجيب الدكتور البرفيسور جواد بابونا على هذا السؤال بقوله:

"كيف تقوم جميع هذه الخلايا المتشابهة مع بعضها برحلة فجأة وكأنها تلقت أمراً من مكان واحد، وتذهب كلها إلى أماكن مختلفة تعمل على تكوين أعضاء مختلفة، هذا يبين بشكل واضح أن هذه الخلايا المتماثلة خلايا لا تعرف ما ستفعله، الخلايا متماثلة والـDNAÅ الوراثية كلها تشكّل بعضها الدماغ، وبعضها القلب، وبعضها تشكل الأعضاء الأخرى إن الذي يوجها هو الله وحدة خالق السماوات والأرض.

يدوم التكوين في رحم الأم، تبدأ بعض الخلايا المتغيرة بالانقباض والانبساط فجأة.

وبعد ذلك تجتمع مئات آلاف هذه الخلايا في مكان واحد، لتكوّن القلب..... هذا القلب سيستمر بالخفقان طوال العمر.

بعض الخلايا المستقلة عن بعضها تتماسك ببعضها، وتقيم ارتباطات فيما بينها وتشكل خلايا العروق.

ترى... من أين تعلمت هذه الخلايا وجوب تكوين العروق وكيفية القيام بهذا؟

هذه من الأسئلة التي لم يوجد لها جواب في الأوساط العلمية

في النهاية تصنع خلايا العروق نظام أنبوبي رائع ليس عليه أي ثقب أو شق.

السطح الداخلي للعروق أملس، وكأنه صنع بيد صانع ماهر.

نظام العروق الرائع هذا سيبدأ بعد مدة بنقل الدم لجميع جسم الجنين ويبلغ طول شبكه العروق كلها (٤٠٠٠٠كم)، وهذه المسافة تساوي الطول الكامل لمحيط الأرض.

يستمر النمو في بطن الأم دون توقف، وتصل أطراف الجنين في نهاية الأسبوع الخامس إلى حال تشبه النتوء كما في الصور.

هذا النتوء سيصبح يداً بعد مدة، تبدأ بعض الخلايا بصنع الأيدي.

إلا أنه يقوم قسم من الخلايا بعد مدة بعمل محير جداً: تقوم الآلاف من الخلايا بتضحية جماعية.

ترى.. لماذا تقدم الخلايا أنفسها ؟

هذه التضحية تخدم هدفاً مهماً جداً، أجسام الخلايا الميتة على خط معين ضروري لتكوين الأصابع، وتأكل الأخرى الخلايا الميتة وتتشكل في هذه المناطق الفراغات اللازمة بين الأصابع.

حسناً.. لماذا تقوم آلاف الخلايا بتضحية كهذه؟ كيف تقوم الخلية بالتضحية بنفسها ليصبح الطفل المولود ذو أصابع في المستقبل؟

من أين عرفت الخلية أنها بهذه التضحية تخدم هدفاً كهذا؟

كل هذا يوضح مرة أخرى أن جميع الخلايا المكوّنة للإنسان موجّهة من قبل الله تعالى.

وفي هذه الأثناء تبدأ بعض الخلايا بصنع الساق.

لا تعرف الخلايا أن الجنين سيحتاج إلى المشي على الأرض، رغم ذلك تكون الساق والأرجل.

هذه صورة تمثل وجه إنسان ذو أربعة أسابيع.

في هذه المرحلة تتكون حفرتان في جانبي رأس الجنين، تصديقه صعب، لكن في هذين الحفرتين ستُنشأ العينان.

يبدأ تشكل الأعين في الأسبوع السادس وتعمل الخلايا طوال الأشهر داخل خطة لا يستوعبها العقل وتكّون أقسام العين المختلفة..بتتابع رتيب.

تصنع بعض الخلايا القرنية وبعضها الحدقة، وبعضها العدسة، تقف كل خلية عند وصولها إلى حد انتهاء القسم الذي يتوجب عليها صنعها، وتنشأ العين المكونة من ٤٠ طبقة مختلفة بشكلٍ كامل...

وهكذا فالعين التي تعد أفضل كاميرا في العالم تُخلق في بطن الأم من العدم، فقد حُسب بأن الإنسان الذي سوف يولد عندما يفتح عينيه سيقابل عالماً ملوناً خُلقت العين من أجله متناسباً مع هذا العالم.

وقد حسبت الأصوات التي سيسمعها، والأنغام التي سيستمع إليها أيضاً، والأذن التي ستسمع هذه الأصوات كذلك تنشأ في بطن الأم حيث تشكل الخلايا أفضل جهاز لاقط للصوت على وجه الأرض.

وهذا يذكرنا مرة أخرى أن السمع والبصر من النعم الكبيرة التي منحها الله تعالى للإنسان، بذلك يتفضل الله عز وجل في القرآن الكريم بقوله:

﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [النحل: ٧٨]

ثالثاً : الإعجاز العلمي في دلالة غيض الارحام:

١- تحرير معنى الغيض ....

٢- تحرير الحقيقة العلمية ....

٣- توافق معنى الغيض مع السقط التلقائي المبكر ....

الإعجاز العلمي للقرآن والسنة في دلالة: غيض الأرحام

يتناول هذا الأمر تحرير معنى غيض الأرحام عند علماء اللغة ومفسري القرآن الكريم،ثم مطابقة هذا المعنى مع حقائق علم الأجنة الحديث،وقد توصل البحث إلى أن غيض الأرحام: هو السقط الناقص للأجنة قبل تمام خلقها،أو

هو ما تفسده الأرحام فتجعله كالماء الذي تبتلعه الأرض - أو هو هلاك الحمل أو تضاؤله أو اضمحلاله - وهذا المعنى يتوافق مع الإسقاط التلقائي المبكر للأجنة حينما تهلك ويلفظها الرحم، أو تغور وتختفي تماما من داخله. كما أظهر البحث وجه الإعجاز العلمي في هذا الموضوع. قال الله تعالى:

﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ ﴾ [الرعد: ٨-٩]

١- تحرير معنى الغيض:

يطلق الغيض في اللغة على: النقص، والغور، والذهاب، والنضوب. وقد جاء في المعاجم اللغوية: (غاض الماء غيضا ومغاضا): قل ونقص. أو غار فذهب. أو قل ونضب. أو نزل في الأرض وغاب فيها. وغاضت الدرة: احتبس لبنها ونقص. وغيض دمعه: نقصه وحبسه(المعجم الوسيط ٢/ ٦٦٨)، وفي حديث سطيح: وغاضت بحيرة ساوة: أي غار ماؤها وذهب. وفي حديث عائشة تصف أباها - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: وغاض نبع الردة أي أذهب ما نبع منها وظهر(لسان العرب ٧/ ٢٠١)

وفي المفردات في غريب القرآن: (وغيض الماء ـ وما تغيض الأرحام) أي تفسده الأرحام فتجعله كالماء الذي تبتلعه الأرض، والغيضة المكان الذي يقف فيه الماء فيبتلعه(المفردات في غريب القرآن ص ٣٦٨)

وقد ورد ذكر الغيض في آيتين من القرآن الكريم: الأولى هي النص السابق في سورة الرعد، والثانية: قوله جل في علاه:

﴿ وَقِيلَ يَـٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَـٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [هود: ٤٤]

ووفق قواعد التفسير القاضية بتفسير القرآن بالقرآن؛ فإن معنى الغيض في آية سورة الرعد يفسر بالغيض الوارد في آية سورة هود. ومعنى الغيض فيها: الغياب، والذهاب والنضوب، قال ابن الجوزي: قال الزجاج: غاض الماء يغيض: إذا غاب في الأرض.

وقد دار تفسير العلماء لغيض الأرحام حول معنيين: الدم الذي ينزل على المرأة الحامل، والثاني: السقط أو السقط الناقص؛ أو ما تفسده الأرحام فتجعله كالماء الذي تبتلعه الأرض.

- **الغيض هو السقط**

قال ابن عباس وقتادة: (وما تغيض الأرحام) (السقط) (وما تزداد) ما زادت الرحم في الحمل على ما غاضت حتى ولدته تماما

وقال الضحاك: (وما تغيض الأرحام) أن تسقط المرأة الولد،)وما تزداد) تضعه لمدة كاملة تامة

وقال الحسن: الغيض: الذي يكون سقطا لغير تمام، والازدياد ولد التمام وقال أيضا: وما تغيض بالسقط الناقص، وما تزداد بالولد التام، وقال أيضا: ما تغيض الأرحام ما كان من سقط، وما تزداد تلد المرأة لعشرة أشهر

وقال صاحب تفسير المنار: "وما تغيض الأرحام من نقص الحمل أو فساده بعد العلوق"

وقال صاحب المفردات في غريب القرآن: ((غيض الأرحام)): ما تفسده" الأرحام فتجعله كالماء الذي تبتلعه الأرض"

وقال عبد الرحمن بن ناصر السعدي: (وما تغيض الأرحام) أي تنقص مما فيها، إما أن يهلك الحمل، أو يتضاءل، أو يضمحل،)وما تزداد) الأرحام وتكبر الأجنة التي فيها

وقال بن عطية: (وما تغيض الأرحام) معناه ما تنقص، وذلك أنه من معنى قوله (وغيض الماء) وهو بمعنى النضوب، فهي ها هنا بمعنى زوال شيء من الرحم وذهابه

- **الغيض هو نزول الدم على الحامل:**

عزا أبو حيان هذا الرأي إلى الجمهور فقال: قال الجمهور: غيض الرحم: الدم على الحمل. قال مجاهد: (وما تغيض الأرحام): الدم تراه المرأة في

حملها، وقد عزا نقصان الأرحام وزيادتها إلى هذا الدم فقال: وهو نقصان من الولد، وما زاد على التسعة أشهر فهو تمام لذلك النقصان وهي الزيادة. وبمثل قوله قال عكرمة، وقتادة، وابن زيد، وسعيد بن جبير الذي حدد طبيعة الدم في بعض أقواله فقال: الغيض حيض المرأة على ولدها

رأي الجمهور يؤول إلى تفسير الغيض بالسقط:

إن الدم الذي ينزل من المرأة الحامل مبكرا لا يعدو إلا أن يكون راجعا لأحد احتمالات خمسة: دم بسيط يعرف بإدماء الانغراس، أو دماء تسبق الإسقاط وتسمى إسقاطًا منذرًا، أو دماء تصاحب الإسقاط التلقائي للجنين المبكر- وهذا يختلط عند المرأة مع الحيض- أو دماء تنزل في حالات الحمل الكاذب، ومتلازمة التوأم المتلاشي. بناء عليه فالدم الذي تراه المرأة مصحوبا ببقاء الحمل لا يمكن أن يكون دم حيض، ولا علاقة له ببقاء الجنين فترة أطول في الرحم، بل ربما يؤثر في نقص عمر الجنين أو وزنه، فالجنين الذي يبقى عادة مع الإجهاض المنذر ينزل دون التسعة أشهر، أو ينزل دون الوزن الطبيعي. وعليه فكل الآراء التي ربطت بين ضعف الولد ورقته بحدوث هذه الدماء وازدياد مدة الحمل أكثر من المدة المعهودة آراء غير صحيحة وليس عليها أي دليل علمي، بناء على هذا يمكن أن نقرر أن تعريف بعض السلف للغيض بأنه الدماء التي تراها الحامل في حملها يصب في بوتقة السقط، ويعتبر تعريفا له بأحد لوازمه، فالدماء هي الشيء الملازم غالبا والمصاحب للسقط، وبهذا نثبت أن التفسير القائل: بأن الغيض هو السقط هو رأي الجمهور أيضا

هل الغيض مطلق السقط أم السقط المبكر؟

إن الفترة الزمنية التي يمكن أن يكون الإسقاط التلقائي فيها معبرا عن الغيض المذكور في القرآن والسنة، تقع في مرحلة التخليق؛ وتبدأ من تكون النطفة الأمشاج، مرورا بطوري العلقة والمضغة، حتى وقت نفخ الروح في الجنين

والدليل: سؤال الملك الموكل بالرحم ربه؛ عن مستقبل ومصير كل طور من أطوار الجنين الأولى والتي تقع في زمن التخليق، هل ستتخلق أم لا؟

- روى البخاري ومسلم بسنديهما عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((وكل الله بالرحم ملكا فيقول: أي رب نطفة؟ أي رب علقة؟ أي رب مضغة؟ فإذا أراد الله أن يقضي خلقها، قال: أي رب أذكر أم أنثى؟ شقي أم سعيد؟ فما الرزق؟ فما الأجل؟ فيكتب كذلك في بطن أمه.))إن أسئلة الملك؛ أي رب نطفة؟ أي رب علقة؟ أي رب مضغة؟ هي أسئلة عن عن مستقبل تخلق هذه المرحلة؛ ومن ثم عن غيض الأرحام بها من عدمه! وفحوى أسئلته عندما يرى نطفتي الرجل والمرأة متقاربتين؛ يا رب أيحدث التلقيح وتتكون النطفة الأمشاج وتغرس في جدار الرحم أم تسقط؟

وهل ستتخلق بعد ذلك إلى العلقة ـ وما فيها من مجموعات الخلايا الأساسية لأعضاء الجسم ـ أم تهلك وتسقط؟

وربما يسأل الملك سؤالا واحدا شاملا من البداية. هل هذه النطفة مخلقة أم غير مخلقة؟ فإن كانت مخلقة سأل عن صفتها، وإن كانت غير مخلقة مجتها الرحم دما؛ وذلك في الحديث المرفوع الذي رواه ابن جرير الطبري، بسنده عن ابن مسعود (إسناد صحيح - كما قال الحافظ ابن حجر - وهو موقوف لفظا على عبد الله بن مسعود، قال: ((إذا وقعت النطفة في الرحم، بعث الله ملكا فقال: يا رب مخلقة أو غير مخلقة؟ فإن قال: غير مخلقة؛ مجتها الأرحام دما، وإن قال: مخلقة، قال: يا رب فما صفة هذه النطفة أذكرًا أم أنثى؟ ما رزقها؟ وما أجلها؟ أشقي أم سعيد؟ قال: فيقال له: انطلق إلى أم الكتاب فاستنسخ منه صفة هذه النطفة، فينطلق الملك فينسخها، فلا تزال معه حتى يأتي على آخر صفتها))))

وهذا الحديث يشير بوضوح إلى أن زمن حدوث الغيض أو الإسقاط التلقائي يكون في فترة تخليق الأجنة في الأسابيع الستة الأولى.

ما هو السقط وماذا يعني في علم الأجنة الحديث؟

يمكننا القول بأن السقط المفسر للغيض والمراد في كلام علماء اللغة والتفسير هو: الجنين الذي سقط من بطن أمه قبل اكتمال خلقه، أو هو الجنين

الذي يهلك في الرحم؛ ويتحلل ويغور وتختفي آثاره منها، ويصدق عليه أن الرحم تبتلعه كما تبتلع الأرض الماء. فهل لهذا المعنى ما يوافقه في علم الأجنة الحديث؟

نقول بكل يقين: نعم، فالأجنة عندما تهلك في الأسابيع الثمانية الأولى من عمرها؛ إما أن تسقط خارج الرحم، أو تتحلل وتختفي تماما من داخله، ويسمي علماء الأجنة هذا الهلاك بصورتيه: الإسقاط التلقائي المبكر. وهو متوافق تماما مع أقوال علماء اللغة والتفسير في تعريفهم للغيض

وعليه يمكننا أن نقول: بأن غيض الأرحام هو الإسقاط التلقائي المبكر.

٢- تحرير الحقيقة العلمية:

ما هو الإسقاط التلقائي المبكر؟

يطلق الإسقاط التلقائي هو على كل حالة يسقط فيها الحمل تلقائيا قبل الأسبوع العشرين من عمره، أو عندما يكون وزن الجنين أقل من ٥٠٠ جم. ومعظم حالات الإسقاط التلقائي تحدث خلال الأسابيع الثمانية الأولى من الحمل. ويسمى الإسقاط التلقائي المبكر. وهو ظاهرة شائعة، ونسبة حدوثه كبيرة، وغالباً يحدث بدون دراية من الأم بالحمل، والغالب أن كل امرأة تتأخر لديها الدورة الشهرية مدة أسبوع أو أسبوعين أو تأتي لها الدورة بغزارة غير طبيعية تعتبر في حالة إسقاط تلقائي مبكر. وتكون نسبة الإسقاط التلقائي عالية جدا قبل ٤ أسابيع؛ إذ تصل إلى حوالي ٤٠٪، ومن الحمل الذي يعيش ٤ أسابيع يفقد منه من ١٥ ـ ٢٠٪

وقد قام بعض الباحثين ببعض التجارب لتحديد نسبة فقد الحمل في الفترة المبكرة جدا منه؛ فقام إدموندز (Edmonds) وزملاؤه عام ١٩٨٢ . باختبار الحمل في بول ١٩٨ امرأة صحيحة قابلة للحمل، فوجد لدى ١١٨ منهن حملا، وقد فقدت ٦٧ امرأة منهن حملها مبكرا ـ من غير أن يعرفن أنهن حوامل ـ وتمثل النسبة حوالي ٦٠٪. وفي عدة مشاهدات للسقط المبكر لم

يكن الجنين موجودا؛ أي أن الجنين قد تحلل واختفي داخل الرحم. وعدم رؤية جنين بالمرة في حويصلة الحمل، يسمى كيس الحمل الفارغ. ويشيع هذا في حالات ظاهرة التوائم المتلاشية. Vanishing Twin Syndrome وقد لا يسقط محصول الحمل بعد موت الجنين تلقائيًا، بل يبقى لفترة طويلة داخل الرحم ويسمى الإجهاض المخفي (Missed abortion)؛ ويتغير فيه حجم الرحم فيأخذ في الصغر والجمود ـ نظرا لامتصاص السائل الأمنيوسي وحدوث تهتك في الجنين ـ والنسبة الغالبة من هذا الإجهاض المخفي مآلها إلى الإسقاط التلقائي، لكن في بعض الحالات يغور ويختفي الجنين تمامًا من حويصلة الحمل

وتقول المراجع الطبية: ما زالت الإجابة غير معروفة ومحددة لهذا السؤال. لماذا تسقط بعض الأجنة بعد موتها ولماذا لا يسقط بعضها الآخر؟

الأدلة العلمية على أن المراد بالسقط هو السقط المبكر:

الدليل الأول:

ذكر الغيض قبل الزيادة والمطابقة بينهما في قول الله تعالى: ﴿وما تغيض الأرحام وما تزداد﴾. ذكرت الآية الكريمة الزيادة بعد الغيض؛ ومعروف علميا أنه خلال الأسابيع الثمانية الأولى من عمر الجنين لا يزداد الرحم عن حجمه الطبيعي زيادة ملحوظة تذكر؛ وأن التغييرات التي تطرأ عليه هي تبدلات وظيفية في أنسجته، وتحدث تحت تأثير هرمونات الحمل. لكن الازدياد الحقيقي للرحم يبدأ بعد مرحلة التخليق في بداية الأسبوع التاسع؛ وهو المتعلق بنمو الجنين، ويستمر إلى نهاية الحمل. وبناء عليه فلا يكون الغيض المطابق للازدياد في الآية الكريمة إلا في مرحلة التخليق (الأسابيع الثمانية الأولى))

الدليل الثاني:

لا تغور الأجنة ولا تنضب إلا في مرحلة التخليق: حيث وجد أن الأجنة الهالكة لا تغيب آثارها وتختفي من داخل الرحم إلا في خلال مرحلة التخليق. يقول مرجع طبي: إنه من اللافت للنظر أن موت الأجنة وإتباعها

بغور وارتشاف ونضوب وامتصاص كامل لها لا يكون إلا في الأشهر الثلاثة الأولى وحتى نهايتها كحد أقصى،)أي شهرين ونصف بعد حدوث التلقيح).
ويقول مرجع طبي آخر: عندما يكون هناك توقف في نمو الجنين أثناء الأشهر الثلاثة الأولى؛ يحدث غور ونضوب وامتصاص لهذا الحمل(جاينيوكوس ١٩٨٨)

أما عندما يموت الجنين في الأشهر الثلاثة التالية؛ فلا يندثر ويغيب من الرحم،بل يضغط وينكمش حتى يصير رقيقا كالورقة،ويسمى الجنين الورقي،وبما أن الغيض يراد به السقط الملفوظ من الرحم،أو المتحلل الذي غار ونضب فيه،لذا فلا يمكن أن يكون الغيض مرادا به مطلق السقط في أي فترة زمنية،ولكنه السقط الحادث في مرحلة التخليق فقط. بناء على هذه الحقائق يثبت لنا أن الإسقاط التلقائي المبكر يشمل كلاً من الأجنة الهالكة الملفوظة من الرحم،والمتحللة الغائرة فيه

٣- توافق معنى الغيض مع السقط التلقائي المبكر:

إن دلالات الغيض اللغوية تتوافق وظاهرة الإسقاط التلقائي المبكر بحالتيها حسب الاصطلاح الطبي: الأجنة التي تلفظها الأرحام،والأجنة المندثرة فيها.
دلالة الغيض على الغور والذهاب والنضوب: تتوافق مع ما يحدث لبعض الأجنة،من التحلل والاختفاء تماما من أو مع حويصلة الحمل،حيث لا يبقى للجنين أي أثر داخل الرحم كما في الحالات التالية:

أ - حالات البييضة المعيبة أو كيس الحمل الفارغ

حيث يتحلل الجنين وتمتص مكوناته،ولا يكون له أثر داخل كيس الحمل،وتمثل هذه الحالات حوالي نصف حالات السقط التلقائي المبكر،وفي دراسة قام بها هيرتج وشيلدون (Hertig & ****don) عام ١٩٤٣ على ألف سقط تلقائي،وَجَدَا أن الجنين يكون متحللا ومختفيا تماما في ٤٩٪ من حالات تلك الدراسة. وبعد اكتشاف جهاز الأشعة فوق الصوتية واستخدامه في

تشخيص الحمل ومتابعته؛ تأكدت حالات غور الأجنة واختفائها من داخل الأرحام، وسميت بكيس الحمل الفارغ.

ب ـ حالات التوائم المتلاشية:

أكدت عدة دراسات حديثة شيوع هذه الظاهرة؛ إذ بلغت نسبتها حوالي ٥٠٪ من حمل التوائم. ويقول أحد المراجع الطبية: يغور وينضب ويختفي أحد التوأمين تماما من داخل الرحم في الفترة المبكرة من الحمل. وقد شخصت هذه الحالات بجهاز الأشعة فوق الصوتية (Ultrasound) فبعد رؤية جنينين في الرحم بهذا الجهاز، أصبح لا يرى إلا جنين واحد منفرد، وبجواره كيس صغير يحتوي على مادة كثيفة تدل على موت جنين سابق. وفي خلال ٤ ـ ٦ أسابيع يمكن أن يختفي هذا الكيس تماما، ويزول معه الدليل على وجود حمل لجنين سابق آخر. كما يمكن أن يشخص حمل عديد الأجنة ـ بأكياس حمل وأجنة حية ـ ثم عند الوضع لا يولد إلا جنين واحد تام مكتمل. (أما بقية الأجنة فقد غارت وابتلعتها الأرحام). وقد أجرى كل من روبنسون وجانيس (١٩٧٧م) متابعة بجهاز الأشعة فوق الصوتية لثلاثين امرأة تحمل كل منهن توأمين؛ في خلال الأشهر الثلاثة الأولى. وكانت النتائج كالتالي: أربع عشرة منهن ولدن توأمين، وإحدى عشرة امرأة منهن ولدت كل واحدة منهن ولداً واحدا، والآخر كان كيس حمل فارغ (حيث غار الجنين واختفت آثاره)، وأربع منهن لم يلدن شيئا،)حيث غارت الأجنة كلها وابتلعتها الأرحام)، وواحدة لم تلد شيئا أيضا؛ لكن وجد عندها إجهاض مخفي مع كيس حمل فارغ. وفي عام ١٩٧٩ حصل فارما وآخرون على نفس النتائج.

ج – الإجهاض المخفي:

يحدث في بعض صور الإجهاض المخفي أن يغور الجنين ويرتشف، ولا يكون له أي أثر داخل كيس الحمل. فيصير الجنين مع الرحم كالماء الذي حبسته الأرض وابتلعته. وهي إحدى دلالات الغيض اللغوية. لذا فإنه لا يوجد في مثل هذه الحالات أي إسقاط مشاهد، ولا يمكن وصفه بدقة وشمول إلا بمسمى الغيض، الذي يعني الغور والنضوب والذهاب بالكلية

كما أن دلالة الغيض على النضوب والذهاب: تتوافق أيضا مع ما يحدث في التجاويف العديدة الممتلئة بالسوائل والدماء التي تحيط بالجنين؛ كتجويف السلي، والتجويف الكريوني، والتجمعات الدموية في المسافات البينية للزغابات، والتي تجعل الجنين يحيا في محيط مائي، أشبه بالبرك أو البحيرات المقفلة، حيث يحدث عند هلاك الجنين توقف التحكم الهرموني لبطانة الرحم - وما فيه من أوعية دموية وغدد وأنسجة - فتنضب إفرازات الغدد، وتقفل الأوعية الدموية للأم، وتتخثر الدماء في الفجوات وبين الزغابات، فتجف وتذهب وتنضب هذه البحيرات داخل بطانة الرحم وفي تجويفه حول الجنين. وبهذا يكون إسناد الغيض للأرحام إسناداً حقيقيًا

دلالة الغيض على الاحتباس مع النقص:

تتوافق مع ما يحدث لبعض الأجنة حين تهلك ولا تسقط بل تحبس داخل بطانة الرحم - وقد تمكث فترة طويلة ينكمش فيها الجنين ويتهتك - مع جفاف معظم السوائل الداخلية والخارجية حوله، فينكمش الرحم ويقل وزنه وحجمه، كما يحدث هذا في بعض صور الإجهاض المخفي.. وبهذا يكون تعبير الغيض أشمل وأدق دلالة من معنى السقط، إذ يشمل الدلالة على الجنين الذي يغور وتختفي آثاره من داخل الرحم، والدلالة على سقوط الجنين الذي يلفظه الرحم، وعلى الأحداث التي تصاحبه؛ مما يؤكد أيضا أن إسناد الغيض للأرحام إسناد حقيقي

علماء الإسلام يقررون هذه الحقيقة قبل اكتشاف الأجهزة الحديثة

لقد أشار ابن عطية الأندلسي - منذ عدة قرون - إلى الأجنة المتلاشية في الأرحام فقال مفسرا الغيض: بأنه زوال شيء من الرحم وذهابه. كما أن صاحب كتاب المفردات في غريب القرآن وصفه بوضوح في قوله: الذي تفسده الأرحام فتجعله كالماء الذي تبتلعه الأرض. ولله در الشيخ السعدي الذي فسر الغيض بالسقط بصورتيه وكأنه طالع أحوال الأجنة الهالكة في أحدث المراجع العلمية. قال: (وما تغيض الأرحام) أي تنقص مما فيها؛ إما أن يهلك الحمل (السقط الذي يلفظه الرحم)، أو يتضاءل (الإجهاض المخفي حيث ينكمش الجنين ويتضاءل)، أو يضمحل (الأجنة التي تتلاشى في الرحم))

الإعجاز في دلالة الغيض

إن دلالة غيض الأرحام على الإسقاط التلقائي المبكر بصورتيه: غور الأجنة وإسقاطها، وما يصاحبه من نقصان ونضوب لبرك السوائل والدماء المحيطة بالأجنة، لهو إعجاز علمي واضح، سبق به القرآن الكريم علم الأجنة بقرون، فالعرب رغم أنهم يعرفون معنى لفظ الغيض لغة إلا أنهم لم ينطقوا بجملة غيض الأرحام أبدا قبل نزول القرآن الكريم.

ولقد اتضح بيقين ـ في هذا الزمان ـ بعد تقدم علم الأجنة الوصفي والتجريبي دقة لفظ الغيض، ودلالته الشاملة لكل الأحداث التي تمر بها الأجنة الهالكة في مرحلة التخليق؛ فبعضها تسقطه الأرحام، ويمكن أن يشاهد وتدرك آثاره، والبعض الآخر يتلاشى ويختفي ولا تدرك آثاره؛ ويصدق عليها أن الأرحام قد ابتلعتها كما ابتلعت الأرض الماء.

وهذه الحقيقة لم تعرف إلا في هذا القرن، بعد تقدم أجهزة البحث والرصد والتحاليل الدقيقة، ولم تحدد بدقة إلا بعد استخدام أجهزة الموجات فوق الصوتية المكتشفة حديثا.

وهكذا أثبت العلم بيقين دقة هذا التعبير وشموليته؛ وبهذا يتحقق السبق القرآني في الإشارة إلى حقائق علمية دقيقة، لم يكتشف معظمها إلا في النصف الثاني من هذا القرن.

توصية:

إن مصطلح الغيض أدق وأشمل من مصطلح الإسقاط التلقائي المبكر؛ لذلك نطالب لجنة وضع المصطلحات الطبية العالمية أن تعتمد هذا المصطلح القرآني لوصف أحوال الأجنة الهالكة في زمن التخليق، وأن يتبنى علماء الأجنة المسلمون هذا المطلب، وأن يقوموا بتدريسه في المعاهد العلمية.

رابعاً: معجزات القرآن في المشيمة والحبل السري والولادة:

جميع المعلومات التي شرحناها حتى الآن في موضوع تطور الجنين في رحم الأم اكتشفت بالبحوث في مطلع هذا القرن وبالعودة إلى الاعتقادات التي كانت سائدة قبل مولد النبي ﷺ نجد أنها كانت بعيدة تماماً عن الحقيقة العلمية وكانت أقرب إلى الخرافة فقد كان الاعتقاد السائد مثلاً في عصر أرسطو ٣٨٤ ـ ٣٢٢ أن الجنين الموجود في نطاف الرجل مخلقاً وكاملاً ولكنه صغير جداً فلا نراه ثم ينموا بالتدريج داخل الرحم تماماً كما تنمو بذرة أي نبات وهي نظرية الجنين القزم.

أما القرآن الكريم فيقول : بينما نجد القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة قد أكدا بصورة علمية دقيقة أن الإنسان إنما خُلق من نطفة مختلطة سماها "النطفة الأمشاج" فقال تعالى في سورة الإنسان :(إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا)(الإنسان: ٢). وقد أجمع أهل التفسير على أن الأمشاج هي الأخلاط، وهو اختلاط ماء الرجل بماء المرأة. والحديث الشريف يؤكد هذا أخرج الإمام أحمد في مسنده عن عبد الله – يعني ابن مسعود – قال: مر يهودي بالنبي ﷺ وهو يحدث أصحابه قال: فقالت قريش: يا يهودي، إن هذا يزعم أنه نبي؟ قال: لأسألنه عن شيء لا يعلمه إلا نبي. قال: فجاء حتى جلس ثم قال: يا محمد، مم يخلق الإنسان؟ قال: "يا يهودي، من كل يخلق، من نطفة الرجل ومن نطفة المرأة، فأما نطفة الرجل فنطفة غليظة منها العظم والعصب، وأما نطفة المرأة فنطفة رقيقة منها اللحم والدم" . فقام اليهودي فقال: هكذا كان يقول من قبلك. (رواه أحمد، والطبراني، والبزار بإسنادين وفي أحد إسناديه عامر بن مدرك، وثقه ابن حبان وضعفه غيره، وبقية رجاله ثقات).

ولم يتوصل العلم إلى حقيقة أن الإنسان يتكون من نطفة الرجل وبويضة المرأة إلا في سنة ١٧٧٥م على يد العالم الإيطالي "سبالانزاني" Spallanzani وفي عام ١٧٨٣ تمكن "فان بندن" Van Beneden من إثبات هذه المقولة.

وهكذا تخلت البشرية عن فكرة الجنين القزم. كما أثبت "بوفري" Boveri بين عامي ١٨٨٨ و١٩٠٩ بأن الكروموسومات تنقسم وتحمل خصائص وراثية مختلفة، واستطاع "مورجان" Morgan عام ١٩١٢ أن يحدد دور الجينات في الوراثة وأنها موجودة في مناطق خاصة من الكروموسومات.

وهكذا يتجلى لنا أن الإنسانية لم تعرف أن الجنين يتكون من اختلاط نطفة الذكر وبويضة الأنثى إلا في القرن الثامن عشر، ولم يتأكد لها ذلك إلا في بداية القرن العشرين.

أن العظام والعضلات تتشكلان معاً إلا أن البحوث الجارية الأخيرة اكتشفت حقيقة لم ينتبه إليها الناس في الماضي.

تتشكّل في الجنين أولاً العظام ثم يكسى العظام بالعضلات والغريب أن هذه الحقيقة التي اكتشفها العلم من جديد أشار إليها القرآن الكريم عنها قبل ١٤٠٠سنة.

﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾

[المؤمنون: ١٤]

لقد أذهلت آيات القرآنية التي تتكلم عن خلق الإنسان والأحاديث النبوية الشريفة العديد من جهابذة علماء العصر ومن بينهم البروفسور كيت مور أستاذ علم الجينات في الجامعات الأمريكية وصاحب أشهر كتاب عن الجنين في العالم. لقد قال مرو: "لقد كان نبيكم إنساناً بسيطاً و رجلاً أمياً، و قد عاش و مات في القرآن السابع الميلادي، أي في وقت لم يكن فيه لعلم الأجنة أساس و لا خبر، كما لم يكن هناك مجاهر على الإطلاق، ولم يكن علم البصريات قد ظهر إلى عالم الوجود بعد، فمن أين له بهذه المعلومات العلمية المذهلة ؟ و كيف شاهد اندماج نطفة الذكر بنطفة الأنثى ؟ و كيف عرف أن في نطاف الرجل نطف وأن في ماء المرأة نطفة ؟

• المشيمة:

الجهاز الذي ترونه في الصورة واحد من أجهزة الطب وذات أحدث تقنية في العالم، هذه وحدة دعم الحياة اللازمة للمرضى في العناية المشددة إلا أنه أثناء مقارنة هذه التقنية التي تملأ غرفة بجهاز فائق آخر سنرى مدى الفرق الهائل بينهما.

هذا الجهاز الفائق هو: المشيمة الذي يحيط بالجنين من الجهات كلها ويسدّ حاجته.

المشيمة وحدها تعمل كوحدة غسيل للكلية، وكالقلب والرئة والكبد الاصطناعي

وتقوم بجميع هذه المهمات في وقت واحد وتصميم خارق تؤمن حياة الطفل والأم معاً.

الخلايا المكوّنة للمشيمة تُعرف من بين ملايين الخلايا في بطن الأم جزئيات الغذاء التي يحتاج إليها الطفل وتوصله إليه.

ومهمة المشيمة الأخرى هي حماية الجنين.

الخلايا الدفاعية التي في بطن الأم تتوجه نحو الرحم كي لا يتعرض الجنين للهجوم، إلا أن الخلايا الموجودة في أول الطبقة الخارجية للمشيمة تشكّل نوعاً من مصفاة بين عروق الدم للأم والجنين، أثناء الموافقة للغذاء بالمرور تمنع مرور خلايا النظام الدفاعي.

لو أعطيت مهمة التفكير باحتياجات الجنين الذي ينمو وسد حاجته ليس للمشيمة بل لإنسان لما عاش هذا الجنين أكثر من دقائق معدودة، لأنه لا تستطيع أي تقنية يملكها الإنسان حساب حاجات الجنين المتغيرة ولا يستطيع سد تلك الحاجات، الآلة الوحيدة التي تقدر على هذه العمليات هي المشيمة.

هذه التقنية الفائقة لقطعة اللحم المسماة بالمشيمة توضح لنا مرة أخرى الكمال في خلق الله تعالى.

• الحبل السري:

يُؤمَّن الارتباط بين جسم الأم والجنين، هذا الحبل التي يُقطع ويُرمي بعد الولادة، الذي كانت له مهمة حياتية طوال تسعة أشهر معجزة هندسية حقيقية، يمر داخل هذا الحبل ثلاثة خطوط متفرقة، أحد هذه الخطوط تنقل الغذاء والأوكسجين للجنين، وبفضل هذا لا يختنق الجنين رغم عيشه في بيئة مليئة بالسوائل، مع كون رئتاه مليئتان بالماء، ولا يموت جوعاً رغم عدم تكوين نظامه الهضمي وعدم أكله، بل تعطى هذان الحاجتان الأساسيتان له عن طريق البطن.

أما الخطان الآخران للحبل فيطرحان زوائد الطعام والماء الذي ينتجه الجنين من الجسم وليس للأم ولا للجنين الذي ينمو في بطنها علم بهذه الأنظمة كلها. إلا أن الله تعالى خلق جميع التدابير أيضاً لتأمين حياة الجنين بشكلٍ كامل.

• النتيجة :

طوال مرور الأشهر، الطفل الذي في بطن الأم يأخذ شكلاً وينمو، ويصل إلى حالة يمكنه الانتقال والعيش في العالم الخارجي.

• وقد جاء دور المرحلة الأخيرة أي الولادة:

إلا أنه بقي خطر كبير ينتظر الطفل الذي في بطن الأم، سيولد الطفل من رحم الأم ماراً بعظام الحوض للأم، وهذا يشكل خطراً كبير على الطفل، لأنه سيحصر رأس الطفل أثناء الولادة في هذه المناطق الضيقة، وسيشكل ضغطاً على جمجمته.

ولكن تدابير خاصة جداً أُعدت لحماية صحة الطفل.

عظام جمجمة المولود طريّة بعكس جمجمة الإنسان البالغ لم تلحم مع بعضها وبفضل هذا تتمطط العظام مقداراً معيناً أثناء الولادة وهذا التمطط يشكل فراغات بين العظام تمنع تخريب الجمجمة.

بفضل هذا يولد الطفل ولادة صحيحة دون تضرر الجمجمة والدماغ.

في الأشهر القادمة تقسو جمجمة الرأس وتستمر حياة الطفل بشكل سليم.

هذه الأحداث الموضحة في هذا الكتاب مرّت على جميع الناس الذين عاشوا على وجه الأرض، وتُري أن جميع الناس إنما كانوا من نطفة بسيطة ألقيت في رحم الأم.

وبفضل هذه الشروط الخاصة اتحدت مع البويضة، ثم بدأت الحياة بخلية واحدة فقط، حيث ليس لها أي علم حتى بوجودها، فالله تعالى سوى خلقهم، وخلق كل واحد منهم إنساناً في أحسن تقويم من خلية واحدة فقط... والتفكير في هذه الحقيقة واجب كل إنسان على وجه الأرض.

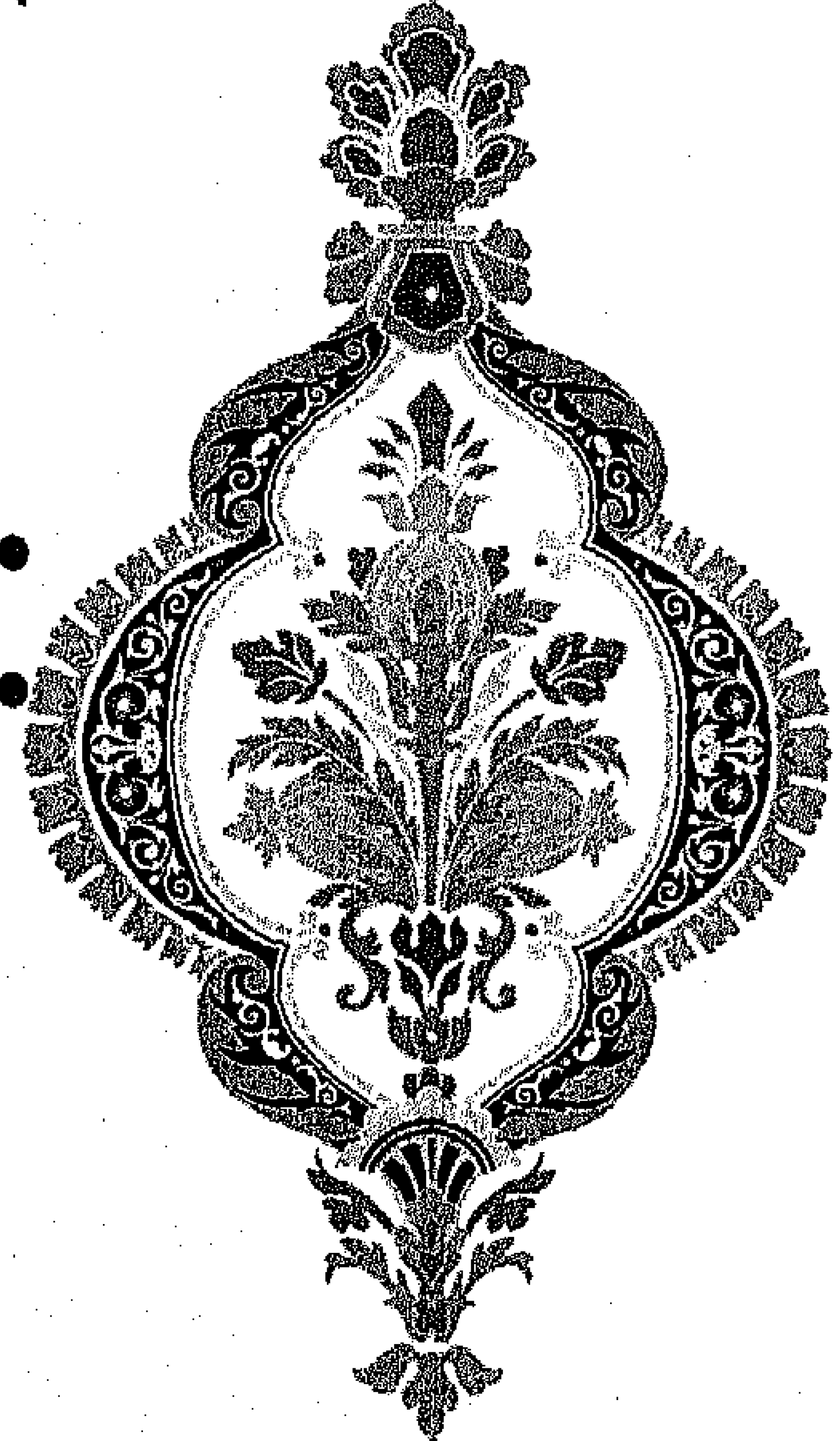
ومهمتكم أنتم أيضاً التفكير كيف وجدتم وأن تشكروا خالقكم الله تعالى.

ولا تنسوا أن ربنا الذي خلق أجسامنا مرة، سيخلقنا بعد موتنا مرة أخرى، وسيحاسبنا على النعم التي وهبنا إياها وسيعيد خلقنا مرة أخرى وهو أهون عليه. أما المنكرين لحقيقة خلقهم بنسيانهم ربهم والدار الآخرة فمخطئون خطأً كبيراً.

يذكر الله تعالى الناس كهؤلاء في القرآن الكريم بقوله:

﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾ [يس: ٧٧-٧٩]

الفصل الرابع



ضوابط الإعجاز العلمي القرآني

- أهمية وجود هذه الضوابط
- الضوابط التي أجمع على ضرورتها علماء الاعجاز

الفصل الرابع

ضوابط الإعجاز العلمي القرآني

أهمية وجود هذه الضوابط

بعد بيان هذه الاشارات الموجزة - وغيرها كثير كثير - ألف فيه أهل الذكر الموسوعات، ولو بقي الأمر عند أهله لبقيت القضية محفوظة، غير أنه تجرأ عليها كثيرون، وتدخل فيها غير المتخصصين، فكان لا بد من وجود ضوابط للإحكام :

وأول من وضع هذه الضوابط وشدد عليها هو الدكتور محمد أحمد الغمراوي، واختصرها في ضابطين هما :

الأول : لا ينبغي في فهم الآيات القرآنية أن نعدل عن الحقيقة إلى المجاز الا بقرينة ولمخالفة هذه القاعدة وقعت كثير من الأخطاء عند المفسرين والباحثين في الإعجاز العلمي.

والثاني : يجب أن لا نفسر كونيات القرآن الا باليقيني الثابت من العلم لا بالفروض ولا بالنظريات التي لا تزال موضع فحص وتمحيص فالحقائق هي سبيل التفسير الحق هي كلمات الله الكونية وينبغي أن يفسر بها نظائرها من كلمات الله القرآنية أما الحدسيات والظنيات فهي عرضة للتصحيح والتعديل إن لم يكن للإبطال في أي وقت فسبيلها أن تعرض على القرآن بالقاعدة السابقة ليتبين مبلغ قربها منه أو بعدها عنه وعلى مقدار ما يكون بينهما وبينه من اقتراب يكون مقدار حظها من الصواب[1].

(١) الاسلام في عصر العلم، د. الغمراوى، ٢١١ وما بعدها.

وقبل أن ندخل في تفصيلات هذه الضوابط نحب أن نؤكد أن القرآن أمرنا بالتأمل في آياته بشتى أشكالها : الأرض والسماء والحجر والماء، والنور والظلماء، ابتغاء هدايته. يقول الله تعالى :

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٠) ﴾ [العنكبوت: ٢٠]

ويقول سبحانه في سورة آل عمران:

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١) ﴾

ولا شك أن خلق هذا الكون قد تم قبل خلق الانسان، والإنسان في غيبوبة كاملة، ولكن قد أبقى لنا الله في صخور الأرض، وصفحة السماء ما يمكن به أن نكتشف، ونتصور عملية الخلق الا أنه يبقى في مجال الفروض والنظريات، ولا يمكن أن يرقى إلى مجال الحقيقة لأن الحقيقة العلمية لابد أن تكون واقعة تحت حس الانسان وإدراكه، ولهذا فعملية الخلق لا يمكن أن تتجاوز عملية التنظير، أما باقي الآيات الكونية التي تعرض لها القرآن وأغلبها آيات وصفية، فلا يجوز أن يوظف في الاستشهاد على سبقها العلمي الا الحقائق القطعية الثابتة التي لا رجعة فيها(١) وبضوابط عديدة مهمة.

الضوابط التي أجمع على ضرورتها علماء الاعجاز

الضابط الأول : يجب أن نعلم ونستيقن عند البحث في إعجاز القرآن من الناحية العلمية أن العلم تابع للقرآن، وليس العكس. فالباحث في الإعجاز ينبغي عليه أن يعطي ثقته لكتاب الله أولاً، ثم يبحث في كتب ومؤلفات وتجارب البشر عن حقائق علمية تتوافق مع الحقائق القرآنية.

---

(١) ينظر : قضية الإعجاز العلمي للقرآن الكريم وضوابط التعامل معها للدكتور زغلول راغب النجار، ص ٩٠، نهضة مصر للطباعة ط١ سنة ٢٠٠٦م.

الضابط الثاني : ينبغي أن ندرك بأن تفسير ودلالات آيات الإعجاز تتطور مع تقدم العلوم دون أن تتناقض مع العلم، وهذه معجزة بحدّ ذاتها أنك تجد الحقائق العلمية التي تحدث عنها القرآن مفهومة وواضحة لكل عصر من العصور. بينما مؤلفات البشر تصلح لعصرها فقط. هذا يدفعنا لمزيد من البحث عن دلالات جديدة لآيات القرآن العظيم في كل عصر.

الضابط الثالث : لما كان القرآن قد نزل باللغة العربية فيجب علينا ألا نخرج خارج معاني الكلمة و قواميس اللغة، وإذا لم نستطع التوفيق بين فهمنا للآية وبين الحقيقة العلمية، يجب أن نتوقف، حتى يسخّر الله لهذه الآية من يتدبرها ويقدم لنا التفسير الصحيح والمطابق للعلم اليقيني.

وهذا يدعونا إلى الحذر، وعدم التسرع، وألا نقول في كتاب الله برأينا، بل يجب أن نستند إلى التفسير واللغة والدعاء بإخلاص، لأن كشف معجزات القرآن هو عطاء من الله تعالى. ويجب أن يكون عملنا هذا خالصاً لوجه الله لا نبتغي به شيئاً من عرض الدنيا.

إذا توافقت نظرية ما مع القرآن فهذا يعني أن النظرية صحيحة، وإذا خالفت هذه النظرية نص القرآن الكريم فهذا يعني أن النظرية خاطئة، أو لم تكتمل أي أن القرآن هو الميزان، وليست النظريات العلمية. لأننا نعلم في العلوم التجريبية أنه لا توجد حقائق مطلقة أبداً. بل إنك تظن أحياناً أن هذه النظرية صحيحة مائة بالمائة ولكن بعد سنوات يأتي من يكتشف أن هنالك نقص أو خلل في بناء هذه النظرية. بينما في كتاب الله عز وجل، - مهما تقدم الزمن ومهما تطور العلم - فإنك لا تجد أي تناقض أو خلل أو نقص في الإشارة العلمية في القرآن[1].

الضابط الرابع : أن تكون الحقيقة العلمية غير معروفة زمن نزول القرآن من قبل البشر. وأن يكون القرآن قد سبق العلماء إلى الحديث عن هذه الحقيقة. وهنا تكون المعجزة أقوى، ولكن لا يمنع أن نجد بعض الحقائق

(١) ينظر : موقع عبد الدائم الكحيل على شبكة الانترنت، بحث منشور، بقلم عبد الدائم الكحيل، تاريخ الدخول ١٧/ ٥/ ٢٠٠٩م.

العلمية المذكورة في القرآن والتي كان الناس يدركون شيئاً منها قديماً، مثل فوائد العسل، فهذا الأمر معروف منذ آلاف السنين، فجاء القرآن وأكّده وهذا وجه من أوجه الإعجاز أيضاً، إذ إن البشر في ذلك الزمن لم يكونوا قادرين على تحديد الصواب من الخطأ، والتمييز بين الأسطورة والحقيقة. ولكن القرآن تحدث فقط عن الحقائق الصحيحة، ولو كان القرآن كلام بشر لامتزج فيه الحق بالباطل، واختلطت الأساطير بالحقائق.

الضابط الخامس : يجب أن يعلم من يبحث في إعجاز القرآن أن خير ما يفسر به القرآن هو القرآن نفسه، ثم يأتي بعد ذلك أحاديث الرسول الأعظم عليه الصلاة والسلام، ثم اجتهادات الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم، ثم من تبعهم من العلماء والأئمة الثقات رحمهم الله ورضي عنهم جميعاً.

الضابط السادس : كما ينبغي الإحاطة بدلالات الآية ومعانيها المتعددة وألا نخرج خارج قواعد اللغة العربية ولا نضع تأويلات غير منطقية بهدف التوفيق بين العلم والقرآن، بل يجب أن نعلم أن المعجزة القرآنية تتميز بالوضوح والتفصيل التام، ولا تحتاج لالتفافات من أجل كشفها.[1] يقول تعالى ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾ [هود: ١]

الضابط السابع : ينبغي أن نعلم بأن المعجزة العلمية هي هدف وليست غاية لحد ذاتها، فهي هدف للتقرب من الله تعالى وزيادة اليقين به وبلقائه. ونتذكر قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام. يقول تعالى:

﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ۝٢٦٠﴾ [البقرة: ٢٦٠]

الضابط الثامن : يلزم معرفة ما يتعلق بالنص من سبب النزول وهل هو خاص أو عام أو مطلق أو مقيد أو غير ذلك.

---

(١) ينظر : قضية الإعجاز العلمي للقرآن الكريم وضوابط التعامل معها، الدكتور زغلول راغب النجار، ٩٩، مرجع سابق.

الضابط التاسع : يلزم الاطلاع هل ورد نص آخر يفسره؛ إذ تفسير النص من الوحي، - والسنة من الوحي - أولى بالاعتبار لذلك نقدم وجوه التفسير الواردة في السنة على ما دونها.

الضابط العاشر : مراعاة العرف اللغوي في زمن التنزيل دون المعاني التي كثر تداولها فيما بعد، مهما بلغ انتشارها فيما بعد.

الضابط الحادي عشر : مراعاة قواعد الإعراب والبلاغة وأساليب البيان المقررة ليتم فهم أبعاد معاني النصوص.

الضابط الثاني عشر : ملاحظة سياق النص ومقتضيات الحال وغير ذلك من القرائن.

الضابط الثالث عشر : التأكد من وجود إشارة واضحة أو صحيح عبارة على ما ندعي بأنه من معاني النص الذي نحن بصدد بيانه وتفسيره وتحديد الإشارة العلمية بشكل صحيح.

الضابط الرابع عشر : مراعاة أوليات الاعتبار في الاحتجاج بالمعاني فالنص المحكم أولى من الظاهر، وظاهر النص أولى من المعنى المستقى بطريق التأويل، ومنطوق النص مقدم على مفهومه، كما أن بعض المفاهيم مقدم في الاعتبار على بعض؛ ولذلك يلزم عدم التسرع في ترجيح وجه تفسيري دون مرجح معتبر.

الضابط الخامس عشر : ملاحظة أسلوب النص وصياغته هل هو عام ؟ وهل هو مطلق ؟ وهل هو مجمل ؟ وهل تشترك فيه معان عدة أم لا ؟ وهل تحتوي دلالته على حقيقة علمية لا يمكن تعارضها مع العرف اللغوي الذي قد يقدم في الاعتبار أم هناك احتمال آخر[1]... وهكذا، فكلها قواعد معتبرة!!

الضابط السادس عشر : عند التأويل للنص في مثل قوله تعالى :﴿يد الله فوق أيديهم﴾ لا بد أن يكون هناك ما يقتضي ذلك ويلزم عندئذ إعمال القواعد المعتبرة عند أئمة الأصول و التفسير من مثل قولهم:

---

(١) المرجع السابق : ١١٢وما بعدها.

- العبرة بعموم النص لا بخصوص السبب.
- إعمال الكلام أولى من إهماله.
- لا عبرة بالظن غير الناشئ عن دليل.

الضابط السابع عشر : اعتماد المعاني المقررة للحروف التي تسمى حروف المعاني كما قررها الأئمة الأعلام.

الضابط الثامن عشر : البعد عن تأويل المتشابه وكذا الخوض في القضايا السمعية، مما لا يخضع للنشاط الذهني؛ بل يعتمد على النصوص الواردة بصددها من كتاب الله وسنه رسوله ﷺ.

الضابط التاسع عشر : ومن ذلك عدم الخوض في النصوص المتعلقة بالغيبيات مثل الجنة والنار و. . . إلخ التي استأثر الله بعلمها.

الضابط العشرون : الحذر من الأخبار الإسرائيلية والآثار الواهية.

الضابط الحادي والعشرون : التأدب مع علماء الأمة والحذر من تسفيه آرائهم فكم من عائب إنساناً آخر في اجتهاده فكان فيه العيب، إذ لم يحسن فهم مرامي الكلام أو مقتضيات الحال.(1)

وكم من عائب قولا صحيحا : وآفته من الفهم السقيم

الضابط الثاني والعشرون : يجب ألا يفارقنا اليقين بصدق قول رسول الله ﷺ الذي هو بمثابة قول الله عز وجل لأنه وحي ووعد من الله ولذلك مهما رأينا وسمعنا في واقع حياتنا بأمور تتعلق بالكون فلا يسوغ أن نقدم ما قيل بصددها على ما ورد عن رسول الله ﷺ ولهذا يجب إعادة النظر عند وجود تعارض ظاهري بينهما لأنه لا يمكن أن يصادم مضمون نص صحيح حقيقة ثابتة أبداً حيث إن رسول الله ﷺ لا ينطق عن الهوى بل بوحي من الله خالق الكون.

---

(1) ينظر : قضية الإعجاز العلمي للقرآن الكريم وضوابط التعامل معها، الدكتور زغلول راغب النجار ص ١١٣، وما بعدها، مرجع سبقت الاشارة اليه.

الضابط الثالث والعشرون : من الضوابط الخاصة بنتائج البحث القرآني:

أما نتائج البحث القرآني فيجب أن تمثّل معجزة حقيقيّة لا مجال للمصادفة فيها. وينبغي على الباحث في هذا المجال إثبات أن نتائجه لم تأت عن طريق المصادفة، وأن يكون ذلك طبقاً لحقائق ثابتة. وعليه يجب أن يتنبه من يبحث في الإعجاز العددي إلى أن الأرقام هي وسيلة لرؤية البناء العددي القرآني، وليست هي الهدف! ويجب أن يبقى بعيداً عن منْزلقات التنبُّؤ بالغيب الذي لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى. وأن يبتعد عن الاستدلال بهذه الأرقام على تواريخ أو أحداث سياسية.

ونحن لا ننكر شمولية القرآن، ولكن يجب التثبُّت والتأنّي والانتظار طويلاً قبل أن نستنبط شيئاً من كتاب الله له علاقة بعلم الغيب، فقد يثبُت خطأ هذا الاستنباط مستقبلاً، فنكون بذلك قد وضعنا حجّة في يد أعداء الإسلام للطعن في هذا الدين.

الضابط الرابع والعشرون : فهم ومعرفة أحكام الناسخ والمنسوخ وما يتعلق بذلك لفهم النص فهما صحيحا ومعرفة الحكم الشرعي على نحو صحيح.

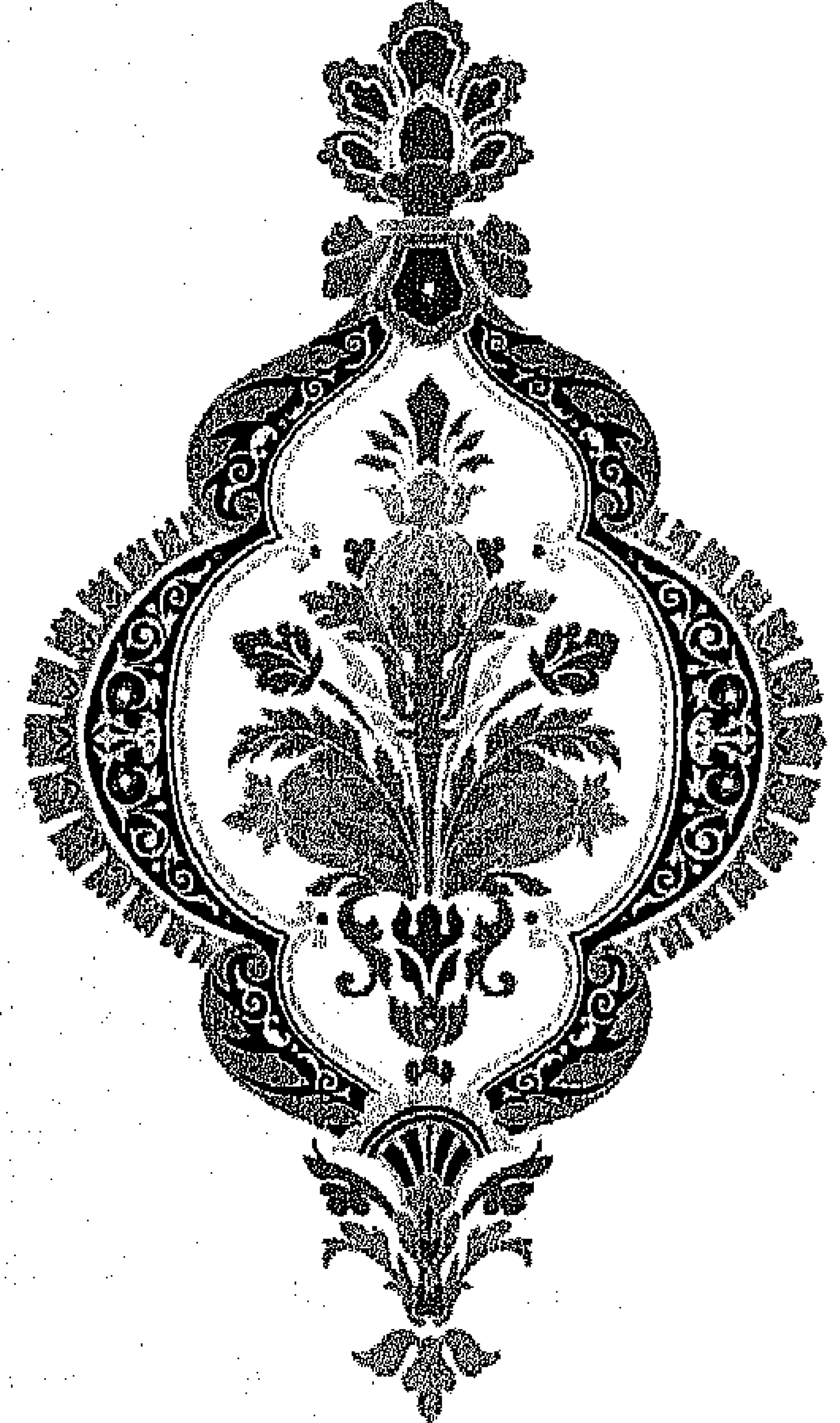
الضابط الخامس والعشرون : جمع القراءات الصحيحة المتعلقة بالآية ليزداد المعنى وضوحاً.

الضابط السادس والعشرون : الحرص على عدم الدخول في التفاصيل العلمية الدقيقة التي لا تخدم القضية مثل المعادلات الرياضية[1]... وغيرها.

(١) ظواهر كونية، عبد الدائم كحيل، ٤٥، اصدار جائزة دبى الدولية للقرآن الكريم عام ٢٠٠٦م.

الفصل الخامس

آثار استخدام الإعجاز العلمي في الدعوة إلى الاسلام



١- البروفيسور كيث مور
٢- الجراح الفرنسي موريس بوكاي
٣- الطبيب الفرنسى على سلمان بنوا
٤- داود موسى بتيكوك
٥- عالم التشريح التايلاندي تاجات تاجسون

الفصل الخامس

آثار استخدام الإعجاز العلمي في الدعوة إلى الاسلام

مما لا شك فيه أن كثيرا من العلماء لا يمكنهم أن يعاندوا العقل الذي وهبهم الله إياه وهذا ما حدث لأولئك العلماء الذين تبحروا في العلوم واكتشفوا ما ظنوا أنه جديد ولكنهم فوجئوا بالحقيقة العلمية في القرآن الكريم من قبل أربعة عشر قرنا مما دعاهم إلى الدخول في الإسلام والإيمان بالله والنبي المصطفى محمد ﷺ.

وها نحن نستعرض بعضا من تلك المواقف لأولئك العلماء مما يبين الأثر الدعوى الكبير لهذا اللون من الاعجاز القرآني في هذا العصر:

أولا: **البروفيسور كيث مور**: من أكبر علماء التشريح والأجنة في العالم، في عام ١٩٨٤م استلم الجائزة الأكثر بروزا في حقل علم التشريح في كندا، (جائزة جرانت من الجمعية الكندية).

يقول الدكتور زغلول النجار:

دعيت مرة لحضور مؤتمر للإعجاز العلمي في القرآن الكريم في موسكو بروسيا ,فكرهت في بادئ الأمر أن أحضره لأنه يعقد في بلد كانت هي عاصمة الكفر والإلحاد لأكثر من سبعين سنة ,وقلت في نفسي : "ماذا يعلم هؤلاء الناس عن الله حتى ندعوهم إلى ما نادى به القرآن الكريم؟"

فقيل لي: لابد من الذهاب ,فإن الدعوة قد وجهت إلينا من قبل الأكاديمية الطبية الروسية. . . . فذهبنا إلى موسكو. . . . . وفي أثناء استعراض بعض

﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ﴾[السجدة: ٥]

وقف أحد العلماء المسلمين وقال: "إذا كانت ألف سنة تساوي قدرين من الزمان غير متكافئين دل ذلك على اختلاف السرعة... ثم بدأ يحسب هذه السرعة فقال: ألف سنة. لابد وأن تكون ألف سنة قمرية، لأن العرب لم يكونوا على دراية السنة الشمسية، والسنة القمرية اثنا عشر شهراً قمرية، ومدة الشهر القمري هي مدار القمر حول الأرض، وهذا المدار محسوب بدقة بالغة وهو ٢,٤ بليون كم فقال ٢,٤ بليون مضروب في ١٢- وهو عدد شهور السنة - ثم في ألف سنة، ثم يقسم هذا الناتج على أربع وعشرين - وهو عدد ساعات اليوم ثم على ستين وهي الدقائق ثم على ستين وهي الثواني فتوصل هذا الرجل إلى سرعة أعلى من سرعة الضوء.

فوقف أستاذ في الفيزياء - وهو في الأكاديمية الروسية - وقال: لقد كنت أظنني قبل هذا المؤتمر، من المبرزين في علم الفيزياء وفي علم الضوء بالذات فإذا بعلم أكبر من علمي بكثير ولا أستطيع أن أعتذر عن تقصيري في معرفة هذا العلم إلا أن أعلن أمامكم جمعيا أني (أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله). ثم تبعه في ذلك أربعة من المترجمين ، الذين لم نتحدث معهم على الإطلاق وإنما كانوا قابعين في غرفهم الزجاجية يترجمون الحديث من العربية إلى الروسية والعكس فجاءونا يشهدون أن لا الله إلا الله وأن محمد رسول الله.

ليس هذا فحسب وإنما علمنا بعد ذلك أن التلفاز الروسي قد سجل هذه الحلقات وأذاعها كاملة فبلغنا أن أكثر من٣٧ عالما من أشهر العلماء الروس قد أسلموا بمجرد مشاهدتهم لهذه الحلقات.

والجليل في هذا الأمر أنه كان معنا أيضا (الدكتور البروفيسور كيث مور) وهو من أشهر العلماء في علم الأجنة ويعرفه تقريبا كل الأطباء في العالم،

(١) سورة السجدة، الآية ٥

فهو له كتاب يدرس في معظم كليات الطب في العالم وقد ترجم هذا الكتاب لأكثر من ٢٥ لغة الكتاب الشهير هو : (The Developing Human) وترجمته : (الإنسان المتطور) فوقف هذا الرجل في وسط ذلك الجمع قائلا : إن التعبيرات القرآنية عن مراحل تكون الجنين في الانسان لتبلغ من الدقة والشمول مالم يبلغه العلم الحديث، وهذا إن دل على شي فإنما يدل على أن القرآن لا يمكن أن يكون إلا كلام الله، وأن محمد رسول الله)(١).

فقيل له : هل أنت مسلم ؟ قال :لا ولكني أشهد أن القرآن كلام الله، وأن محمد مرسل من عند الله. فقيل له : إذا فأنت مسلم.

وفي مؤتمر الإعجاز العلمي للقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الذي عقد في القاهرة عام ١٩٨٦م وقف الأستاذ كيث مور في محاضرته قائلا "إنني أشهد بإعجاز الله في خلق كل طور من أطوار الجنين ولست أعتقد أن محمداً أو أي شخص آخر يستطيع معرفة ما يحدث في تطور الجنين لان هذه التطورات لم تكتشف الا في الجزء الأخير من القرن العشرين".

ثانيا: الجراح الفرنسي موريس بوكاي(٢)

يقول: إن أول ما يثير الدهشة في روح من يواجه النصوص القرآنية لأول مرة هو ثراء الموضوعات العلمية المعالجة.... ولم أجد التوافق بين العلم والدين الا يوم شرعت في دراسة القرآن الكريم، فالعلم والدين في الإسلام توأمان"

ولكن ما الذي حدا بهذا العالم الفرنسي إلى الدخول في الإسلام:

---

(١) رحلات من الظلمات إلى النور، لأحمد بن سعيد بن سليمان الحوقاني جـ١، ص ٢٣، ٢٤، ط١، عام ٢٠٠٦م طبعة خاصة بوزارة الإعلام سلطنة عمان.

(٢) وهو طبيب فرنسي اعتنق الإسلام عام ١٩٨٢م ويعتبر كتابه "القرآن الكريم والتوراة والعلم" من أهم الكتب التي درست الكتب المقدسة على ضوء المعارف الحديثة وله كتاب القرآن الكريم والعلم العصري.
انظر: القرآن والتوراة والإنجيل والعلم: دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، موريس بوكاى، ط دار الفتح للإعلام العربى بالقاهرة، عام ١٩٩٧م.

يقول الباحث: أحمد سعيد الحوقاني:

إن موريس بوكاي كان من ضمن أولئك الذين قاموا بتحليل جثة فرعون مصر، وكان اهتمامه كيف مات هذا الفرعون، وفي ساعة متأخرة من الليل وبعد جهد عظيم من العمل اكتشف أنه مات غرقا في البحر من خلال ما وجده من بقايا الأملاح في الجثة وهاهنا قال له احد زملائه إن القرآن الكريم يحكي قصة غرقه فاندهش لهذا الأمر وبدا يتأمل الجثة طوال الليل وطلب التوراة لكنه لم يجد فيها ما يشفي غليله، ولم يستقر له قرار حتى جاء لمؤتمر في السعودية فتحدث مع بعض العلماء عن غرق فرعون وهناك فتح له بعض العلماء المصحف ليقرأ ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ﴾ [يونس: ٩٢] وارتجت نفسه لوقع هذا الخبر ولم يمكنه الا أن يرفع صوته بالإسلام أمام الجمهور الحاضر(١).

ثالثا: الطبيب الفرنسي: علي سلمان بنوا:

يقول عن سبب إسلامه:

(إن العامل الرئيسى في اعتناقي للإسلام هو القرآن، لقد بدأت بدراسته بعقلية غربية مفكرة نافذة. . . . فاقتنعت بأنه كتاب منزل من عند الله تعالى.

إن من بين آيات هذا القرآن ما يحمل نفس النظريات التى كشفت عنها أحدث الأبحاث العلمية ما كان كافياً لاقتناعي وإيماني، فتقدمت إلى المسجد في باريس وأعلنت إسلامى، وسجلني مفتي مسجد باريس في سجلات المسلمين وحملت اسمي الجديد: علي سلمان)(٢).

رابعا: داود موسى بيتكوك

وهو رئيس الحزب الإسلامي البريطاني

---

(١) رحلات من الظلمات إلى النور، ١/ ٢

(٢) ينظر: لماذا أسلمنا، مجموعة مقالات لنخبة من رجال الفكر عن سبب اعتناقهم الإسلام، ترجمة: مصطفي جبر، تقديم: إبراهيم أحمد باوانى، وخورشيد أحمد، ص ٨١، ط مكتبة الحرمين بالرياض، بدون.

يقول: أهداني صديق لي ترجمة لمعاني القرآن ففتحتها فإذا بسورة القمر اقتربت الساعة وانشق القمر فقال وهل ينشق القمر ؟ ما هذه الا خرافات وأساطير كأساطير الإغريق القديمة وانصد عن قراءة المصحف ووضعه بالمكتبة وفي ليلة من الليالي وهو يفتح قناة"بي بي سي"ليستمع لحوار صحفي مع ثلاثة علماء فضاء، وكان يعتب عليهم الصحفي أن أمريكا تنفق الملايين في مشاريع غزو الفضاء مع أن الملايين يتضورون جوعا فظل العلماء يبررون ذالك حتى ذكر أحدهم قائلا: لقد فوجئنا بأمر عجيب، وهو حزام من الصخور المتحولة يقطع القمر من سطحه إلى جوفه إلى سطحه الآخر فأعطينا هذه المعلومات للجيولوجيين فتعجبوا وبعد الدراسة قالوا لا يمكن هذا الا أن القمر انشق في يوم من الأيام إلى قسمين ثم التحم وهذه الصخور المتحولة ناتجة عن الالتحام"وهنا يقفز من مقعده هاتفا معجزة حدثت لمحمد قبل ١٤٠٠ عام ثم أعلن إسلامه[١].

خامسا: عالم التشريح تاجاتات تاجسون في جامعة شيانك مي في تايلاند

يقول عبد المجيد الزنداني:

بدأت صلتنا بالدكتور تاجسون عندما عرضنا عليه بعض الآيات القرآنية بمجال تخصصه بعلم التشريح وبعد أن أجاب عن تساؤلاتنا قال: نحن كذلك يوجد في كتبنا البوذية المقدسة أوصافا لأطوار الجنين.

فقلنا له: إذن نحن في شوق لرؤيتها.

وفي العام الثاني عندما جاء ممتحنا لطلبة كلية الطب بجامعة الملك عبد العزيز سألناه رؤيتها ولكن أجاب أنه لم يجد شيئا ثم سألناه بعضا من الأسئلة ومنها: هل هناك مرحلة ينعدم فيها الإحساس بألم الحرق؟ فقال: نعم إذا كان الحرق عميقا ودمر عضو الإحساس بالألم.

---

(١) ينظر: رحلات من الظلمات إلى النور ١/ ٦٠، مرجع سابق.

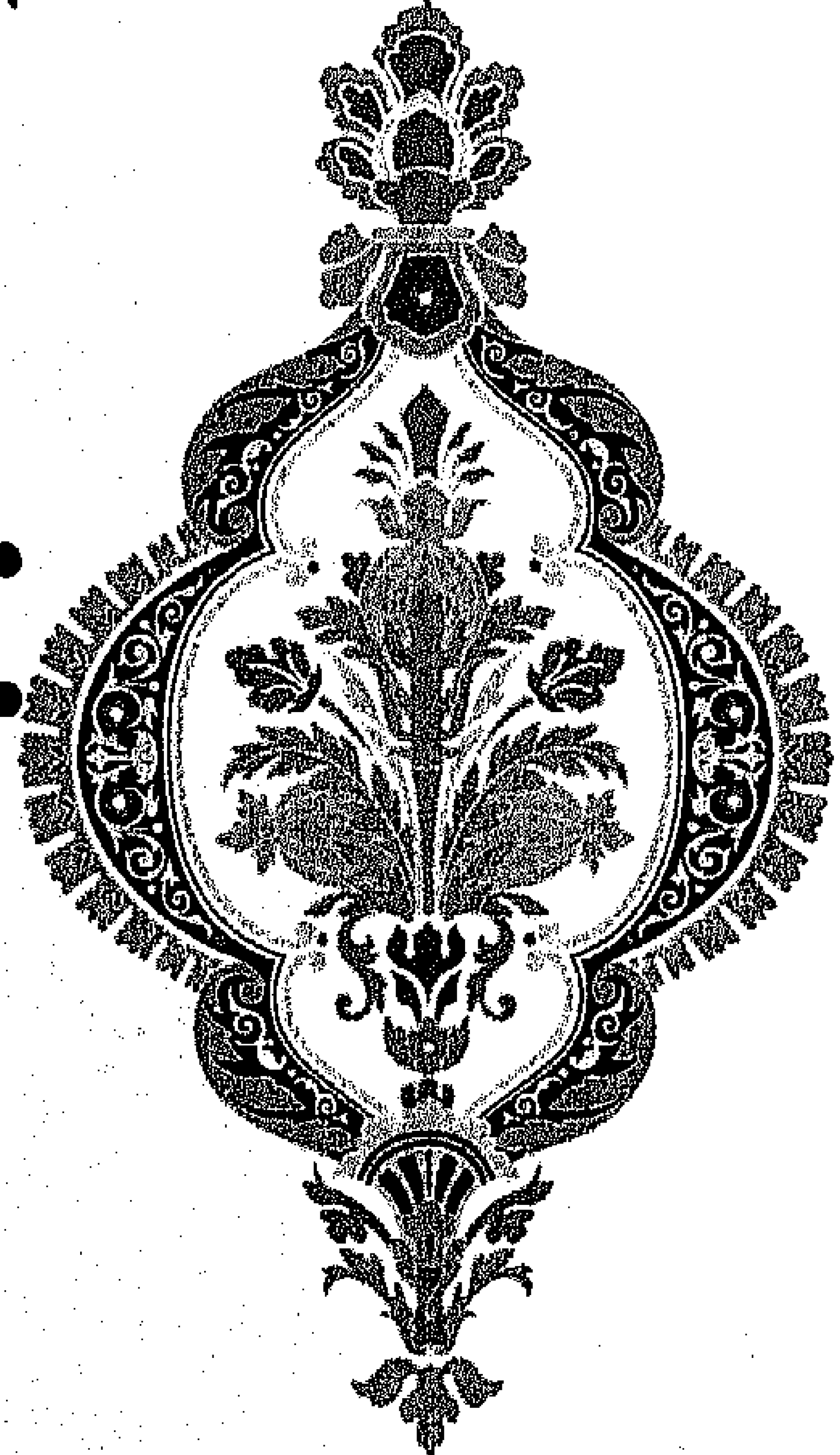
فأخبرناه عن الآية السادسة والخمسين من سورة النساء:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿٥٦﴾ ﴾ [النساء: ٥٦]

فأعلن إسلامه فوراً[١].

(١) السابق، ١/ ٦٦

الفصل السادس



استشراف مستقبل الإعجاز العلمي

- أولاً : في بلاد المشرق العربي
- ثانياً : في بلاد الغرب الأروبي

الفصل السادس

استشراف مستقبل الإعجاز العلمي

أولاً : في بلاد المشرق العربي

في الآونة الأخيرة نشط المشتغلون بقضية الإعجاز العلمي القرآني على مستوى العالم أجمع وبالأخص العالم العربي نشاطا غير مسبوق ، ومن مظاهر هذا النشاط ما يلى :

١- تم نشر ما يقارب ستمائة كتاب من الدراسات المتعلقة بالقرآن الكريم

٢- تم إعداد ما يقارب خمسمائة رسالة ماجستير ودكتوراه

٣- تم نشر آلاف المقالات في مختلف الدوريات والمجلات

٤- تم إصدار مجلة متخصصة باسم الإعجاز العلمي التي تصدرها الهيئة العالمية للإعجاز العلمي القرآني ومجلة آيات التي يصدرها المعهد العالمي للإعجاز العلمي بالأردن[1].

٥- تم عقد العديد من المؤتمرات والجمعيات التي اهتمت بقضية الإعجاز ومنها:

٦- جمعية الإعجاز العلمي للقرآن والسنة في مصر من ستينيات هذا القرن وقامت هذه الجمعية بإصدار تفسير المنتخب للقرآن الكريم الذي تميز بسلاسة أسلوبه ومن مميزاته انه تحدث عن الإعجاز بشتى أشكاله بأسلوب

---

(١) لمزيد من التوضيح، راجع: قضية الإعجاز العلمي للقرآن الكريم، د. زغلول النجار- ص ١٠٥ ، مرجع سابق.

مسهب وصدر بمصر قرار بإنشاء لجنة الإعجاز العلمي للقرآن والسنة وعقدت جلستها الأولى ١٩٩٧م.

٧- في السعودية تشكلت عام ١٩٨٥م هيئة الإعجاز العلمي واتخذت مكة المكرمة مقرا لها وتحولت من هيئه سعودية إلى هيئة عالمية في عام ٢٠٠١م وعقدت شتى المؤتمرات بشتى أماكن العالم وأصدرت عددا من مجلاتها العلمية مثل الإعجاز العلمي وموقعا الكترونيا والكثير من الأشرطة السمعية والمرئية.

٨- في الأردن تشكلت جمعية الإعجاز العلمي بعام ٢٠٠٥م وإنشاء المعهد العالمي للإعجاز القرآني وتم افتتاحه ٣٠ ابريل من عام ٢٠٠٥م.

٩- في المغرب تأسست الهيئة المغربية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة بعام ٢٠٠٤م وإنشاء شعبة الإعجاز بجامعة الرباط وجمعية الدراسات القرآنية بطنجة.

١٠- في الكويت تأسست جمعيتان مهتمتان بالقرآن والسنة وهما جمعية الإصلاح الاجتماعي وصوتها بمجلة المجتمع وبيت القرآن وجمعية إحياء التراث الإسلامي.

١١- في الإمارات مؤسسة جائزة دبي للقرآن الكريم وشبكة جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا واهتمت بالإعجاز القرآني[1].

ثانياً: في بلاد الغرب الأروبي

إذا جئنا إلى الغرب فإننا نجد ما يلي:

١- مشروع المعهد الثقافي الإسلامي بسويسرا لإقامة متحف باسم متحف التواصل الحضاري للتعريف بالإسلام ويركز على قضية الإعجاز العلمي للقرآن الكريم.

(١) السابق، ص ١٠٦

٢- جمعية الإعجاز العلمي بولاية كاليفورنيا التي أنشئت عام ١٩٩٤م وفي أمريكا يهتم بالإعجاز العلمي للقرآن الكريم الجمعية الطبية الإسلامية، وجمعية علماء الاجتماع المسلمين

٣- أما المؤتمرات العلمية للإعجاز فقد عقدت في شتى أنحاء العالم وكل يوم يمر وفي طياته إعجاز علمي جديد وأبحاث متواصلة لإظهار الحقيقة، والزمن وحده كفيل باظهار ما نعلم وما لانعلم من مكنونات البحر العظيم للقرآن الكريم:(١)

وصدق الله إذ يقول:

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾ ﴾ [فصلت: ٥٢-٥٤]

فعلينا أن ندرك عظمة هذا الدين وعظمة كتابه المعجز الذي يأخذ بالألباب، ونترك الآن السياسى الأمريكى: محمد اسكندر راسيل يبين سبب إسلامه فيقول:

(تسألني: لماذا وأنا الأمريكى المولود في بيئة تقطر بالمسيحية: لماذا تخيرت الإسلام هادياً لي في حياتي؟

لأنني وجدته خير الأديان، وهو الدين الوحيد الذي يلبى الاحتياجات الروحية للجنس البشري.

إن اعتناقي للإسلام لم يكن عن ضلالة أو نزوة خاطئة أو انقياد أعمى، أو اندفاع عاطفي، ولكن ذلك كان وليد دراسة دقيقة فاحصة أمينة غير متأثرة برأي أو ميل ونتيجة لرغبة وعزم على معرفة الحقيقة)(٨٠).

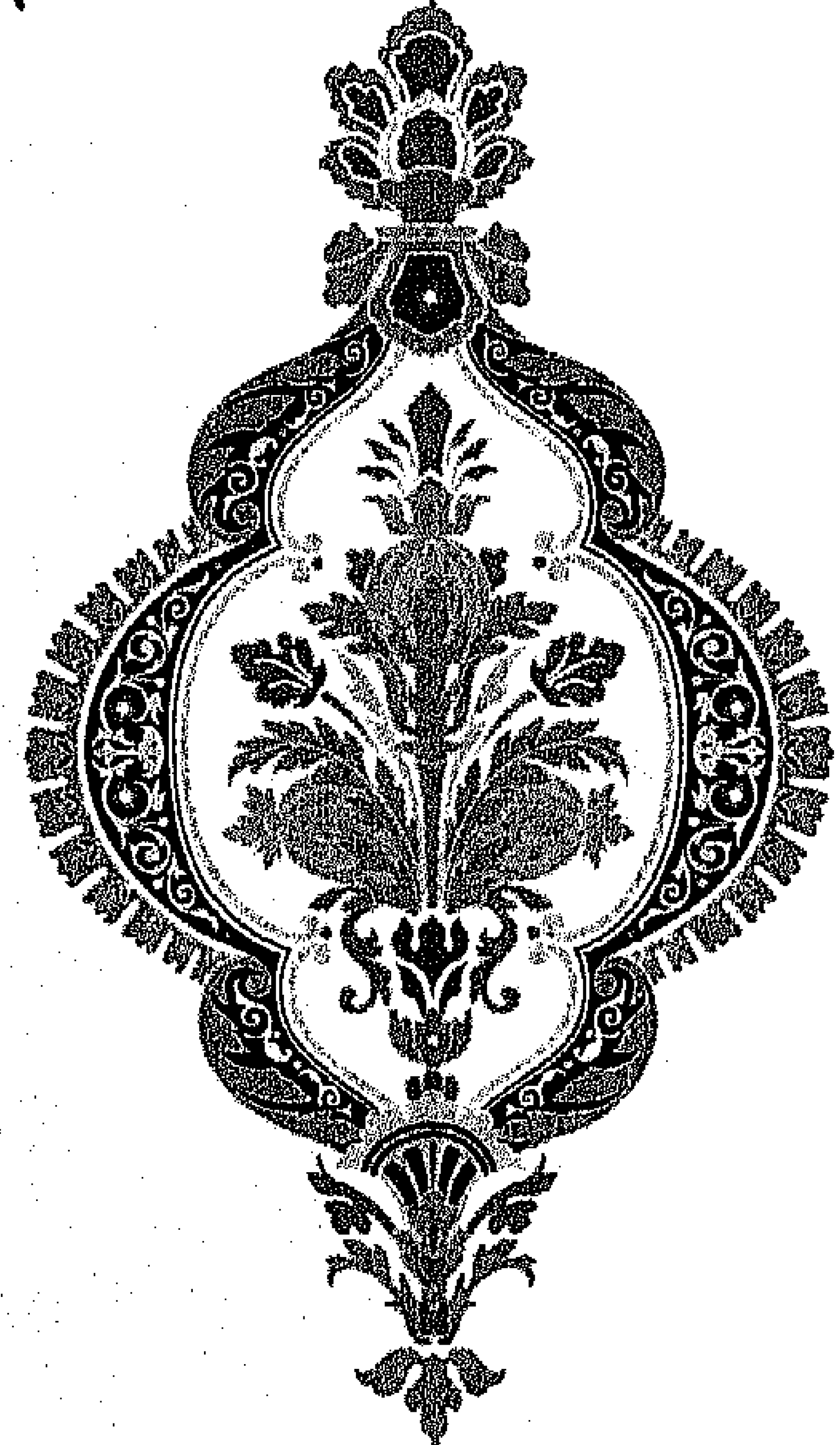
---

(١) راجع هذه المتابعة في: قضية الاعجاز العلمي للقرآن الكريم، د. زغلول النجار، ١٠٧ وما بعدها.

(٢) لماذا أسلمنا، ص ٦٦، ٦٧، مرجع سابق.

الفصل السابع

من أعلام الإعجاز القرآني



١- الإمام عبدالقادر جرجاني
٢- الجاحظ
٣- مصطفى صادق الرافعي
٤- الدكتور زغلول النجار

الفصل السابع

من أعلام الإعجاز القرآني

أولا : الإمام عبد القاهر الجرجانى (٤٠٠ - ٤٧١هـ، ١٠١٠ - ١٠٧٨)

ولد أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني في مطلع القرن الخامس للهجرة. في (جرجان) وهي مدينة مشهورة بين طبرستان وخراسان ببلاد فارس. وكان منذ صغره محبًا للعلم، فأقبل على الكتب والدرس، خاصة كتب النحو والأدب والفقه، ولما كان فقيراً لم يخرج لطلب العلم نظراً لفقره، بل تعلم في جرجان وقرأ كل ما وصلت إليه يده من كتب، فقرأ للكثيرين ممن اشتهروا باللغة والنحو والبلاغة والأدب، كسيبويه والجاحظ والمبرِّد وابن دُرَيْد وغيرهم.

وتهيأت له الفرصة ليتعلم النحو، على يد واحد من كبار علماء النحو؛ عندما نزل جرجان واستقر بها، وتمضي الأيام ليصبح عبد القاهر عالمًا وأستاذًا، واشتهر شهرة كبيرة، وذاع صيته، فجاء إليه طلاب العلم من جميع البلاد يقرءون عليه كتبه ويأخذونها عنه، وكان عبد القاهر يعتز بنفسه كثيراً ويكره النفاق، ولا يذل نفسه من أجل المال، ووصل عبد القاهر الجرجاني لمنزلة عالية من العلم، ولكنه لم يُقَدَّر التقدير الذي يستحقه.

وقضى عبد القاهر حياته بين كتبه، يقرأ ويؤلف، فكتب في النحو عدة كتب؛ منها: (المغني) و(المقتصد) و(التكملة) و(الجمل) وفي الشعر كتب؛ منها: (المختار من دواوين المتنبي والبحتري وأبو تمام) وترجع شهرة عبد القاهر إلى كتاباته في البلاغة، فهو يعتبر مؤسس علم البلاغة، أو أحد المؤسسين لهذا العلم، ويعد كتاباه: (دلائل الإعجاز) و(أسرار البلاغة) من أهم الكتب التي أُلفت في هذا المجال، وقد ألفها الجرجاني لبيان إعجاز

القرآن الكريم وفضله على النصوص الأخرى من شعر ونثر، وقد قيل عنه: كان ورعًا قانعًا، عالـمًا، ذا نسك ودين.

وتوفي شيخ البلاغيين (عبد القاهر الجرجاني) سنة ٤٧١هـ، لكن علمه مازال باقيًا، يغترف منه كل ظمآن إلى المعرفة ويهدي إلى السبيل الصحيح في بيان إعجاز القرآن الكريم.

تتلمذ على أبي الحسين بن عبدالوارث، ابن أخت أبي علي الفارسي، وكان يحكي عنه كثيراً، لأنه لم يلق شيخًا مشهوراً في العربية غيره لعدم خروجه من جرجان في طلب العلم. ويُعد عبدالقاهر واحدًا من الذين تفخر بهم الحضارة الإسلامية في مجال الدرس اللغوي والبلاغي، إذ تقف مؤلفاته شامخة حتى اليوم أمام أحدث الدراسات اللغوية، ويُعد كتابه دلائل الإعجاز قمة تلك المؤلفات؛ حيث توصل فيه إلى نظريته الشهيرة التي عُرفت باسم نظرية التعليق أو نظرية النظم، التي سبق بها عصره، ومازالت تبهر الباحثين المعاصرين، وتقف نداً قويًا لنظريات اللغويين الغربيين في العصر الحديث.

أراد عبدالقاهر بكتابه دلائل الإعجاز أن يرد على من كانوا يرجعون إعجاز القرآن إلى الألفاظ، ورفض أن يكون الإعجاز راجعًا إلى المفردات أو حتى معانيها؛ أو جريانها وسهولتها وعذوبتها وعدم ثقلها على الألسنة. كما رفض أن يكون الإعجاز راجعًا إلى الاستعارات أو المجازات أو الفواصل أو الإيجاز، وإنما رد إعجاز القرآن إلى حسن النظم. ومجمل نظريته أنه لا اعتداد بمعاني الكلمات المفردة إن لم تنتظم في سياق تركيبي، وهو ما يعرف بالنحو، فهو يرى أن الدلالة المعجمية معروفة لمعظم أهل اللغة ولكن دلالة اللفظة التي تكتسبها خلال نظمها في سياق تركيبي هي التي يسعى إليها مستخدم اللغة، لاختلاف دلالة اللفظة تبعًا للتركيب النحوي الذي تنتظم فيه، والمواضع المختلفة التي تحتلها في السياقات الناتجة عن أصل سياقي واحد.

حذق عبدالقاهر الثقافة العربية الإسلامية التي كانت سائدة في عصره، مثل علوم القرآن الكريم وما دارت حوله من مباحث ودراسات. وأتقن الفقه

الشافعي وبرع في فلسفة المذهب الأشعري. وألم بالدراسات المنطقية على نحو ما تكشف عن ذلك تقسيماته ودراساته في أسرار البلاغة ومجادلاته في دلائل الإعجاز. وقد كان عبدالقاهر على معرفة تامة بلغات متعددة غير العربية؛ فقد عرف الفارسية والتركية والهندية، وبرع في اللغة الهندية إلى الحد الذي جعله يكتشف استفادة بعض شعراء العرب من لغة الهنود وأفكارهم.

تصدر عبدالقاهر مجالس جرجان يفيد الراحلين إليه والوافدين عليه. وقصده طلاب العلم من كُلِّ صوب، ومن تلامذته المشهورين الواردين إلى العراق والمتصدرين ببغداد على بن زيد الفصيحي، وأبوزكريا التبريزي، والإمام أبوعامر الفضل بن إسماعيل التميمي الجرجاني وأبو النصر أحمد بن محمد الشجري.

انتقل إلى عبدالقاهر علم السابقين فتأثر به، وظهر ذلك جليًا في مؤلفاته مثل : المغني والمقتصد؛ الإيجاز؛ التكملة؛ التذكرة؛ المفتاح؛ الجمل؛ العوامل المائة؛ النحو؛ التخليص؛ العمدة في التصريف؛ كتاب شرح الفاتحة؛ إعجاز القرآن الصغير؛ إعجاز القرآن الكبير؛ الرسالة الشافية؛ دلائل الإعجاز، أسرار البلاغة.

يلاحظ المشتغلون بعلم اللغة أن عبدالقاهر قد سبق في دلائل الإعجاز الكثيرين من الباحثين الغربيين بعدّة قرون في عديد من الأفكار؛ فقد سبق الفيلسوف الإنجليزي جون لوك في الإشارة إلى عملية الاتصال اللغوي، وسبق العالمين دي سوسير وأنطوان مييه في كثير من أصول التحليل اللغوي، وسبق العالم الألماني فنت في أصول مدرسته الرمزية، وسبق العالم الأمريكي تشومسكي في الكثير من أصول مدرسته التحويلية التوليدية.

وتتلمذ عبدالقاهر على آثار الشيوخ والعلماء الذين انجبتهم العربية، فنحن نراه في كتبه ينقل عن سيبويه والجاحظ وأبي علي الفارسي وابن قتيبة وقدامة بن جعفر والامدي والقاضي الجرجاني وأبي هلال العسكري وابي احمد العسكري وعبدالرحمن بن عيسى الهمداني والمرزباني والزجاج.

وقد ترك عبدالقاهر الجرجاني آثاراً مهمة في الشعر والأدب والنحو وعلوم القرآن. من ذلك ديوان في الشعر وكتب عدة في النحو والصرف نذكر منها كتاب -الإيضاح في النحو- وكتاب -الجمل-، أما في الأدب وعلوم القرآن فكان له -إعجاز القرآن"و-الرسالة الشافية في الإعجاز- و-دلائل الإعجاز- و-أسرار البلاغة- وقد أورد في كتابيه الاخيرين، معظم آرائه في علوم البلاغة العربية.

اللفظ والمعنى

إن تبحّر عبدالقاهر الجرجاني في علوم النحو واللغة والبلاغة، جعله يصب اهتمامه على مشاركة المتحدثين عن الإعجاز جهودهم في الوصول إلى بعض الحقائق.

وقد وضع -الرسالة الشافية في الإعجاز-، لتأكيد عمله المنهجي في هذا الموضوع الهام، والذي كشف عنه حين قال: -هذه جمل من القول في بيان عجز العرب، حين تحدوا إلى معارضة القرآن، وإذعانهم وعلمهم، ان الذي سمعوه فائت للقوى البشرية، ومتجاوز للذي يتسع له ذرع المخلوقين، وفيما يتصل بذلك مما له اختصاص بعلم احوال الشعراء والبلغاء ومراتبهم، وبعلم الأدب جملة، قد تحريتُ الايضاح والتبين، وحذوت الكلام حذواً، هو بعرف علماء العربية أشبه، وفي طريقهم أذهب، وإلى الأفهام جملة -أقرب- (الرسالة الشافية: ١٠٧).

وقد خالف عبدالقاهر الجرجاني الكثيرين رأيهم في الإعجاز، حين زعموا ان إعجاز القرآن، إنما هو -بالصرفة-، أي ان الله صرف العرب عن مضاهاة القرآن. فدفع هذه الفكرة بقوة وإصرار، وألح على تبيان فسادها في مؤلفاته عن الإعجاز، معتبراً ان إعجاز القرآن ليس -بالصرفة-، وانما هو في فصاحته وبلاغته.

فالفصاحة والبلاغة، هما مصدر الإعجاز في القرآن، لا عن طريق تخير الألفاظ ولا الموسيقا ولا الاستعارات وألوان المجاز، وإنما عن طريق النظم، اذ ان نظم القرآن وتأليفه، هما مصدر الإعجاز فيه. يقول الجرجاني: -فإذا بطل الذي أعجزهم من القرآن في شيء مما عددناه.. لم يبق إلا ان يكون في

النظم والتأليف-. (أسرار البلاغة: ١٠٩) علما ان النظم الذي يعنيه انما هو توخي معاني النحو وأحكامه فيما بين الكلم، اي ربط الألفاظ في سياق، يكون وليد الفكر، بحيث ينشأ عن ذلك معنى مقصود بذاته دون سواه. ولهذا كانت المعاني لا الألفاظ هي المقصودة في إحداث النظم والتأليف. فلا نظم في الكلم ولا تأليف حتى يعلق بعضها ببعض، ويبنى بعضها على بعض، وبهذا يكون اللفظ تابعاً للمعنى، بحسب ما يقصد فيه ويراد له. ويحدد عبدالقاهر الجرجاني رأيه في ذلك حين يقول: -واعلم ان ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها (دلائل الإعجاز:٦٣)

وحمل عبدالقاهر الجرجاني على النقاد الذين كانوا ينحازون إلى اللفظ ويقدمونه على المعنى. وكان يحس بوعي نقدي ان ثنائية اللفظ والمعنى عند ابن قتيبة هي خطر على النقد والبلاغة. فتقديم اللفظ، قتل الفكر، لأن الفصاحة ليست في اللفظة، وإنما هي في العملية الفكرية التي تصنع تركيباً فصيحاً من الألفاظ.

وقال: إن القدماء حين أسبغوا على الألفاظ صفات فارقة، مثل لفظ متمكن ولفظ قلق، إنما مقصودهم المعنى.

وحمل الجرجاني ايضا على النقاد الذين انحازوا إلى جانب المعنى فقال: -واعلم ان الداء الدوي والذي أعيا أمره في هذا الباب، غلط من قدم الشعر بمعناه وأقل الاحتفال باللفظ.. فأنت تراه لا يقدم شعراً حتى يكون قد أودع حكمة وأدباً، واشتمل على تشبيه غريب ومعنى نادر-) دلائل الإعجاز٢٥٦) وقد شرح نظرية الجاحظ: -المعاني مطروحة في الطريق-، فقال: إن الجاحظ يقارن بين الكلم ومادة الصائغ. فهو يصنع من الذهب خاتما والحكم على صنعته ليس من جهة الذهب، وانما من جهة الخاتم. فالمعنى هو المادة الأولية، والإعجاز هو في الكلام.

نظرية الصورة

ويشرح الجرجاني، نظرية الصورة المجتمعة من اللفظ والمعنى، ويشبهها بعملية الصياغة أو بالوشي، ويعتبر أن النظم والتأليف هما الإعجاز في الكلام، والذي يحققه التفاوت. تماما مثلما يحدث النظم في الإبريسم الذي يحافظ على -العامل العمدي- في إنشاء صورة ما. وقد وضح الجرجاني المصطلح النقدي الذي أسماه الصورة في الكلام فقال:

- وأعلم أن قولنا الصورة، إنما هو تمثيل وقياس لما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا. .- ويتحدث عن البينونة بين معنى ومعنى وصورة وصورة فيقول: -ثم وجدنا بين المعنى في أحد البيتين وبينه في الآخر بينونة في عقولنا وفرقاً. . قلنا للمعنى في هذا صورة غير صورته في ذلك. . ويكفيك قول الجاحظ: وإنما الشعر صياغة وضرب من التصوير-) الدلائل: ٣٥٥).

ويرى الجرجاني أن التفاوت في الصور، هو الطريق لإثبات الإعجاز. فإذا بلغ الأثر الأدبي درجة من التميز لا يلحقه فيها أي أثر آخر، صح أن يسمى معجزاً. أما التأكيد على الصورة فقد أبعد عبدالقاهر نفسه عن الخوض في العلاقة بينها وبين -الفاعل- لها او القوة الفاعلة لها، لأن الناقد يستكشف الجمال الفني، وان طبيعة إعجاز هذه الصورة الجمالية، هي التي تتخذ دليلا على الفاعل، دون أن تفضي إلى التحدث عن مدى العلاقة بينها وبينه.

فالوحدة الفنية كصورة، أو كنظم أو تأليف لها، هي التي تتخذ مقياساً للإعجاز. والمعنى المعجز، هو الذي ينهض في الأسماع من داخل الصورة المركبة ووحدتها، وليس من المادة الأولية، أو من الحقائق الخارجية. وقد أفاد عبدالقاهر هذه النظرية في كتاب النبوة للجاحظ، إذ نقل عنه قوله: "ولو أن رجلاً قرأ على رجل من خطبائهم وبلغائهم سورة واحدة، لتبين له في نظامها ومخرجها من لفظها وطابعها انه عاجز عن مثلها. ولو تحدى بها أبلغ العرب لأظهر عجزه عنها لغة ولفظاً" (الدلائل ٣٦٦).

ولعبدالقاهر رأيه في المعنى ومعنى المعنى. وهو نظرياً يتصل بتفاوت الدلالات الناجم عن طريق الصياغة. فالمعنى: هو المفهوم الظاهر في اللفظ.

أما معنى المعنى، فمرحلة تتجاوز المعنى الظاهر، إلى المستوى الفني في الكتابة والاستعارة. وفي هذه المرحلة يكون التفاوت في الصورة والصياغة.

إن دراسة معنى المعنى عند الجرجاني، هي التي حفزته لوضع كتاب - أسرار البلاغة-، حيث درس الجرجاني التشبيه والتمثيل والاستعارة، وألمح إلى أن - معنى المعنى- يقوم على مستويات متفاوتة في الدلالة والتأثير معاً. وقد كانت له وقفته النقدية حين تحدّث عن التناوب بين المكني والصريح وضرورة إعلاء شأن قوة التمثيل من الزاوية العقلية بغية الوصول إلى اللذة النفسية في تتبع صور الجمال.

ثانياً : الجاحظ

أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني البصري (١٥٩-٢٥٥ هـ) أديب عربي كان من كبار أئمة الأدب في العصر العباسي، ولد في البصرة وتوفي فيها. تعود أصوله لزنج. لقد كان جده من عبيد شرق أفريقيا.[4][3][2][1]

كان ثمة نتوء واضحٌ في حدقتيه فلقب بالحدقي ولكنَّ اللقب الذي التصق به أكثر وبه طارت شهرته في الآفاق هو الجاحظ، عمّر الجاحظ نحو تسعين عاماً وترك كتباً كثيرة يصعب حصرها، وإن كان البيان والتبيين وكتاب الحيوان والبخلاء أشهر هذه الكتب، كتب في علم الكلام والأدب والسياسية والتاريخ والأخلاق والنبات والحيوان والصناعة والنساء وغيرها.

قال ابن خلدون عند الكلام على علم الأدب: »وسمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول هذا الفن وأركانه أربعة كتب هي: أدب الكاتب لابن قتيبة، كتاب الكامل للمبرد، كتاب البيان والتبيين للجاحظ، وكتاب الأمالي لأبي علي القالي، وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع منها«.

المولد والنشأة

ولد في مدينة البصرة نشأ فقيرا، وكان دميما قبيحا جاحظ العينين عرف عنه خفة الروح وميله إلى الهزل والفكاهة، ومن ثم كانت كتاباته على

اختلاف مواضيعها لا تخلو من الهزل والتهكم. طلب العلم في سن مبكّرة، فقرأ القرآن ومبادئ اللغة على شيوخ بلده، ولكن اليتم والفقر حال دون تفرغه لطلب العلم، فصار يبيع السمك والخبز في النهار، ويكتري دكاكين الورّاقين في الليل فكان يقرأ منها ما يستطيع قراءته.

كانت ولادة الجاحظ في خلافة المهدي ثالث الخلفاء العباسيين ووفاته في خلافة المهتدي بالله سنة ٢٥٥ هجرية، فعاصر بذلك ١٢ خليفة عباسياً هم: المهدي والهادي والرشيد والأمين والمأمون والمعتصم والواثق والمتوكل والمنتصر والمستعين والمعتز والمهتدي بالله، وعاش القرن الذي كانت فيه الثقافة العربية في ذروة ازدهارها.

أخذ علم اللغة العربية وآدابها على أبي عبيدة صاحب عيون الأخبار، والأصمعي الراوية المشهور صاحب الأصمعيات وأبي زيد الأنصاري، ودرس النحو على الأخفش، وعلم الكلام على يد إبراهيم بن سيار بن هانئ النظام البصري.

كان متصلا - بالإضافة لاتصاله للثقافة العربية - بالثقافات غير العربية كالفارسية واليونانية والهندية، عن طريق قراءة أعمال مترجمة أو مناقشة المترجمين أنفسهم، كحنين بن إسحق وسلمويه.

توجه إلى بغداد، وفيها تميز وبرز، وتصدّر للتدريس، وتولّى ديوان الرسائل للخليفة المأمون.

ثقافته

كان للجاحظ منذ نعومة أظفاره ميلٌ واضحٌ ونزوعٌ عارمٌ إلى القراءة والمطالعة حَتَّى ضَجِرَتْ أُمُّهُ وتبرَّمت به. وظلَّ هذا الميل ملازماً له طيلة عمره، حتَّى إنَّه فيما اشتُهِرَ عنه لم يكن يقنع أو يكتفي بقراءة الكتاب والكتابين في اليوم الواحد، بل كان يكتري دكاكين الورَّاقين ويبيت فيها للقراءة والنَّظر ويورد ياقوت الحموي قولاً لأبي هفَّان ـ وهو من معاصريه ومعاش ـ يدلُّ على مدى نَهَمِ الجاحظ بالكتب، يقول فيه: «لم أر قطُّ ولا

سمعت من أحبَّ الكتب والعلوم أكثر من الجاحظ، فإنَّه لم يقع بيده كتاب قَطُّ إلا استوفي قراءته كائناً ما كان ولا عَجَبَ إذ ذاك في أن يُفْرِد الصَّفحات الطِّوال مرَّات عدَّة في كتبه، للحديث عن فوائد الكتب وفضائلها ومحاسنها. والحقُّ أنَّه »كان أشبه بآلة مصوِّرة، فليس هناك شيءٌ يقرؤه إلاَّ ويرتسم في ذهنه، ويظلُّ في ذاكرته آماداً متطاولة.

ولكن الجاحظ لم يقصر مصادر فكره ومعارفه على الكتب، وخاصَّةً أنَّ ذلك عادةٌ مذمومةٌ فيما أخبرنا هو ذاته وأخبرنا كثيرون غيره، إذ العلم الحقُّ لا يؤخذ إلا عن معلم، فتتلمذ على أيدي كثيرٍ من المعلمين العلماء واغتنى فكره من اتصاله بهم، وهو وإن لم يتَّفق مع بعضهم أو لم يرض عن فكرهم فإنَّهُ أقرَّ بفضل الجميع ونقل عنهم وذكرهم مراراً بين طيات كتبه.

لقد تكوَّنَتْ لدى الجاحظ ثقافةٌ هائلةٌ ومعارفُ طائلةٌ عن طريق التحاقه بحلقات العلم المسجديَّة التي كانت تجتمع لمناقشة عدد كبيرٍ وواسعٍ من الأسئلة، وبمتابعة محاضرات أكثر الرِّجال علماً في تلك الأيَّام، في فقه اللغة وفقه النَّحو والشِّعر، وسرعان ما حصَّل الأستاذيَّة الحقيقيَّة في اللغة العربيَّة بوصفها ثقافةً تقليديَّة، وقد مكَّنَهُ ذكاؤُه الحادُّ من ولوج حلقات المعتزلة حيث المناقشات الأكثر بريقاً، والمهتمَّة بالمشكلات الَّتي تواجه المسلمين، وبالوعي الإسلامي في ذلك الوقت«.

ونظراً لسعة علمه وكثرة معارفه وَصَفَهُ ابن يزداد بقوله: هو نسيج وَحْده في جميع العلوم؛ علم الكلام، والأخبار، والفتيا، والعربيَّة، وتأويل القرآن، وأيَّام العرب، مع ما فيه من الفصاحة.

وإن كان معاصرو الجاحظ من العلماء، على موسوعيَّة ثقافتهم، أقرب إلى التَّخصص الظنحاني بالمعنى المعاصر، فإن »تردُّد الجاحظ على حلقات التَّدريس المختلفة قد نجَّاه من عيب معاصريه ذوي الاختصاص الضَّيِّق. فهو بدرسه العلوم النقليَّة قد ارتفع فوق مستوى الكُتَّاب ذوي الثَّقافة الأجنبيَّة في أساسها القليلة النَّصيب من العربيَّة وغير الإسلاميَّة البتَّة«، ولذلك »لم يكتف

بالتردُّد على أوساط معيَّنة بغية التَّعمق في مادَّة اختارها بل لازمَ كلَّ المجامع، وحضر جميع الدُّروس، واشترك في مناقشات العلماء المسجديين، وأطال الوقوف في المربد ليستمع إلى كلام الأعراب، ونضيف إلى جانب هذا التكوين، الذي لم يعد له طابع مدرسي محدود، المحادثات التي جرت بينه وبين معاصريه وأساتيذه في مختلف المواضيع« وكان من أفضل الكتاب في ذلك الوقت.

أساتذة الجاحظ

أما أساتذة الجاحظ الذين تتلمذ عليهم وَرَوَى عنهم في مختلف العلوم والمعارف فهم كثيرون جدًا، وهم معظم علماء البصرة إبَّان حياته، المظنون أنَّ الجاحظ لم ينقطع عن حضور حلقاتهم. ولكنَّ مترجميه يكتفون بقائمة صغيرة منهم غالباً ما تقتصر على العلماء الأَجلَّة المشهورين. ومهما يكن من أمرٍ، وبناءً على بعض المصادر، نستطيع القولَ: إنَّ أهمَّ هؤلاء الأساتذة هم:

- **في ميدان علوم اللغة والأدب والشّعر والرِّواية:** أبو عبيدة معمر بن المثنَّى والأصمعي وأبو زيد بن أوس الأنصاري ومحمد بن زياد بن الأعرابي وخلف الأحمر وأبو عمرو الشَّيباني وأبو الحسن الأخفش وعلي بن محمد المدائني.

- **في علوم الفقه والحديث:** أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم القاضي ويزيد بن هارون والسري بن عبدويه والحجَّاج بن محمد بن حماد بن سلمه بالإضافة إلى ثمامة بن الأشرس الذي لازمه الجاحظ في بغداد.

- **في الاعتزال وعلم الكلام:** أبو الهذيل العلاَّف والنَّظَّام ومويس بن عمران وضرار بن عمر والكندي وبشر بن المعتمر الهلالي وثمامة بن أشرس النُّميري.

وثَمَّةَ علماء ومفكرون آخرون لا تقلُّ أهميَّتهم عن هؤلاء، والجاحظ ذاته لم يَغفل عن ذكر معظمهم.

وإذا ما أضفنا إلى ذلك أصالة الجاحظ ونبوغه وألمعيَّته واتِّقاد قريحته،

وجليل إسهامه وإبداعاته وجدناه يستحقُّ بجدارة كاملة كلَّ ما قاله فيه مريدوه ومحبُّوه والمعجبون به من تقريظات ساحرةٍ باهرةٍ، تكادُ تبدو لمن لم يطَّلع على آثار الجاحظ وحياته وفكره أنَّها محضُ مبالغاتٍ. ومما أورده ياقوت الحموي، ويوجز فيه لنا ما سبق بلفظ أنيقٍ وتعبير رشيقٍ قوله: «أبو عثمان الجاحظ، خطيبُ المسلمين، وشيخُ المتكلِّمين، ومَدْرَهُ المتقدمين والمتأخِّرين. إن تكلَّم حكى سحبان في البلاغة، وإن ناظر ضارع النَّظَّام في الجدال، وإن جدَّ خرج في مسك عامر بن عبد قيس، وإن هَزَلَ زاد على مزبد، حبيب القلوب، ومزاج الأرواح، وشيخ الأدب، ولسان العرب، كتبه رياضٌ زاهرةٌ، ورسائله أفنانٌ مثمرةٌ، ما نازعه منازعٌ إلا رشاه أنفاً، ولا تعرَّض له منقوصٌ إلا قدَّم له التَّواضع استبقاءً. الخلفاء تعرفه، والأمراء تصافيه وتنادمه، والعلماء تأخذ عنه، والخاصَّة تسلِّم له، والعامَّة تحبُّه. جَمَعَ بَيْنَ اللسان والقلم، وبَيْنَ الفطنة والعلم، وبين الرأي والأدب، وبين النثر والنظم، وبين الذكاء والفهم، طال عمره، وفشت حكمته، وظهرت خلَّته، ووطئ الرِّجال عقبه، وتهادوا أدبه، وافتخروا بالانتساب إليه

منهجه العلمي

انتهج الجاحظُ في كتبه ورسائله أسلوباً بحثيًّا أقلُّ ما يقال فيه إنَّهُ منهجُ بحث علميٍّ مضبوطٌ ودقيقٌ، يبدأ بالشَّك ليُعْرَضَ على النَّقد، ويمرُّ بالاستقراء على طريق التَّعميم والشُّمول بنزوعٍ واقعيٍّ وعقلانيٍّ، وهو «في تجربته وعيانه وسماعه ونقده وشكِّه وتعليله كان يطلع علينا في صورة العالم الذي يُعْمِلُ عقله في البحث عن الحقيقة، ولكنَّه استطاع برهافة حسِّه أن يسبغ على بحثه صبغة أدبيَّةً جماليَّة تُضفي على المعارف العلميَّة رواءً من الحسن والظَّرْف، يرفُّ بأجنحته المهفهفة رفيف العاطف الحاني على معطيات العلم في قوالبها الجافية، ليسيغها في الأذهان ويحببها إلى القلوب، وهذه ميزة قلَّت نظيراتها في التُّراث الإنساني.

الشك

لم يكتف أبو عثمان بالشَّك أساساً من أسس منهجه في البحث العلميِّ بل عَرَضَ لمكانة الشَّك وأهمِّيَّته من النَّاحية النَّظريَّة في كثيرٍ من مواضع كتبه، ومن أهم ما قاله في ذلك: »واعرف مواضع الشَّك وحالاتها الموجبة لها لتعرف بها مواضع اليقين والحالات الموجبة له، وتعلَّم الشَّك في المشكوك فيه تعلُّماً، فلو لم يكن في ذلك إلا تعرُّف التَّوقُّف ثُمَّ التَّثبُّت، لقد كان ذلك مما يُحتاج إليه. ثمَّ اعلم أنَّ الشَّكَّ في طبقاتٍ عند جميعهم، ولم يُجمعوا على أنَّ اليقين طبقات في القوَّة والضَّعف«.

تتبيَّنُ لنا من ذلك مجموعةٌ من النِّقاط المهمَّة التي تفصح عن أصالة الجاحظ وتجلو ملمحاً من ملامح عبقريَّته، فهو لم يرد الشَّكَّ لمحض الشَّك، ولا يقبل أن يكون الشَّكُّ كيفما اتَّفق ولا في كلِّ أمرٍ على حدٍّ سواء ولا بالطريقة ذاتها؛ إن الشَّك الجاحظيَّ، بهذا المعنى، لا يختلف البتة عن الشَّك المنهجيِّ عند الإمام الغزالي والفيلسوف الفرنسي رينيه ديكارت ـ Rene Descr-tes، فكلٌّ منهم أراد الشَّكَّ طلباً للحقيقة؛ الحقيقة الجلية الواضحة، التي لا تقبل تفاوتاً في الدَّرجات.

النقد

إنَّ تتبُّعَ كتب الجاحظ ورسائله يكشفُ لنا عن عقليَّة نقديَّة بارعة؛ نقديَّة بالمعنى الاصطلاحي المنهجي وبالمعنى الشَّائع للانتقاد، فنقده بالمعنى الشَّائع يتجلَّى أكثر ما يتجلَّى في تهكُّمه وتعليقاته السَّاخرة التي لم يسلم منها جانبٌ من جوانب المعرفة ولا مخطئٌ أمامه أو واصلٌ إليه خبره، ومن ذلك مثلاً تهكُّمه بالخليل بن أحمد الفراهيدي من خلال علم العروض الذي قال فيه: »العروض علمٌ مردود، ومذهبٌ مرفوض، وكلام مجهول، يستكدُّ العقول، بمستفعل ومفعول، من غير فائدة ولا محصول«.

أما نقده المنهجيُّ فما أكثر ما تجلَّى في كتبه ورسائله في تعامله مع مختلف الموضوعات المعرفيَّة؛ العلميَّة والأدبيَّة، ومن ذلك نقده لعلماء عصره ومحدِّثيه ورواته وفقهائه والعلماء السَّابقين، والشَّواهد على ذلك جدٌّ كثيرة، تجعلنا حقًّا في حيرة أمام اختيار واحد منها.

انتقد بعضهم اتجاه علماء الكلام نحو الأمور الطَّبيعية بالعناية والدِّراسة فقال: »لو كان بدلُ النَّظر فيهما النَّظرَ في التَّوحيد، وفي نفي التَّشبيه، وفي الوعد والوعيد، وفي التَّعديل والتَّجويد، وفي تصحيح الأخبار، والتَّفضيل بَيْنَ علم الطَّبائع والاختيار، لكان أصوب. فردَّ عليه الجاحظ ناقداً ادعاءه بقوله: العَجَبُ أنَّك عمدت إلى رجال لا صناعة لهم ولا تجارة إلا الدُّعاءُ إلى ما ذكرت، والاحتجاجُ لما وصفت، وإلاَّ وضع الكتب فيه والولايةُ والعداوةُ فيه، ولا لهم لذَّة ولا همٌّ ولا مذهبٌ ولا مجازٌ إلاَّ عليه وإليه؛ فحين أرادوا أن يقسِّطوا بَيْنَ الجميع بالحصص، ويَعْدلوا بين الكلِّ بإعطاء كلِّ شيءٍ نصيبه، حَتَّى يقع التَّعديلُ شاملاً، والتَّقسيط جامعاً، ويظهر بذلك الخفيُّ من الحكم، والمستور من التَّدبير، اعترضتَ بالتعنُّت والتَّعجُّب، وسطَّرت الكلام، وأطلت الخطب، من غير أن يكون صوَّب رأيك أديبٌ، وشايعك حكيمٌ«.

وبنظرة عجلى في آثار الجاحظ » فإنك تراهُ وهو يطلق العنان لقلمه في جلِّ كتبه ـ يزيِّف الخرافات والتُّرَّهات في عصره وقبل عصره، ويورد عليك نقداته ومباحثاته، فيقطع في نَفْسك أنَّه لو جاء كثيرٌ مثله في عقلاء العلماء لخلت كتب الأقدمين من السَّخافات، إذ إنَّ الجاحظ نفسه يقول: ومما لا أكتبه لك من الأخبار العجيبة التي لا يجسر عليها إلا كلُّ وقاح أخبار ولذلك ما أكثر ما كان يستفتح الأخبار المغلوطة أو الأسطورية بقوله زعم فلان، وزعموا، ثُمَّ يُعَقِّبُ بتحليله ونقده »بعقلٍ راجحٍ، ونظرٍ صائبٍ، وأسلوب سهلٍ عَذْبٍ متنوِّعٍ دقيق فكه، يَتَتَبَّعُ المعنى ويقلِّبه على وجوهه المختلفة، ولا يزال يولِّده حَتَّى لا يترك فيه قولاً لقائل«

التجريب والمعاينة

إذا كان النَّقد هو الخطوة اللاحقة على الشَّكّ فإنَّ المعاينة والتَّجريب هي الخطوةُ المقترنة بالنَّقد والمتلازمة معه، وخاصَّةً في مسائل العلم الطَّبيعي، والجاحظ لم ينس هذه الخطوة ولم يتناسها بل جعلها عماداً لازماً من أعمدة منهجه البحثي، وقد بدا ذلك في اتجاهين؛ أولهما قيامه هو ذاته بالمعاينة والتَّجريب، وثانيهما نقل تجارب أساتذته ومعاصريه.

وقد أجرى الجاحظ كما أخبرنا تجارب ومعاينات كثيرةً للتَّثبُّت من معلومة وصلت إليه، أو لنفي خبرٍ تناهى إلى سمعه ولم يستسغه عقله، والأمثلة على ذلك جدٌّ كثيرة نذكر منها تجربته في زراعة شجرة الآراك وقصَّته الطَّويلة معها للتَّأكُّد مما قيل عن تكاثر الذَّرِّ عليها ويصف لنا بُرنيَّةَ زجاجٍ وُضِع فيها عشرون فأراً مع عشرين عقرب، وما فعلته العقارب بالفئران وكذلك عندما أجمع أناس، بينهم طبيبٌ، على أنَّ الجمل إذا نُحر ومات والتمست خصيته وشقشقته فإنهما لا توجدان، فأرسل إلى جزَّار أن يأتيه بالخصية والشقشقة إذا نحر جملاً، ففعل، فلم يكتف بذلك، فبعث إليه رسولاً يقول: »ليس يشفيني إلا المعاينة« ففعل ودحض هذا الادعاء ولجأ أيضاً إلى تجريب بعض المواد الكيماويَّة في الحيوان ليعلم مبلغ تأثيرها فيها، وليتأكَّد مما قيل في ذلك ومما أورده من تجارب غيره تجربة أستاذه النَّظَّام عندما سقى الحيوانات خمراً ليعرف كيف يؤثِّر الخمر في الحيوان، ولم يكتف بنوعٍ واحدٍ بل جرَّب على عددٍ كبيرٍ من الحيوانات كالإبل والبقر والجواميس والخيل والبراذين والظِّباء والكلاب والسَّنانير والحيَّات وغيرها.

أما عن منهجه في معرفة الحلال والحرام فيقول : "إنما يعرف الحلال والحرام بالكتاب الناطق، وبالسنة المجمع عليها، والعقول الصحيحة، والمقاييس المعينة" رافضًا بذلك أن يكون اتفاق أهل المدينة على شيء دليلاً على حله أو حرمته؛ لأن عظم حق البلدة لا يحل شيئا ولا يحرمه، ولأن أهل

المدينة لم يخرجوا من طباع الإنس إلى طبائع الملائكة" وليس كل ما يقولونه حقًا وصوابًا".

فقد كان الجاحظ لسان حال المعتزلة في زمانه، فرفع لواء العقل وجعله الحكم الأعلى في كل شيء، ورفض من أسماهم بالنقليين الذين يلغون عقولهم أمام ما ينقلونه ويحفظونه من نصوص القدماء، سواء من ينقلون علم أرسطو، أو بعض من ينقلون الحديث النبوي.

فإذا كان بعض فلاسفة الشرق والغرب فد وقفوا أمام أرسطو موقف التلميذ المصدق لكل ما يقوله الأستاذ فإن الجاحظ وقف أمام أرسطو عقلا لعقل؛ يقبل منه ما يقبله عقله، ويرد عليه ما يرفضه عقله، حتى إنه كان يسخر منه أحيانا.. ففي كتابه الحيوان يقول الجاحظ عن أرسطو وهو يسميه صاحب المنطق: "وقال صاحب المنطق: ويكون بالبلدة التي تسمى باليونانية "طبقون"، حية صغيرة شديدة اللدغ إلا أنها تُعالج بحجر يخرج من بعض قبور قدماء الملوك-، ولم أفهم هذا ولمَ كان ذلك؟!"

ويقول الجاحظ: "زعم صاحب المنطق أن قد ظهرت حية لها رأسان، فسألت أعرابيًا عن ذلك فزعم أن ذلك حق، فقلت له: فمن أي جهة الرأسين تسعى؟ ومن أيهما تأكل وتعض؟ فقال: فأما السعي فلا تسعى؛ ولكنها تسعى على حاجتها بالتقلب كما يتقلب الصبيان على الرمل، وأما الأكل فإنها تتعشى بفم وتتغذى بفم، وأما العض فأنها تعض برأسيها معًا. فإذا هو أكذب البرية".

وفاته

ويتحدّث كتّاب السير عن نهايته في عام ٨٦٨ م الموافق لسنة(٢٥٥) هـ وقد نيف على التسعين سنة. وله مقالة في أصول الدين وإليه تنسب الجاحظية. وقد هدّه شلل أقعده وشيخوخة صالحة، عندما كان جالسا في مكتبته يطالع بعض الكتب المحببة إليه، فوقع عليه صف من الكتب اردته ميتاً، لقد مات الجاحظ مدفونا بالكتب، مخلفاً وراءه كتباً ومقالات وافكاراً ما زالت خالدةً حتى الآن.

كتبـــــه

البيان والتبيين في أربعة أجزاء،

كتاب الحيوان في ثمانية أجزاء

البخلاء

المحاسن والأضداد

العديد من الرسائل التي حقق بعضا منها الدكتور عبد السلام هارون وطبعت تحت عنوان(رسائل الجاحظ)

البرصان والعرجان

التاج في أخلاق الملوك

الآمل والمأمول

التبصرة في التجارة

البغال

فضل السودان على البيضان

كتاب البخلاء

كتاب البخلاء، وهو كتاب ادب وعلم وفكاهة. وهو من أنفس الكتب التي يتنافس فيها الادباء والمؤرخون. فلا نعرف كتابا يقوقه للجاحظ، ظهرت فيه روحه الخفيفة تهز الارواح، وتجتذب النفوس. ولا نعرف كتابا يفوقه للجاحظ، تجلى فيه أسلوبه الفياض، وبيانه الجزل الرصين، وقدرته النادرة، على صياغة النادرة، في اوضح بيان، وادق تعبير، وابرع وصف. ولا نعرف كتابا غيره للجاحظ أو لغيره، وصف الحياة الاجتماعية في صدر الدولة العباسية كما وصف: فقد اطلعنا على اسرار الاسر، ودخائل المنازل، واسمعنا حديث القوم في شؤونهم الخاصة والعامة، وكشف لنا عن كثير من عاداتهم وصفاتهم وأحوالهم.

وقد كان الذي يغلب على الظن ان يكون الجاحظ قد كتب (كتاب البخلاء) وهو في سن الشباب، وابان الفتوة، لان هذه السن في الغالب سن العبث والسخرية، والتندر والدعابة، والتفكه بعيوب الناس. ولكنا نقرأ في كتاب البخلاء من الأخبار ما يحملنا على انه كتب الكتاب أو جمعه وهو هرم، يحمل فوق كتفيه اعباء السنين.

والجاحظ يشير في طليعة كتاب البخلاء انه قدمه إلى عظيم من عظماء الدولة، ولكنه لم يبح باسمه. واننا نرجح ان يكون الكتاب كتب لواحد من ثلاثة، هم: محمد ابن عبد الملك الزيات، وزير المعتصم والواثق، لما كان بينه وبين الجاحظ من وثيق الصلة، والفتح بن خاقان وزير المتوكل، لما اثر عن الفتح من الاعجاب بكتب الجاحظ، وحثه على التأليف في مختلف الشؤون، وابن المدبر، وقد كان للجاحظ صديقا حميما.

وقد صور الجاحظ في كتابه البخلاء الذين قابلهم وتعرفهم في بيئته الخاصة خاصة في بلدة مرو عاصمة خراسان، وقد صور الجاحظ البخلاء تصويراً واقعياً حسياً نفسياً فكاهياً، فأبرز لنا حركاتهم ونظراتهم القلقة أو المطمئنة ونزواتهم النفسية، وفضح أسرارهم وخفايا منازلهم واطلعنا على مختلف أحاديثهم، وأرانا نفسياتهم وأحوالهم جميعاً، ولكنه لا يكرهنا بهم لأنه لا يترك لهم أثراً سيئاً في نفوسنا.

- وقصص الكتاب مواقف هزلية تربوية قصيرة.

- والكتاب دراسة اجتماعية تربوية نفسية اقتصادية لهذا الصنف من الناس وهم البخلاء.

ولكتاب البخلاء أهمية علمية حيث يكشف لنا عن نفوس البشر وطبائعهم وسلوكهم علاوة على احتوائه على العديد من أسماء الأعلام والمشاهير والمغمورين وكذلك أسماء البلدان والأماكن وصفات أهلها والعديد من أبيات الشعر والأحاديث والآثار فالكتاب موسوعة علمية أدبية اجتماعية جغرافية تاريخية

ثالثا : مصطفى صادق الرافعي

نسبه

اسمه كما هو معروف لنا مصطفى صادق الرافعي، وأصله من مدينة طرابلس في لبنان وما زالت أسرة الرافعى موجودة فيها حتى الآن ,أما الفرع الذي جاء إلى مصر من اسرة الرافعى فإن الذي اسسه هو الشيخ محمد الطاهر الرافعي الذي وفد إلى مصر سنة ١٨٢٧ ليتولى قضاء المذهب الحنفي أي مذهب أبي حنيفة النعمان بأمر من السلطان العثمانى حيث كانت مصر حتى ذلك الحين ولاية عثمانية.

كما يقال ان نسب أسرة الرافعي يمتد إلى عمر بن عبد الله بن عمر بن الخطاب وقد جاء بعد الشيخ محمد طاهر الرافعى عدد كبير من اخوته وأبناء عمه ,وبلغ عدد أفراد أسرة الرافعى في مصر حين وفاة مصطفي صادق الرافعى سنة ١٩٣٧ ما يزيد على ستمائة فرد.

كما يقول محمد سعيد العريان في كتابه "حياة الرافعى" . "وكان العمل الرئيسى لرجال أسرة الرافعى هو القضاء الشرعى حتى وصل الامر إلى الحد الذي اجتمع فيه من آل الرافعى أربعون قاضيا في مختلف المحاكم الشرعية المصرية في وقت واحد وأوشكت وظائف القضاء والفتوى ان تكون مقصورة على آل الرافعى وقد تنبه اللورد كرومر إلى هذه الملاحظة فأثبتها في بعض تقاريره إلى وزارة الخارجية الإنجليزية، لأنها كانت ظاهرة ملفتة للنظر وتحتاج إلى تفكير وتأمل.

كان والد الرافعى هو الشيخ عبد الرازق الرافعى الذي تولى منصب القضاء الشرعى في كثير من أقاليم مصر وكان آخر عمل له هو رئاسة محكمة طنطا الشرعية. أما والدة الرافعى فكانت سورية الاصل كأبيه وكان أبوها الشيخ الطوخى، وهو تاجر تسير قوافله بالتجارة بين مصر والشام، واصله من حلب، وكانت اقامته في بهتيم من قرى محافظة القليوبية، وكان له فيها ضيعة.

ولد مصطفى صادق الرافعي في يناير سنة ١٨٨٠ وآثرت أمه أن تكون ولادته في بيت أبيها. دخل الرافعي المدرسة الابتدائية ونال شهادتها ثم أصيب بمرض يقال انه التيفود أقعده عدة شهور في سريره وخرج من هذا المرض مصابا في أذنيه وظل المرض يزيد عليه عاما بعد عام حتى وصل إلى الثلاثين من عمره وقد فقد سمعه بصورة نهائية. لم يحصل الرافعى في تعليمه النظامى على أكثر من الشهادة الابتدائية. معنى ذلك أن الرافعى كان مثل العقاد في تعليمه ,فكلاهما لم يحصل على شهادة غير الشهادة الابتدائية. كذلك كان الرافعى مثل طه حسين صاحب عاهة دائمة هي فقدان البصر عند طه حسين وفقدان السمع عند الرافعى ومع ذلك فقد كان الرافعى مثل زميليه العقاد وطه حسين من اصحاب الارادة الحازمة القوية فلم يعبأ بالعقبات، وإنما اشتد عزمه وأخذ نفسه بالجد والاجتهاد ,وعلم نفسه بنفسه حتى استطاع ان يكتسب ثقافة رفيعة وضعته في الصف الأول من أدباء عصره ومفكريه.

حياته

تزوج الرافعى في الرابعة والعشرين من أخت صديقه الأديب الأستاذ عبد الرحمن البرقوقى صاحب مجلة البيان وصاحب أفضل شرح لديوان المتنبي, وأنجب من زواجه عشرة أبناء. اضطره المرض إلى ترك التعليم الرسمي، واستعاض عنه بمكتبة أبيه الزاخرة، إذ عكف عليها حتى استوعبها وأحاط بما فيها. عمل في عام ١٨٩٩ ككاتب محكمة في محكمة طخا، ثم انتقل إلى محكمة طنطا الشرعية، ثم إلى المحكمة الأهلية، وبقي فيها حتى لقي وجه ربه الكريم.

على أن الرافعى لم يستمر طويلا في ميدان الشعر فقد انصرف عن الشعر إلى الكتابة النثرية وعندما نتوقف أمام ظاهرة انصرافه عن الشعر نجد أنه كان على حق في هذا الموقف فرغم ما أنجزه في هذا الميدان الأدبي من نجاح ورغم أنه استطاع أن يلفت الأنظار إلا أنه في الواقع لم يكن يستطيع أن يتجاوز المكانة التي وصل إليها الشعراء الكبار في عصره وخاصة أحمد شوقي وحافظ

إبراهيم فقد أعطى هذا الشعران التعبير عن مشاعر الناس وهمومهم في هذا الجيل.

تميز شعر حافظ إبراهيم وأحمد شوقي بالسهولة والغزارة مما اتاح لهما القدرة على الانتشار بين القراء حتى لو كان هولاء القراء متوسطين في ثقافتهم فأين يذهب الرافعى في هذه المعركة الكبيرة وشعره لم يكن شعرا سهلا بل كان شعرا صعبا يحتاج إلى ثقافة أدبية ولغوية عالية لكى يفهمه من يقرأه ولكى يتذوقه بعد ذلك ويستمتع به.

لعل الرافعى هو من اطلق أول صرخة اعتراض على الشعر العربى التقليدى في أدبنا فقد كان يقول: "ان في الشعر العربى قيودا لا تتيح له أن ينظم بالشعر كل ما يريد أن يعبر به عن نفسه" وهذه القيود بالفعل هي الوزن والقافية. كانت وقفة الرافعى ضد قيود الشعر التقليدية أخطر وأول وقفة عرفها الأدب العربي في تاريخه الطويل وأهمية هذه الوقفة أنها كانت حوالي سنة ١٩١٠ أي في أوائل هذا القرن وقبل ظهور معظم الدعوات الادبية الأخرى التي دعت إلى تحرير الشعر العربى جزئيا أو كليا من الوزن والقافية.

الميدان الأول الذي انتقل إليه الرافعى الذي كان مقيدا بالوزن والقافية هو ميدان النثر الشعرى الحر في التعبير عن عواطفه العتيقة التي كانت تملأ قلبه ولا يتعداها إلى تصرفات تخرج به عن حدود الالتزام الاخلاقي والديني كما كان يتصوره. أما الميدان الثاني الذي خرج إليه الرافعى فهو ميدان الدراسات الادبية وأهمها كان كتابه عن "تاريخ اداب اللغة العربية" وهو كتاب بالغ القيمة ولعله كان أول كتاب في موضوعه يظهر في العصر الحديث لأنه ظهر في أوائل القرن العشرين وبالتحديد سنة ,١٩١١ ثم كتب الرافعى بعد ذلك كتابه المشهور "تحت راية القرآن" وفيه يتحدث عن اعجاز القرآن. ويرد على آراء الدكتور طه حسين في كتابه المعروف باسم "الشعر الجاهلى".

يأتى الميدان الأخير الذي تجلت فيه عبقرية الرافعي ووصل فيه إلى مكانته العالية في الأدب العربي المعاصر والقديم وهو مجال المقال والذي أخلص له

الرافعى في الجزء الأخير من حياته وأبدع فيه ابداعا عجيبا وهذه المقالات التي جمعها الرافعى في كتابه "وحي القلم" .

مؤلفاته

١- تاريخ آداب العرب (ثلاثة أجزاء)، صدرت طبعته الأولى في جزأين عام ١٣٢٩ هـ، ١٩١١م. وصدر الجزء الثالث بعد وفاته بتحقيق محمد سعيد العريان وذلك عام ١٣٥٩ هـ الموافق لعام ١٩٤٠م.

٢- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية (وهو الجزء الثاني من كتابه تاريخ آداب العرب)، وقد صدرت طبعته الأولى باسم إعجاز القرآن والبلاغة النبوية عام ١٩٢٨م.

٣- كتاب المساكين، صدرت طبعته الأولى عام ١٩١٧م.

٤- السحاب الأحمر.

٥- حديث القمر.

٦- رسائل الرافعي، وهي مجموعة رسائل خاصة كان يبعث بها إلى محمود أبي رية، وقد اشتملت على كثير من آرائه في الأدب والسياسة ورجالهما.

٧- تحت راية القرآن، مقالات الأدب العربي في الجامعة، والرد على كتاب في الشعر الجاهلي لطه حسين.

٨- على السفود، وهو رد على عباس محمود العقاد.

٩- وحي القلم، (ثلاثة أجزاء) وهو مجموعة فصول ومقالات وقصص كتب المؤلف أكثره لمجلة الرسالة القاهرية بين عامي ١٩٣٤- ١٩٣٧م. وفيها:

١- اليمامتان

٢- الطفولتان

٣- في الربيع الأزرق

٤- لحب الأول

١٠- وراق الورد.

١١- رسائل الأحزان.

١٢- ديوان الرافعي (ثلاثة أجزاء) صدرت طبعته الأولى عام ١٩٠٠م.

١٣- ديوان النظرات (شعر) صدرت طبعته الأولى عام ١٩٠٨م.

وفاتــه

في يوم الاثنين العاشر من مايو لعام ١٩٣٧ استيقظ فيلسوف القرآن لصلاة الفجر، ثم جلس يتلو القرآن، فشعر بحرقة في معدته، تناول لها دواء، ثم عاد إلى مصلاه، ومضت ساعة، ثم نهض وسار، فلما كان بالبهو سقط على الأرض، ولما هب له أهل الدار، وجدوه قد فاضت روحه الطيبة إلى بارئها، وحمل جثمانه ودفن بغد صلاة الظهر إلى جوار أبويه في مقبرة العائلة في طنطا. مات مصطفي صادق الرافعي عن عمر يناهز ٥٧ عاماً.

يذكر أنه ألف النشيد الرسمي التونسي الذي لا يزال معمولا به إلى يومنا هذا وهو النشيد المعروف بحماة الحمى.

رابعا : الدكتور /زغلول النجار

ولد الدكتور زغلول راغب محمد النجار في قرية مشاري، مركز بسيون بمحافظة الغربية في ١٧ نوفمبر عام ١٩٣٣م. حفظ القرآن الكريم منذ الصغر على يد والده الذي كان يعمل مدرسًا بإحدى مدارس المركز. وقد حرص الوالد دائمًا على غرس القيم الدينية والأخلاقية في حياة أبنائه.. حتى إنه كان يعطي للأسرة درسًا في السيرة أو الفقه أو الحديث على كل وجبة طعام.. يذكر الدكتور عن والده عادة غريبة أثناء تسميعه القرآن لأبنائه؛ حيث

كـان يرد الخطأ حـتى ولو كـان في نعـاس تام. . فلم يكن غـريبًـا إذًا أن ينشـأ الدكتور زغلول النجار بقلب متعلق بالإيمان بالله والدعوة في سبيله. تدرج الفتى زغلول في مراحل التعليم حتى التحق بكليته، كلية العلوم بجامعة القاهرة في عام ١٩٥١م، ثم تخرج في قسم الجيولوجيا بالكلية في عام ١٩٥٥م حاصلاً على درجة بكالوريوس العلوم بمرتبة الشرف وكان أول دفعته.

في شبابه. . تأثر الشاب زغلول النجار بالفكرة الإسلامية التي تواجدت بقوة على الساحة في ذلك الوقت. . وهي الفكرة التي قامت على يد 'الشيخ حسن البنا' الذي أسس جماعة 'الإخوان المسلمون' في عام ١٩٢٨م. . إلا أن انتمائه لهذه الفكرة أثَّر على مسيرة حياته؛ فلم يُعَيَّن الدكتور زغلول - الحاصل على مرتبة الشرف وأول دفعته ?معيدًا بجامعة القاهرة، ومن ثَمَّ التحق بعدة وظائف في الفترة ما بين ١٩٥٥م إلى ١٩٦٣م؛ حيث التحق بشركة صحارى للبترول لمدة ٥ أشهر، ثم بالمركز القومي للبحوث ٥ أشهر أخرى. . حتى انضم إلى مناجم الفوسفات في وادي النيل (من إسنا إلى إدفو) لمدة ٥ أعوام؛ حيث أثبت الدكتور تفوقًا ملحوظًا، وتمَّ إنتاج الفوسفات في مناجم 'أبو طرطور' في خلال ٦ أشهر فقط، وخرجت شحنات تجارية تقدر بمليارات الجنيهات. . ولم تنتج هذه المناجم مثل هذه الكمية بعد ذلك حتى هذا الوقت. وفي احتفالية فريق العمل بمناجم الفوسفات بهذا الإنجاز، كانت الإشادة بتفوق الشاب زغلول النجار ودوره في هذا النجاح، وعرفه رئيس اتحاد العمال في كلمته قائلاً 'عندنا شخصية جيدة تجمع العمال على قلب رجل واحد'، ولكنه بدلاً من أن يلقى التكريم اللائق كشاب وطني نابغ في مهنته، 'فصل' من وظيفته. . لنفس الأسباب السياسية الفكرية. . وهكذا. . لم يثبت الدكتور زغلول في وظيفة من أي من هذه الوظائف فترات طويلة. . وإنما الثبات كله كان في قلبه المتعلق بالإيمان المضحي في سبيل فكرته. . والتحق الدكتور زغلول بمناجم الذهب بالبرامية. . حتى لاحت له الفرصة للالتحاق بجامعة عين شمس معيدًا بقسم الجيولوجيا بشرط عدم تلاحمه مع الطلاب أو التقصير في أي من محاضراته. . وبالفعل التزم

الدكتور زغلول بهذه الشروط.. حتى كان يوم زيارة رئيس الحكومة في ذلك الوقت للجامعة.. وحيث إن الدكتور زغلول لم يُبَلَّغ ولم يعلم من قبل بهذه الزيارة.. حافظ على محاضرته والتزم بتدريسها.. ففصل بعد سنة واحدة من تعيينه في الجامعة، فانتقل للعمل بمشروع للفحم بشبه جزيرة سيناء.

وفي عام ١٩٥٩م لاحت أول انطلاقة حقيقية للدكتور زغلول النجار في إثبات ذاته، حيث دعي من جامعة آل سعود بالرياض إلى المشاركة في تأسيس قسم الجيولوجيا هناك. ومن المملكة السعودية استطاع السفر إلى إنجلترا.. وحصل هناك على درجة 'الدكتوراه في الفلسفة' في الجيولوجيا من جامعة ويلز ببريطانيا عام ١٩٦٣م، ثم رشحته الجامعة.. لاستكمال أبحاث ما بعد الدكتوراه من خلال منحة علمية من جامعته.. Robertson, Post-Doctoral Re-search fellows ويذكر الدكتور زغلول أنه حينما حاولت إدارة البعثات المصرية الرفض، بعث أستاذه الإنجليزي الذي كان نسيبًا لملكة بريطانيا بخطاب شديد اللهجة إلى البعثات قال فيه: إنه لا يوجد من يختلف على أن الدكتور زغلول هو أحق الدارسين بهذه المنحة التي تمنح لفرد واحد فقط، وهدَّد أن بريطانيا لن تقبل أي طالب مصري بعد ذلك إذا لم يقبل الدكتور زغلول في هذه المنحة.. فبالطبع كانت الموافقة.

'موقف لا يُنسى في رحلته'

في أكتوبر من عام ١٩٦١م، كانت الباخرة التي ستقل الدكتور زغلول إلى إنجلترا راسية على ميناء بور سعيد.. وفي أثناء إنهاء إجراءات السفر فوجئ الدكتور بأنه ممنوع من السفر، وأن الشخص الوحيد الذي يستطيع إلغاء هذا القرار هو مدير جوازات بور سعيد.. والذي لم يكن موجودًا في ذلك الوقت.. فكان الدكتور زغلول النجار وأخوه محمد النجار في سباق مع الزمن الذي لم يبق منه إلا القليل.. ذهبا إلى البيت فلم يجداه.. ثم توجها إلى مستشفي الولادة ببور سعيد حين علما بأنه هناك مع زوجته وهي في حالة وضع.. 'كان ضابطًا شهمًا' كما يصفه الدكتور زغلول وقال لهما: 'إن

زوجتي اليوم كتبت لها حياة جديدة؛ ولذلك ستسافر، وليكن ما يكون' .. أصدر الضابط أوامره إلى السفينة التي كانت تحركت بالفعل للوقوف في عرض البحر.. واستقل الثلاثة قاربًا صغيراً في جنح الظلام.. وأنزلت السلالم من السفينة في مشهد من جميع ركابها.. يقول د. زغلول 'لم أتخيل ارتفاعًا أكبر من ذلك في حياتي'، وهكذا كتب للدكتور زغلول السفر إلى إنجلترا.

أبحاثه العلمية

في إنجلترا قدم الدكتور زغلول في فترة تواجده بإنجلترا أربعة عشر بحثًا في مجال تخصصه الجيولوجي، ثم منحته الجامعة درجة الزمالة لأبحاث ما بعد الدكتوراة (١٩٦٣م - ١٩٦٧م).. حيث أوصت لجنة الممتحنين بنشر أبحاثه كاملة.. وهناك عدد تذكاري مكون من ٦٠٠ صفحة يجمع أبحاث الدكتور النجار بالمتحف البريطاني الملكي.. طبع حتى الآن سبع عشرة مرة.. عودة إلى البلاد العربية انتقل الدكتور زغلول بعد ذلك إلى 'الكويت'؛ حيث شارك في تأسيس قسم الجيولوجيا هناك عام ١٩٦٧م، وتدرج في وظائف سلك التدريس حتى حصل على الأستاذية عام ١٩٧٢م، وعُيِّن رئيسًا لقسم الجيولوجيا هناك في نفس العام.. ثم توجه إلى قطر عام ١٩٧٨م إلى عام ١٩٧٩م، وشغل فيها نفس المنصب السابق. وقد عمل قبلها أستاذاً زائراً بجامعة كاليفورنيا لمدة عام واحد في سنة ١٩٧٧م.

نشر للدكتور زغلول ما يقرب من خمسة وثمانين بحثًا علميًا في مجال الجيولوجيا، يدور الكثير منها حول جيولوجية الأراضي العربية كمصر والكويت والسعودية.. من هذه البحوث: تحليل طبقات الأرض المختلفة في مصر - فوسفات أبو طرطور بمصر - البترول في الطبيعة - احتياطي البترول - المياه الجوفية في السعودية - فوسفات شمال غرب السعودية - الطاقة المخزونة في الأراضي السعودية - الكويت منذ ٦٠٠ مليون عام مضت. ومنها أيضًا: مجهودات البشر في تقدير عمر الأرض، الإنسان والكون - علم

التنجيم أسطورة الكون الممتد - منذ متى كانت الأرض؟ - زيادة على أبحاثه العديدة في أحقاب ما قبل التاريخ (العصور الأولى) كما نشر للدكتور زغلول ما يقرب من أربعين بحثًا علميًا إسلاميًا، منها: التطور من منظور إسلامي - ضرورة كتابة العلوم من منظور إسلامي - العلوم والتكنولوجيا في المجتمع الإسلامي - مفهوم علم الجيولوجيا في القرآن - قصة الحجر الأسود في الكعبة - حل الإسلام لكارثة التعليم - تدريس الجيولوجيا بالمستوى الجامعي اللائق.. وله عشرة كتب: منها الجبال في القرآن، إسهام المسلمين الأوائل في علوم الأرض، أزمة التعليم المعاصر، قضية التخلف العلمي في العالم الإسلامي المعاصر، صور من حياة ما قبل التاريخ.. وغيرها. كما كان له بحثان عن النشاط الإسلامي في أمريكا والمسلمون في جنوب إفريقيا.. هذا بالطبع بجانب أبحاثه المتميزة في الإعجاز العلمي في القرآن، والذي يميز حياة د. زغلول النجار. بلغت تقاريره الاستشارية والأبحاث غير المنشورة ما يقرب من أربعين بحثًا. وأشرف حتى الآن على أكثر من ثلاثين رسالة ماجستير ودكتوراة في جيولوجية كل من مصر والجزيرة العربية والخليج العربي. رسم د. النجار أول خريطة جيولوجية لقاع بحر الشمال.. وحصل على عدة جوائز منها 'جائزة أحسن بحوث مقدمة لمؤتمر البترول العربي عام ١٩٧٥م، وجائزة مصطفي بركة للجيولوجيا'.

تزوج الدكتور زغلول في عام ١٩٦٨م ورُزِقَ منها بولدين توفاهما الله سبحانه وتعالى.

- الآن، يشرف الدكتور زغلول على معهد للدراسات العليا بإنجلترا تحت اسم: Markfield Institute of Higher Education وهو معهد تحت التأسيس يمنح درجة الماجستير أو الدكتوراة في مجالات إسلامية كثيرة مثل الاقتصاد، والمال والبنوك، والتاريخ الإسلامي، والفكر الإسلامي المعاصر، والحركات المعاصرة، والمرأة وحركات تحررها.. إلخ.

- د. زغلول عضو في العديد من الجمعيات العلمية المحلية والعالمية منها:

لجنة تحكيم جائزة اليابان الدولية للعلوم، وهي تفوق في قدرها جائزة نوبل للعلوم. . واختير عضواً في تحرير بعض المجلات في نيويورك وباريس. . ومستشاراً علميًا لمجلة العلوم الإسلامية Islamic science التي تصدر بالهند. . وغيرها. . وقد عُيِّن مستشاراً علميًا لعدة مؤسسات وشركات مثل مؤسسة روبرستون للأبحاث البريطانية، شركة ندا الدولية بسويسرا وبنك دبي الإسلامي بالإمارات. . وقد شارك في تأسيس كل من بنك دبي وبنك فيصل المصري وبنك التقوى وهو عضو مؤسس بالهيئة الخيرية الإسلامية بالكويت. .

الدكتور زغلول عالمًا داعيًا

للدكتور زغلول النجار اهتمامات واسعة متميزة ومعروفة في مجال 'الإعجاز العلمي في القرآن الكريم'، حيث يرى أنه وسيلة هامة وفعالة في الدعوة إلى الله عز وجل، ويقول عن تقصير علماء المسلمين تجاه هذه الرسالة: 'لو اهتم علماء المسلمين بقضية الإعجاز العلمي وعرضوها بالأدلة العلمية الواضحة لأصبحت من أهم وسائل الدعوة إلى الله عز وجل'، ويرى أنهم هم القادرون وحدهم بما لهم من دراسة علمية ودينية على الدمج بين هاتين الرسالتين وتوضيحهما إلى العالم أجمع. . لذلك اهتم الدكتور زغلول بهذه الرسالة النابعة من مرجعيته العلمية والدينية في فكره، منذ شبابه. جاب د. زغلول البلاد طولاً وعرضًا داعيًا إلى الله عز وجل. . ولا يذكر أن هناك بلدًا لم يتحدث فيه عن الإسلام من خلال الندوات والمؤتمرات أو عبر شاشات التلفزة، أو حتى من خلال المناظرات التي اشتهرت عنه في مجال مقارنة الأديان.

يوجه د. زغلول حديثه إلى كل شاب وفتاة بأن عليهم فَهْم هذا الدين، وحمل تعاليمه إلى الناس جميعًا؛ فيقول في إحدى محاضراته: 'نحن المسلمون بأيدينا الوحي السماوي الوحيد المحفوظ بحفظ الله كلمة كلمة وحرفًا حرفًا قبل أربعة عشر قرنًا من الزمان، وأنا أؤكد على هذا المعنى؛ لأني أريد لكل شاب وكل شابة مسلمة أن يخرج به مسجلاً في قلبه وفي عقله؛ ليشعر بمدى الأمانة التي يحملها على كتفيه'. كما يؤمن د. زغلول بأن علينا

تسخير العلم النافع بجميع إمكاناته، وأن أحق من يقوم بهذا هو العالم المسلم: 'فنحن نحيا في عصر العلم، عصر وصل الإنسان فيه إلى قدر من المعرفة بالكون ومكوناته لم تتوفر في زمن من الأزمنة السابقة؛ لأن العلم له طبيعة تراكمية، وربنا سبحانه وتعالى أعطى الإنسان من وسائل الحس والعقل ما يعينه على النظر في الكون واستنتاج سنن الله'، ويقول في موضع آخر: (ولما كانت المعارف الكونية في تطور مستمر، وجب على أمة الإسلام أن ينفر في كل جيل نفر من علماء المسلمين الذين يتزودون بالأدوات اللازمة للتعرض لتفسير كتاب الله). إلا أن د. زغلول وبرغم اهتمامه الشديد بما في القرآن من إعجاز علمي، يؤكد أنه كتاب هداية للبشر وليس كتابًا للعلم والمعرفة موضحًا ذلك في قوله: (أشار القرآن في محكم آياته إلى هذا الكون ومكوناته التي تحصى بما يقارب ألف آية صريحة، بالإضافة إلى آيات تقترب دلالتها من الصراحة.. وردت هذه الآيات من قبيل الاستشهاد على بديع صنع الله سبحانه وتعالى، ولم ترد بمعنى أنها معلومة علمية مباشرة تعطى للإنسان لتثقيفه علميًا)، ويدعو د. زغلول دائمًا إلى أن يهتم كل متخصص بجزئيته في الإعجاز العلمي ولا يخوض فيما لا يعلم (أما الإعجاز العلمي للآيات الكونية فلا يجوز أن يوظف فيه إلا القطعي من الثوابت العلمية، ولا بد للتعرض لقضايا الإعجاز من قبل المتخصصين كلٌّ في حقل تخصصه). تحية من الجيل.. تحية من كل شاب مسلم وفتاة مسلمة.. عمَّا قدمه عالمنا للعلم والحياة والإنسان.. ويقف إعجازه العلمي إعجازًا لا يُنْكَر من أي عالم يقدر العلم والعلماء..

خاتمـــة

في خاتمة هذا الكتاب نرصد النتائج التالية:

١- القرآن الكريم هو المعجزة الكبرى للنبي (ﷺ)، أعجز الجميع عن أن يأتى بشيء مثله، ومدارسة جوانب الإعجاز فيه ليس المقصود منها تعجيز البشر لذات التعجيز، لأن ذلك معلوم لدى كل عاقل، وإنما الغرض من تلك المدارسة إظهار أن هذا الكتاب حق، وأن الرسول الذي جاء به رسول صادق.

٢- من نتائج المتابعة التاريخية لمصطلح "الإعجاز القرآني" كعلم، أنه لم يكن معروفاً في القرون الهجرية الثلاثة الأولى من خلال كتاب نظم القرآن للجاحظ، وإعجاز القرآن لمحمد بن يزيد الواسطى.... وغيرهما.

٣- من أسباب عدم تعرض الناس في ذلك الوقت لقضية الإعجاز إيمانهم المطلق وإدراكهم العميق أن هذا القرآن معجزة الرسول (ﷺ) التى أيده الله عز وجل بها مما يجعله ليس مجالاً للبحث، لأن الخوض في مسائله دقيق وخطير، وثمة سبب آخر: أن القوم ممن أدركوا النبي (ﷺ) ومن جاء بعدهم من السلف كانوا عرب الألسن فأدركوا بفطرتهم السليمة وذوقهم اللغوى العربى الفصيح الصحيح بلاغة القرآن وإعجازه، مما أغناهم عن المسألة في معانيه وعن الكلام فيه وفي إعجازه.

٤- اتجهت دراسة الإعجاز القرآني في أول أمرها وجهة أخرى غير البحث في وجوه الإعجاز، ألا وهى: الدفاع عن القرآن ونفي ما أثاره الطاعنون فيه من أكاذيب وأباطيل، فاتجهت جهودهم نحو دراسة المجاز في القرآن كجزء من صوره التعبيرية ليدللوا من خلال ذلك على بلاغة القرآن وفصاحته وأنه لم يخالف سنن العرب في طرائق التعبير.

٥- سارت مسيرة التأليف في الإعجاز القرآني في طريق الرد على الأسئلة المتعلقة بكلمة أو خاطرة أو فهم لآية معينة بمنطق رد الفعل، مما يمكن أن يسمى: تسامح التحديد الاصطلاحي، مثل مؤلفات أبى عبيدة، والجاحظ وابن قتيبة وغيرهم.

٦- تطور التأليف في الإعجاز القرآني إلى كثير من الدقة العلمية التى حددت المصطلح بتعريفاته وتفريعاته، وسارت هذه السفينة في خضم بحر لجى يحمل هموم حضارة إسلامية بكاملها تجابه قوات مناوئة تحاول أن تشوه وجه هذه الحضارة بكل ما أوتيت من لدد وافتئات.

٧- للإعجاز القرآني وجوه كثيرة منها: الإعجاز البيانى والبلاغى، والإعجاز التشريعى، والإعجاز النفسى، والإعجاز اللفظى، والإعجاز العددى، والإعجاز العلمي... إلخ ولكل وجه من هذه الوجوه أثره البالغ في ميدان العمل الدعوى، سواء كان ذلك على الدعوة أو الداعية أو المدعوين.

٨- يمثل الإعجاز العلمي للقرآن في هذا العصر وجهاً مهماً للكشف عن حقيقة القرآن ودعوة الناس للإسلام، فإذا كانت البشرية قسمين: منها ما هو عربى تلزمه الحجة باللسان العربى للقرآن، والقسم الثاني: أعجمي، تلزمه الحجة باللسان العلمي للقرآن الذي يكشف أو يشير إلى إشارة علمية توصل إليها العلم في القرن العشرين (مثلاً) وتحدث عنها النبي الأمى (ﷺ) في الكتاب المنزل عليه منذ أربعة عشر قرنا من الزمان!!!

٩- يكشف الإعجاز العلمي للقرآن عن حقائق كثيرة تحوِّل إيمان المسلم إلى عين اليقين من خلال معرفة بعض الأمور التى يستتبع النظر فيها زيادة يقين بخالقها عز وجل مثل:

- عدد السموات وطبقات الأرض، والمدارات والنجوم والكواكب السيارة وتثبيت الأرض بالجبال... وغير ذلك كثير وكثير.

١٠- مما لاشك فيه أن قضية الإعجاز العلمي للقرآن تجرأ عليها كثيرون وتدخل فيها غير المتخصصين، مما وسع الدائرة أكثر مما ينبغي، ومن هنا نادى هذا البحث - كما صرح رواد فكرنا الإسلامي - بوضع ضوابط للتعامل مع هذه القضية، وأهم هذه الضوابط ما يلي:

- يجب معرفة أن العلم تابع للقرآن وليس العكس، فيجب على باحث الإعجاز أن يعطى ثقته لكتاب الله أولاً ثم يبحث في تجارب البشر عن حقائق علمية تتوافق مع الحقائق القرآنية.
- لا ينبغي في فهم الآيات القرآنية أن نعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلا بقرينة واضحة.
- يجب ألا نفسر كونيات القرآن إلا باليقين الثابت من العلم لا بالفروض ولا بالنظريات التى لا تزال موضع فحص وتمحيص، لأن الحقائق هى كلمات الله الكونية، وينبغى أن يفسر بها نظائرها من كلمات الله القرآنية، أما الحدسيات والظنيات فهى عرضة للتصحيح والتعديل إن لم يكن للإبطال في أى وقت، فسبيلها أن تعرض على القرآن بهذه القاعدة ليتبين مبلغ قربها منه أو بعدها عنه، وعلى مقدار ما يكون بينها من اقتراب يكون حظها من الصواب.
- يجب أن تكون الحقيقة العلمية غير معروفة زمن نزول القرآن من قبل البشر وأن يكون القرآن - وقتئذٍ - قد سبق العلماء إلى الحديث عنها.
- ينبغى الإحاطة بدلالات الآية ومعانيها المتعددة وألا نخرج خارج قواعد اللغة العربية ولا نضع تأويلات غير منطقية بهدف التوفيق بين العلم والقرآن، بل يجب أن نعلم أن المعجزة القرآنية تتميز بالوضوح والتفصيل التام، ولا تحتاج إلى التفافات من أجل كشفها.
- يجب أن يدرك الباحثون في مضمار الإعجاز العلمي للقرآن أن المعجزة العلمية هدف وليست غاية في حد ذاتها، فهى هدف للتقرب إلى الله

تعالى وزيادة اليقين به وبلقائه:

﴿قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ ﴿٢٦٠﴾﴾ [البقرة: ٢٦٠]

- يجب أن تراعى قواعد التفسير في تحديد الإشارة العلمية: بأنها من معاني النص الذي نحن بصدد بيانه وتفسيره، مع مراعاة أوليات الاعتبار في الاحتجاج بالمعاني: فالنص المحكم أولى من الظاهر، وظاهر النص أولى من المعنى المستقى بطريق التأمل أو التأويل، ومنطوق النص مقدم على مفهومه، كما أن بعض المفاهيم مقدم في الاعتبار على بعض، ولذا يلزم عدم التسرع في ترجيح وجه تفسيرى دون مرجح معتبر، فضلاً عن فهم أسباب النزول والناسخ والمنسوخ والعام والخاص والمطلق والمقيد وما يتعلق بفهم النص مما هو معلوم ومعروف.

- يجب على الدعاة جميعا استنهاض الهمم، وعدم ترك الساحة خالية لغير المتخصصين تموج بهم الفضائيات وتفتح لهم كل الأبواب في شتى المجالات، فليدرك كل منا أنه على ثغرة من ثغور الإسلام، وعليه أن يؤدي دوره وأن يقوم بتبعات مسئولياته أمام الله عز وجل.

المصادر والمراجع

- أولاً: القرآن الكريم
- ثانياً: الكتب والدراسات:

١- الإسلام في عصر العلم: الرسالة والرسول والقرآن والإعجاز العلمي، د. محمد أحمد الغمراوى، ط دار الإنسان بالقاهرة، ط ٤ عام ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٢- الإعجاز العلمي في الإسلام، محمد كامل عبد الصمد، ط الدار المصرية اللبنانية، ط٦ عام ٢٠٠٤م.

٣- الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، عبد الرحيم مارويبى، ط دار المحبة بدمشق، ط ١ عام ٢٠٠٢م.

٤- الإعجاز العلمي في القرآن، مازن مغايرى، ط دار الرضوان ٢٠٠٤م.

٥- الإعجاز العلمي والجغرافي في القرآن الكريم، د. فوزى الشربينى، ط المكتبة العصرية، ط ١ عام ٢٠٠٨م.

٦- الإعجاز القرآني من الوجهة التاريخية، د. محمد أحمد العزب، ط دار المعارف ضمن سلسلة كتابك عام ١٩٨٧م.

٧- آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، د. زغلول النجار، تقديم: أحمد فراج، ط مكتبة الشرق الدولية بالقاهرة.

٨- التعبير القرآني، د. فاضل صالح السامرائى، ط دار عمار بالأردن، ط ٥ عام ٢٠٠٧م.

٩- تفسير الآيات الكونية بالقرآن الكريم، د. عبد الله شحاته، ط نهضة مصر بالقاهرة، ط ٤ عام ٢٠٠٥م.

١٠- تفسير القرآن العظيم، للإمام ابن كثير، جـ١، ط دار الفكر بيروت.

١١- جامع البيان في تأويل القرآن، للإمام الطبرى، جـ١٢، ط دار الكتب العلمية ببيروت، ط ٣ عام ١٩٩٩م.

١٢- الجامع لأحكام القرآن، الإمام القرطبى، ط دار ابن حزم، ط١ عام ٢٠٠٤م.

١٣- الجبال ورسالات الأنبياء، د. أحمد شوقى إبراهيم، ط شركة نهضة مصر، ط١، عام ٢٠٠٦م.

١٤- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، للإمام الثعالبى، جـ٤، ط مؤسسة الأعلمي ببيروت.

١٥- رحلات من الظلمات إلى النور، أحمد بن سعيد الحوقانى، ط وزارة الإعلام بسلطنة عمان، ط١، عام ٢٠٠٦م.

١٦- روح المعانى، للإمام الألوسي، ط دار إحياء التراث العربى ببيروت.

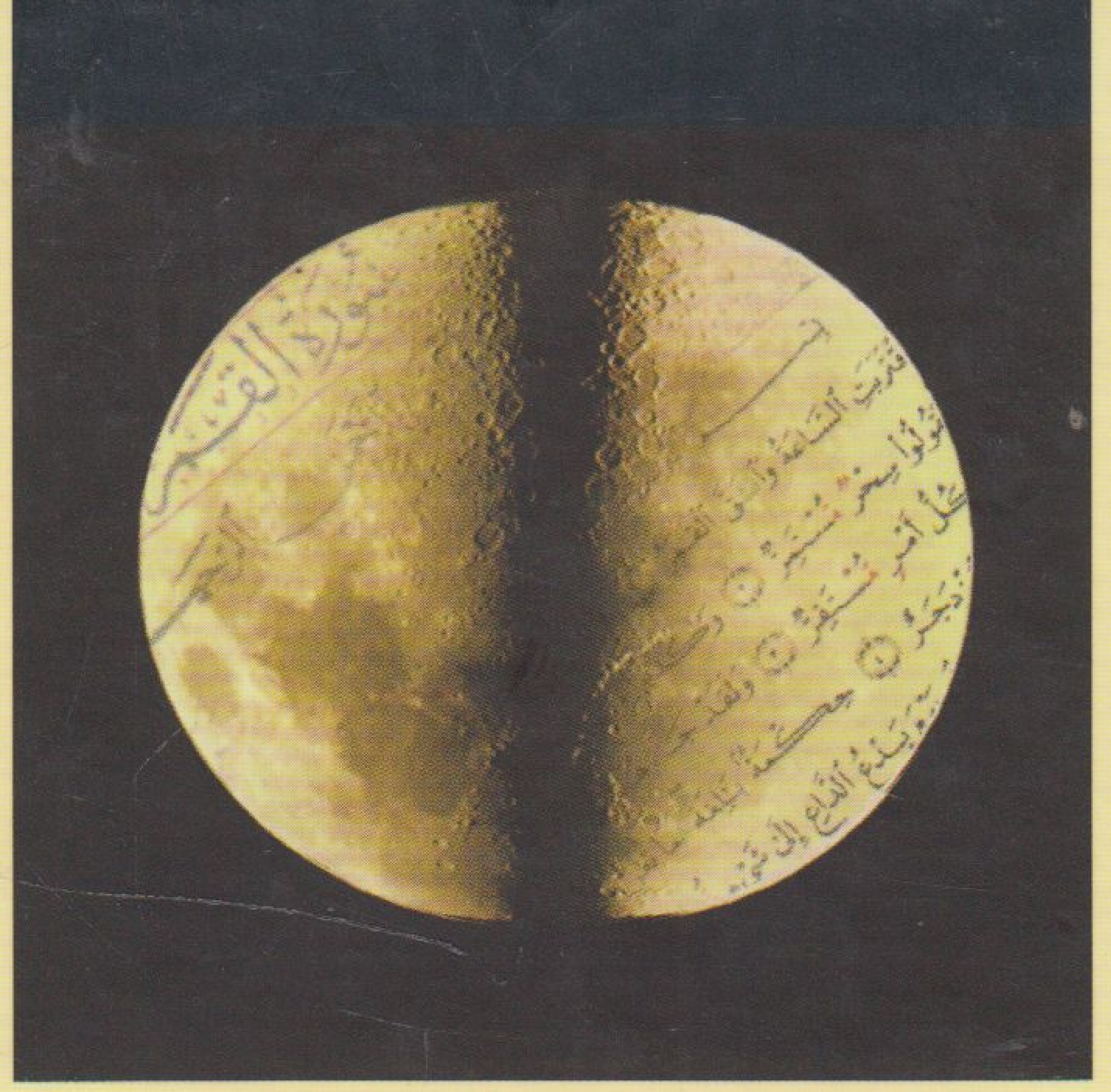
١٧- ظواهر كونية، عبد الدائم كحيل، إصدار جائزة دبى الدولية للقرآن الكريم، عام ٢٠٠٦م.

١٨- عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، د. محمد السيد راضى جبريل، ط دار السعادة بالقاهرة.

١٩- فتح البارى بشرح صحيح البخارى، لابن حجر العسقلانى، ط مكتبة دار السلام بالقاهرة، ط٣، عام ٢٠٠٠م.
٢٠- فتح القدير، للإمام الشوكانى، ط دار المعرفة ببيروت، ط ١ عام ٢٠٠٤م.
٢١- في ظلال القرآن، للشيخ سيد قطب، جـ٦، ط دار الشروق بالقاهرة، ط ٣٤، عام ٢٠٠٤م.
٢٢- قضية الإعجاز العلمي للقرآن الكريم، وضوابط التعامل معها، د. زغلول النجار، ط دار نهضة مصر، ط١ عام ٢٠٠٦م.
٢٣- الكشاف، الإمام الزمخشرى، ط دار الفكر، ط ١ عام ١٩٨٨م.
٢٤- لسان العرب، لابن منظور، تحقيق: على شيرى، دار إحياء التراث العربى، ط ١، ١٩٨٨
٢٥- مختصر تفسير القرطبى، اختصره وخرَّج أحاديثه: عرفان حسونة، جـ٤، ط دار الكتب العلمية ببيروت، ط ١ عام ٢٠٠١م.
٢٦- مع القرآن الكريم في إعجازه اللغوى: لطائف وأسرار، د. رشاد محمد سالم، ط١، ٢٠٠٦م.
٢٧- معالم التنزيل، للإمام البغوى، ط دار المعرفة ببيروت، ط١ عام ١٩٨٦م.
٢٨- المعجزة الخالدة، حسن ضياء الدين، ط دار الفكر، ط٢ عام ١٩٨٩م.
٢٩- معركة المصحف، الإمام الشيخ: محمد الغزإلى، ط المكتبة الإسلامية بالقاهرة.
٣٠- مفاتيح الغيب، الإمام الرازي، جـ ٢٢، ط دار الغد العربى بالقاهرة، ط١ عام ١٩٩٤م.
٣١- مفاهيم إسلامية، د. عبد العظيم المطعني، جـ١، ط المكتبة الإسلامية بالقاهرة.
٣٢- مفهوم الإعجاز القرآني حتى القرن السادس الهجرى، أحمد جمال العمرى، ط دار المعارف بالقاهرة، بدون.
٣٣- موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، يوسف الحاج أحمد، ط مكتبة ابن حجر، ط ١ عام ٢٠٠٥م.
٣٤- الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية، د. أحمد مصطفي متولى، ط دار ابن الجوزي بالقاهرة، ط ١ عام ٢٠٠٥م.
٣٥- نزهة المؤمنين في تفسير الجزء الثلاثين، سالم بن سعيد البوسعيدي، ط مكتبة الأنفال بمسقط، ط ١ عام ٢٠٠٧م.
٣٦- نظرية الإعجاز القرآني، د. أحمد سيد عمار، ط دار الفكر بدمشق، ط١ عام ١٩٩٨م.

- ثالثاً: الدوريات:
١- مقال: الكون سبع سماوات وسبع أرضين، د. زغلول النجار، منشور بجريدة الأهرام في ١٨/ ٩/ ٢٠٠٦م.

- رابعاً: مواقع الشبكة العالمية للمعلومات "الإنترنت":
١- موقع www.kaheel7.com
٢- موقع: www.qassimy.com
٣- موقع: www.55a.net
٤- موقع: www.qwu-dam.org



صور من إعجاز
القرآن الكريم

مكتبة الفلاح
للنشر والتوزيع

دولة الكويت

حولي - شارع بيروت - عمارة الأطباء

هاتف 1985 2264 فاكس 7784 2264 965 +

ص.ب: 4848 الصفاة - 13049 - الكويت

دولة الامارات العربية المتحدة

العين: - ص.ب: 16431هاتف: 7662189 فاكس 7657901 3 971 +

دبي: - ص.ب: 20438 هاتف: 2630618 فاكس 2630628 4 971 +

جمهورية مصر العربية

37 شارع النصر - امتداد رمسيس 2

مقابل وزارة المالية - مدينة نصر - القاهرة

هاتف: 8143 2262 فاكس: 6587 2263 02 2+

www.alfalahbook.com

